الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 282 - من الثلاثاء 14 إلى الاثنين 20 نوفمبر 2023 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

عبد الرحيم الزواري | توفيق المكشّر | مروان المبروك | رضا شرف الدين | ماهر شعبان

زلزال الايقافات

أحمد صواب لـ «الشارع المغاربي» :

أعمال لجنة الصلح الجزائي أصبحت باطلة منذ يوم 6 نوفمبر 2023

موقف الاسبوع

قيس سعيّد واتّفاق الشّراكة مع الاتّحاد الأوروبي (ا):

ابتزاز وخضوع ومزايدات باسم السّيادة الوطنيّة

بقلم: جيلاني الهمامي

افتتاحية

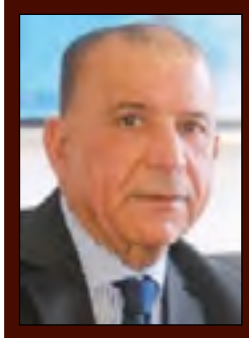

تونس في حاجة مُلحة لميزانية تنمية وطنية

بقلم : جمال الدين العويديدي

تونس في حاجة مُلحة لميزانية تنمية وطنية

بقلم : جمال الدين العويديدي

في خضم ما يجري من نقاش حول مشروع الميزانية لسنة 2024 يبدو جليا أنها ميزانية تقشّف تعتمد على جملة من الاتاوات البسيطة لتعبئة الموارد على غرار سابقاتها منذ سنة 2013. لذلك يجدر التذكير بأن التخطيط الاقتصادي يعتمد على مؤسسات سيادية تشريعية ومالية وجبائية لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية. كما يتطلب الدفاع عن الأمن الوطني الاقتصادي الذي يتمحور حول ثوابت أهمها المحافظة على التوازنات المالية وخاصة منها الخارجية لما لها من تداعيات مباشرة على المديونية وعلى السيادة الوطنية.

من أهم هذه المؤسسات نذكر مؤسسة البنك المركزي والإدارة العامة للجباية وإدارة الديوانة التونسية وهي مؤسسات راجعة بالنظر لوزارة المالية أساسا.

البنك المركزي الذي تأسس بتاريخ 19 سبتمبر 1958هي المؤسسة المالية المركزية المكلفة بإصدار النقد والمحافظة على قيمة العملة الوطنية والإشراف على القطاع البنكي. كما تقوم بإدارة احتياطيات الدولة من النقد الأجنبي وتسهر على إدارة السياسية النقدية. كما يمكن للبنك المركزي أن يمنح لفائدة الخزينة العامة للدولة تسهيلات في شكل كشوفات أو قروض أوأن يقتني بصفة مباشرة سندات تصدرها الدولة. وقد دأب البنك المركزي بوصفه مؤسسة عمومية على تقديم تسهيلات في شكل كشوفات أو قروض لفائدة الخزينة العامة للدولة دون أية تجاوزات تُذكر تاريخيا حيث كانت التسهيلات تُمنح على أساس تسبقة بنسبة مُحدّدة لا تتجاوز 5 %أو 10 %من مجموع المداخيل الجبائية للسنة السابقة ودون نسبة فائدة تقريبا أي بلا كلفة. هذا ما كان عليه الأمر قبل سنتي 2006 و2016.

المؤسسة الثانية تتعلق بالإدارة العامة للديوانية التي تسهر على حماية الاقتصاد الوطني من التهرّب والتهريب للبضائع على مستوى كافة الحدود برا وبحرا وجوا. كما تعمل على تطبيق كل القوانين المتعلقة بتوظيف المعاليم الديوانية عند التوريد حماية للمنتوج الوطني من العمليات المخلة بقواعد المنافسة. وتعتبر هذه المؤسسة أداة هامة لتشجيع الاستثمار في الإنتاج الداخلي علاوة على تقديم تعبئة مالية هامة للخزينة العامة حيث يتم استخلاص المعاليم مباشرة عند عبور البضائع من الحدود نقدا مع العلم أنه يتم زيادة على هذه المعاليم توظيف الأداء على القيمة المضافة مباشرة.

أما المؤسسة الثالثة والتي لا تقل أهمية فتتعلق بالإدارة العامة للجباية التي تتعهد بتطبيق القوانين الخاصة باستخلاص معاليم الجبائية بصفة عادلة على كل المطلوبين بدفعها طبقا للدستور وللقوانين المصادق عليها من طرف السلطة التشريعية.

هذه المؤسسات لعبت دورا هاما في تعزيز المسيرة التنموية بالبلاد مند بداية الاستقلال. هذا الدور يتجلى من خلال بعض المؤشرات الهامة حيث مُعدّل نسبة النمو كان في حدود 5,6 % بين سنتي 1966 و1987 مقابل معدل نسبة نمو لا يتجاوز 0,9 % بين سنتي 2013 و2023. كما أن قيمة الدولار الأمريكي الواحد سنة 1980 كانت في حدود 0,419 دينار تونسي مقابل 3,16 دنانير عن الدولار حاليا. وكذلك قيمة الأورو (بعد تحويل الفرنك فرنسي) كانت تباعا في حدود 0,566 دينار سنة 1980 مقابل 3,37 حاليا. هذه القيمة المرتفعة للدينار التونسي كانت تُساهم في تقليص العجز التجاري وفي تقليص قيمة المديونية الخارجية والتي كانت في كل الأحوال غير مرتفعة أصلا مما يُعتبر بصفته المرتفعة وسيلة حماية للأمن الاقتصادي الوطني.

أما على مستوى معدل مداخيل المعاليم الديوانية فقد كانت تُمثل 15 % من مجموع قيمة التوريد السنوي في سنة 1994 أي قبل بداية تفكيك هذه المعاليم بمقتضى اتفاق الشراكة المُوقّع مع الاتحاد الأوروبي سنة 1995،مقابل 3 % فقط سنة 2022. والحال أن قيمة الواردات ارتفعت إلى 57,2 مليار دينار سنة 2022. لو تم توظيف نسبة 15 % على هذا المبلغ مثلما كان الشأن سابقا لكانت مداخيل المعاليم الديوانية سنة 2022 في حدود 8,58 مليارات دينار.والحال أن المداخيل الحاصلة فعليا سنة 2022 كانت في حدود 1,8 مليار دينار فقط حسب مصدر وزارة المالية أي بتراجع بنسبة 4,8 أضعاف.

أما على مستوى الجباية فقد ساهمت بطبيعتها التي كانت معتمدة منذ بداية الستينات إلى أواخر الثمانينات في تعبئة الخزينة العامة بطريقة متواترة. كما ساهمت في التصدي لظاهرة الاقتصاد الموازي بطريقة ناجعة مقارنة بالانفلات الذي أصبحت عليه البلاد منذ بداية التسعينات إلى اليوم نتيجة تطبيق برنامج الإصلاح الهيكلي الذي تحول إلى كابوس دمّر المسيرة التنموية في البلاد. رغم هذه الإنجازات الإيجابية فقد أخطأت على مستوى الإعفاءات الجبائية المفرطة لصالح المؤسسات غير المقيمة والمصدرة كليا بداية سنة 1972 حيث تم منح هذه الامتيازات على مدى عشر سنوات فقط. غير أنه تم واقعيّا التحيل على هذا الامتياز بتواطئ مع السلطة وذلك عبر غلق الترخيص الأول المنتهية صلاحياته ثم فتح تصريح لمؤسسة جديدة مع تغيير طفيف في الاسم للحصول على امتياز إعفاء جديد. وتمادى الأمر على هذا الحال على مدى خمس عقود مما أفقد خزينة الدولة مبالغ هامة بالنظر إلى عددها الذي يراوح الألف مؤسسة.

من هذا المنطلق ينبغي أن نستوعب محتوى العولمة التي اعتمدت منهجية أدت إلى سحب صلاحيات كل المؤسسات المحورية المذكورة أعلاه من سلطة الدولة بداية من أواسط الثمانينات حيث سعت لفرض خوصصة موغلة للقطاع العمومي عبر برامج الإصلاح الهيكلي التي توكّل بتنفيذها صندوق النقد الدولي مما فسح المجال لدخول رؤوس الأموال الخارجية للاستحواذ عليه.

كما فرض تفكيك المعاليم الديوانية عبر المنظمة العالمية للتجارة بدعوى أن تحرير التجارة الخارجية يساعد على تحفيز القدرة التنافسية للمنتوج الوطني والحال أن العكس هو الذي حصل حيث فقدت تونس نسيجها الصناعي المحلي بين سنتي 1996 و 2010. مع العلم أن تفكيك المعاليم الديوانية على المنتوجات القادمة من الاتحاد الأوروبي أفقد الخزينة العامة أكثر من 70 مليار دينار بين سنتي 1996 و2017. تحوّل هذا المبلغ أساسا إلى زيادة في هامش ربح المؤسسات الأوروبية التي سيطرت على السوق المحلية.

ثم في سياق العولمة أيضا تم تجريد البنك المركزي من أهم صلاحياته عبر تمرير القانون عدد 26 لسنة 2006 ثم القانون عدد 35 لسنة 2016، وفي مقدمتها تقديم التسهيلات للخزينة العامة التي وُكّلت للبنوك التجارية بنسبة فائدة مُشطة. كما أصبح صندوق النقد الدولي رسميا يصنف نظام سعر الصرف في تونس على أنه نظام "التعويم الموجه" بينما كان البنك المركزي سابقا يتصرف سياديا في تحديد سعر الدينار طبقا للمصالح الوطنية للبلاد.

ميزانيات التقشف أثبتت فشلها والمطلوب ميزانيات تنمية تعتمد استرجاع دور المؤسسات الوطنية

دأبت الحكومات المتتالية بداية من سنة 1986 تاريخ تطبيق أول "برنامج إصلاح هيكلي" على إنجاز توصيات صندوق النقد الدولي حيث تم اعتماد ميزانيات تقشف أفضت فعليا إلى تفكيك الدولة ومكتسباتها وتعطيل المسيرة التنموية مما أدى إلى اندلاع ثورة اجتماعية أسقطت النظام السابق.

وقد اعتقدنا أن الثورة سوف تضع حدا لهذه السياسة التي ثبت فشلها قطعا غير أنه بدوافع داخلية وخارجية تم التجديد لاستمراريتها منذ سنة 2013 إلى اليوم والتي ثبت فشلها من جديد. حيث ارتفعت نسبة البطالة والفقر والهجرة السرية وهجرة الأدمغة. كما تعمقت المديونية وخاصة المديونية الخارجية نتيجة تعطل النمو.

من هذا المنطلق يحق لنا أن نتساءل ونحن نعيش مرحلة سياسية تؤكد على ضرورة تكريس السيادة والعدالة الوطنية، لماذا الإمعان في تطبيق نفس هذه الوصفة الفاشلة التي تتجسّم في الميزانية السنوية ولم نتحول إلى سياسة تنموية يتم تخطيطها وطنيا بكفاءات وأدوات وطنية مثلما دأبت على ذلك البلاد على مدى الثلاثة عقود الأولى من الاستقلال والتي أدّت فعليا إلى تحقيق نتائج تنموية هامة بمتوسط نسبة نمو في حدود 5,6 % سنويا شملت كل الميادين الأساسية المتعلقة بالتعليم والصحة والنقل والبنية التحتية والإدارة علاوة على قطاع الصناعة والفلاحة، مُقابل مُعدّل نسبة نمو لا تتجاوز 0,8 % على مدى العشر سنوات الأخيرة؟

الجواب على هذا السؤال يجرنا إلى التعليق على دور وزارة الاقتصاد والتخطيط على مدى السنتين الأخيرتين التي والحقيقة استبشرنا بإحداثها مع بداية حكومة ما بعد 25 جويلية سنة 2021.غير أن نتائجها كانت مع الأسف شبه معدومة وأحبطت الجميع. وهو ما يتجسم من خلال التصريحات المُتعددة للوزير السابق المُكلّف بها حيث أكد بصريح القول أنّه "ليس له بديل عن صندوق النقد الدولي" مما يعني بوضوح أنه ليس هناك بديل عن السياسة التقشفية المُعتمدة منذ عدة عقود والتي يتمسك بها. هذا الموقف يدل على انعدام رؤية سياسية تحررية. كما يبيّن مدى تمسّكه بولائه للمؤسسات المالية الدولية وللطرف الإقليمي أي الاتحاد الأوروبي الذي يُعتبر المحرك الأساسي الذي يدير الشأن الاقتصادي والاجتماعي في تونس خاصة منذ سنة 1995 تاريخ التوقيع على اتفاق الشراكة مع تونس.

كما ينبغي أن نلاحظ مدى التساؤلات التي تُطرح لدى عامة المواطنين حول ماهية التناقض بين الخيارات الصادرة عن رئاسة الجمهورية والسياسة التي نفذتها الحكومة السابقة. سياسة الأولى تتمحور حول التمسك بالسيادة الوطنية والتأكيد على التعويل على الذات ورفض إملاءات صندوق النقد الدولي وضرورة المحافظة على السلم الاجتماعية وهي خيارات تتفق عليها غالبية الشعب التونسي. أما السياسة التي نفذتها الحكومة السابقة فهي موغلة في تنفيذ برامج التقشف التي يعتمدها صندوق النقد الدولي والحال أنها حكومة مُعينة من طرف رئاسة الجمهورية.

هذه الازدواجية تطرح تساؤلات كبيرة وتتطلب توضيحات فعلية. كما تتطلب قرارات جريئة وسريعة من ذلك إلغاء قانون البنك المركزي لسنة 2016 لوضع حد لاستغلال البنوك التجارية الخزينة العامة عبر جدولة الديون العمومية بكلفة باهظة. كما سيسمح ذلك بالتصرف في تحديد قيمة الدينار بطريقة سيادية ومجدية. كما تتطلب تعبئة الميزانية اليوم إعادة توظيف معاليم ديوانية على التوريد بنسب مدروسة ولا يُستثنى منها أي بلد. وهو إجراء متفق عليه من طرف صندوق النقد الدولي بالفصل الثامن من قانونه الأساسي ومُتفق عليه أيضا من طرف المنظمة العالمية للتجارة في علاقة باختلال الميزان التجاري مع كل البلدان واختلال ميزان الدفوعات. هذا الإجراء سوف يوفّر مبالغ هامة تفوق 5 مليارات دينار سنويا وسوف يساهم أيضا في ترشيد التوريد ودفع الاستثمار الداخلي وخلق مواطن شغل مستدامة لتنطلق البلاد في مسار تنموي تصاعدي وتقطع مع ميزانيات التقشف والركود.

تنصّل

مستثمر شاب اتهم وزارة التربية بالتنصل من تعهدات كانت قد ابرمتها مع عدد من الباعثين الشبان في مجال الاعلامية مشيرا الى ان عشرات الشركات الناشئة باتت على ابواب الافلاس نتيجة مماطلة الوزارة في ابرام عقود معهم.

المستثمر الذي طلب عدم الكشف عن هويته أوضح أن الاتفاق بين الوزارة والباعثين الشبان جاء في اطار برنامج لتشجيع خريجي التعليم العالي على بعث شركات ناشئة وتمكينها من صفقات بالتفاوض المباشر لصيانة المنظومات والتجهيزات الاعلامية بمختلف المدارس والمعاهد الثانوية العمومية على الا تقل قيمة الصفقة عن 200 ألف دينار.

المتحدث أفاد بأن الوزارة خالفت القانون منذ أول صفقة عقدتها مع المستثمرين الشبان عبر اجبارهم على العمل معها مقابل صفقة بـ

137 ألف دينار في السنة وبأنها خفضت في قيمة الصفقة الى حدود 120 ألف دينار عوض 200 ألف دينار مشددا على ان ذلك تسبب في مرور اغلب الشركات الناشئة بضائقة مالية نتيجة التزاماتها تجاه البنوك والصناديق الاجتماعية.

المصدر قال ان بعض المسؤولين بالوزارة لم يتوانوا عن تهديد بعض الباعثين الشبان بقطع التعامل معهم في صورة عدم انصياعهم للعمل مقابل مستحقات اقل بكثير مما تم التنصيص عليه بالقانون.

سرّ إقالة

لماذا أقال الرئيس الجزائري وزيره الأول أيمن بن عبد الرحمان؟ ولماذا الآن؟ وهل ارتكب بن عبد الرحمان خطأ أثناء ممارسة نشاطه على رأس الحكومة؟ هل كانت صرامة الانضباط الذي التزم به للعمل على تطبيق خريطة طريق نشاط وزراء الحكومة وتمسكه بذلك وراء استبعاده؟

موقع ALGERIEPATRIOTIQUE أكد أن سر إقالته هو تحديدا إصراره على الالتزام بانضباط مبالغ فيه تسبب – حسب الموقع – في تأخير تطبيق قرارات وتعليمات الرئيس تبون مع ما يعني ذلك من افتقاده لروح المبادرة وبعد الرؤية.

وحسب الموقع المذكور فإن خطيئة بن عبد الرحمان الوحيدة كانت الصعوبة التي واجهها للقضاء على العقبات التي طالما اشتكى منها رئيس الدولة وعلى رأسها بطء البيروقراطية والجمود والفساد وأن ذلك تسبب في إزعاج رئاسة الجمهورية نتيجة تمسك الرئيس تبون بالإيفاء بوعود تعهّد بها للجزائريين خاصة في ظل اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية.

زووم

الوعي المعرفي ضرورة لكسب المعركة وتحقيق التحرّر

محمّد الكحلاوي (أستاذ بجامعة قرطاج)

حول القضيّة الفلسطينية وفي إطار دعم المقاومة والتعريف بحقوق الشعب الفلسطيني الذي يواجه هذه الأيّام، وفي مدينة غزّة خصّيصا، دمارا يكاد يكون شاملا وحربا ضروسا، انتظمت لقاءات فكرية وعلمية وندوات تثقيفية وتحسيسية بنيت على الحوار وكان نهجها تلاقح الأفكار، فجاءت مشتملة على مقاربات علمية، استندت إلى وثائق مهمّة وبيّنة ووقائع تاريخية واضحة، والطريف أنّ عددا مهمّا من هذه اللقاءات، التي قدّمت ضمها وجهات نظر مهمّة، شهدتها أجزاء وفضاءات من الجامعة التونسية

وقد انطلق مسار هذه اللقاءات بمحاضر الأستاذ فوزي البدوي على منبر نادي اللغة العربية بكلية الآداب والفنون والإنسانيات جامعة منوبة حول مسالة التهجير في الفكر اليهودي، فلاقت صدى مهمّا واهتماما لافتا، كان أبرز مظهر له كثافة الجمهور المتابع لها، وقد واصل الأستاذ البدوي تقديم مجموعة محاضرات في السياق نفسه؛ القضيّة الفلسطينية والفكر اليهودي والصهيونية وتاريخ اليهود وظهور مطلب دولة إسرائيل... على منابر علمية وثقافية ونقابية وفي فضاءات لمنظمات حقوقية تونسية دولية.

لقاء آخر علمي توعويّ جمع بين الأساتذة والطلبة كان مداره الحوار وتبادل وجهات النظر حول القضيّة الفلسطينية ومعاناة الشعب الفلسطيني وسبل استرجاع الأرض المحتلّة، احتضنه فضاء المعهد العالي للغات – جامعة قرطاج تونس. كان ذلك يوم الخميس 26 أكتوبر المنصرم، فجاء بمثابة لقاء تحسيسي حول فلسطين المحتلّة، وقد التقى فيه الأساتذة بالطلبة، حيث أطّر النقاش أثّث محاوره الأستاذان د. هشام المسعودي ود. الزهرة بلحاج، وشارك الطلبة عبر طرح الأسئلة وتقديم التعليقات والاستفسارات، ومن ثمّ تقديم وجهات نظر متنوّعة في المسألة...

اللقاء انطلق بالنشيدين الوطنيين التونسي والفلسطيني، أيضا تمّ الترحّم على شهداء غزّة أولئك الذين اغتالتهم سلطة الآلة العسكرية الحربية الإسرائيلية الغاشمة.

في هذا اللقاء قدمت الأستاذة الزهرة بلحاج قراءة تاريخية حضارية حول تطور القضية الفلسطينية منذ اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور، ورصدت ما شهدته المنطقة من مواجهات عربية إسرائيلية مرورا بحرب 1948 التي عرفت بالنكبة، ثم حرب 1967 التي عرفت بالنكسة وصولا إلى حرب 1973.

جانب من حضور لقاء القضية الفلسطينية

وتمحور التركيز، في هذا اللقاء، خاصّة على نتائج هذه الحروب التي أدّت في مجملها إلى خسائر فادحة للفلسطينيين وللعرب في المنطقة، ومن ثمّ تطرّق بعض المتدخلين إلى بيان طبيعة التطور الذي عرفته المقاومة الفلسطينية منذ تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية إلى اليوم، حيث تحوّلت من مسألة قومية عربية إلى قضية فلسطينية وطنية.

أمّا الأستاذ هشام المسعودي، فقد قدّم قراءة عميقة ومفيدة للأحداث الآنية في فلسطين، مبيّنا مدى ضرورة الوعي بالأبعاد الجيوسياسية لهذه القضية التي يؤكد البحث فيها بداهة حقّ الفلسطينيين وشرعيتهم في الدّفاع عن وطنهم وحقهم أيضا في الدّفاع عن أنفسهم، وهو ما يطرح ضرورة تحميل المجتمع الدولي مسؤوليته في اعتبار ما يقوم به الكيان الصهيوني المحتلّ من مجازر في حق الأطفال والنساء ومجمل أهالي غزة . جرائم حرب وأعمالا خارجة عن القانون، يقتضي الأمر اعتبارها كذلك وإصدار عقوبات دولية بخصوصها للكيان الصهيوني، لتسلّط عليه ردعا وعقابا... في السياق نفسه جاء تدخل بعض الأساتذة والطلبة للتعبير عن مساندتهم المطلقة للقضية الفلسطينية. فكان الموعد حقّا مع لقاء حماسيّ اتفق فيه الجميع طلبة وإدارة وأساتذة حول ضرورة نصرة فلسطين وقضيتها العادلة.

وللإشارة فقد قدّم الأستاذ هشام المسعودي يوم الاثنين 23 أكتوبر وعلى منبر كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان محاضرة بالفرنسية حول اللغة والمصير وتشظّي الهويّات وانفجارها في العصر الحديث، إمّا نتيجة الصراعات الفكرية والإديولوجية وتعارض وجهات النظر والمصالح في الواقع، وإمّا نتيجة التسلّط الخارجي عبر الاحتلال والعدوان، فتشهد نتيجة لذلك الهويّة في بعدها الثقافي والحضاري اهتزازا وتشظّيا، وتحتاج إلى إعادة تأسيس وبناء ووصل بالتاريخ وحركته.

وفي محاضرته التي ألقاها الأستاذ مبروك المنّاعي درسا افتتاحيا نموذجيا على منبر كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، وكان محورها "فضل الشعر على اللغة"، وصل الأستاذ المناعي، وحسب افادة ونّاسة النصراوي الى "ديوان العرب" أي إبداع الشعر بأدواره المجيدة في التعبئة ورص الصفوف، فغدا نشيد حماسة ومقاومة في الذود عن حياض الوطن وبناء الهوية... يلتحم بالقضية الفلسطينية وبما يحصل اليوم من إبادة وأهوال في غزة، فتتيقظ روح الشعر في" توحيد العرب روحيا ولغويا"، ومن ثمّ ثقافيّا وحضاريا وفي كلّ ما له صلة بالمصير.

عبد الرحيم الزواري | توفيق المكشّر | مروان المبروك | رضا شرف الدين | ماهر شعبان

زلزال الايقافات

كوثر زنطور

خلقت الايقافات الاخيرة حالة توجس في صفوف رجال المال والاعمال بلا استثناء باعتبارها شملت " الاستثناء" او الرجل الاقوى مروان المبروك مثلما ينظر اليه كثيرون . وعلى الرغم من غياب معطيات دقيقة تؤكد وجود رابط بين الايقافات الاخيرة فان سياقها وتصريحات رئيس الجمهورية قيس سعيد تشير الى ترابطها وارتباطها بمسار الصلح الجزائي .

شهدت الساحة خلال الايام الماضية ايقاف كلا من رجل الاعمال والصهر السابق لبن علي مروان مبروك والوزير السابق ورجل الاعمال عبد الرحيم الزواري ورجل الاعمال ماهر شعبان ورجل الاعمال ورئيس جمعية الشابة توفيق المكشر ورجل الاعمال والنائب السابق والرئيس الاسبق لنجم الرياضي الساحل رضا شرف الدين ورجل الاعمال نجيب بن اسماعيل. وجاءت الايقافات على خلفية قضايا مختلفة منها حتى من لها صبغة ارهابية على غرار الابحاث محل قرار الاحتفاظ بشرف الدين .

مع ذلك ، فان محور الايقافات الاخيرة وربما اللاحقةهو ملف الصلح الجزائي المتعثر والبعيد عن سقف انتظارات رئيس الجمهورية الذي كان قد لكد يوم 8 سبتمبر 2023 من مقر لجنة الصلح الجزائي التوجه نحو اثارة تتبعات جزائية في حق المعنيين بهذا الصلحان تخلفواعن دفع الاموال التي استولوا عليها زائد 10 في المئة عن كل عام . ويوم الجمعة اعلن سعيد خلال لقاء جمعه بوزير العدل ليلى الجفال انه سيتم عرض مشروع قانون لتنقيح مرسوم الصلح الجزائي .

مهادنة

كانت كلمة السر في اوساط رجال الاعمال منذ بداية مسار 25 جويلية هي تجنب اي صداممكن في العلاقات مع رئيس الجمهورية . لعب رئيس منظمة الاعراف سمير ماجول دورا بارزا في استراتيجية المهادنة مع القصر والانحاء الى حين مرور العاصفة. خيل الى " الاعراف" ان توسانمي " حرب التحرير" لن تطالهم بل وخيل الى بعضهم ان الفرصة اصبحت سانحة لغلق الملفات والتوصل الى تسويات مع منظومة الحكم الجديدة.

واجهت منظمة الاعراف ورئيسها انتقادات لاذعة بسبب ما اعتبر خنوعا كاملا للسلطات القائمة كما اتهمت بالاستقالة عن القيام بالدور المنوط بعهدتها في الدفاع عن منظوريها اثر قرارات منع السفر والتدقيق الجبائي المعمق او ممن تضرروا من حملات مقاومة الاحتكار والمضاربة او من قرارات رئاسية ووزارية غير مدروسة لم تستفد منها الدولة في شيء وكان لها تداعيات على عدة قطاعات بعضها اصبح على شفير الانهيار .

غابت منظمة الاعراف عن المشهد وفكت الارتباط مع شركائها من المنظمات الفائزة بجائزة نوبل للسلام بفضل الحوار الوطني بل واعلنت صراحة انها معنية فقط بالشان الاقتصادي دون سواهرافضة الانخراط في اية مبادرة سياسية فيما كان الحراك كثيفا في الكواليس بحثا عن تطمينات من الرئاسة مع تتالي خطاب التهديد والوعيد ودعوات للمحاسبة والردع وحتى الانتقام .

ساند الاعراف كل محطات مسار ما بعد 25 جويلية دون تحفظ وكان مشهد سمير ماجول خلال قمة الفرنكفونية في جزيرة جربة منذ عام وتراجعهالسريع عن مداخلة انتقد فيها السياسات العامة مؤشر على ما يعتمل داخل اوساط ارباب العمل من خوف وتوجس. وشكل مرسوم الصلح الجزائي امتحانا حقيقا بالنسبة للرئاسة للوقوف على مدى الانسجام مع التطورات التي عرفتها البلاد و خاصة لفلسفة الحكم الجديدة .

رغم التحفظات على المرسوم ، قرر المعنيون الانخراط في هذا المسار والمرور نحو غلق الملفات تحسب من اي مواجهة ممكنة من رئيس له كل السلطات ويدفع انصاره نحو اقصى من التسويات المالية . ويبدو ان حسابات المعنيين بالمرسوم لم تتقاطع مع تطلعات صاحب المرسوم . النتيجة كانت الفشل بالارقام (الحصيلة لم تصل حتى الى 50 مليون دينار) وايضا بالايقافات التي لا يخفى انها تصعيد وضغط لفرض التوصللابرام صلح مجزي .

تصعيد مفيد ؟

انهت الايقافات ما كان يسمى داخل منظومة 25 جويلية بـ" صلح الشجعان" ودشن لمرحلة قوة الدولة لفرض استرجاع الاموال المنهوبة . ما من شك ان الايقافات كانت بمثابة الزلزال اذ انها شملت مروان مبروك واحد من اهم رجال الاعمال على الاطلاق واكثرهم اثارة للجدل . يتداول ان ملف مروان مبروك هو اولى الملفات التي توضع على طاولة كل رئيس حكومة جديد .

حسب المعطيات المتوفرة كان المبروك من اول من قدم ملف الصلح الجزائي وتؤكد مصادر مطلعة لـ"الشارع المغاربي" ان" تعطيلات رافقت البت في الملف بالنظر الى ثقله وانعكاسات اي اتفاق صلح على بقية مسار عمل اللجنة" . وتمحورت النقاشات حول ملف مروان المبروك بالنظر الى ان التوقعات كانت تشير الى ان قيمة الصلح ستكون الاضخم وبكونها ستعكس نجاح او فشل المسار .

ويترقب الجميع مخرجات المفاوضات الجارية حول هذا الملف وان كان الايقاف سيفضي الى التوصل الى اتفاق صلح بالأرقام المتداولة اعلاميا وسط تكتم من الجانبين (السلطات ومحاميي المبروك) في الخوض في اية تفاصيل لها علاقة بالملف سوى حول قيمة الصلح او حول القضايا التي كانت وراء صدور قرار الاحتفاظ باستثناء التاكيد على ان القضايا ذات علاقة بالتصرف في أملاك مصادرة يقول مصدر قضائي انها تتعلق بـ5 شركات.

وقررت النيابة العمومية بالمحكمة الابتدائية بتونس التخلي عن القضية لفائدة القطب القضائي الاقتصادي والمالي وتم تعهيد الوحدة الوطنية للبحث في الجرائم المالية المتشعبة بالقرجاني بالبحث في القضية التي انطلقت بشكاية تقدم بها المكلف العام بنزاعات الدولة .

مع هذا التكتم الرسمي ، تحول مؤخرا المحامي الشاب وليد العرفاوي رئيس جمعية المحاكمة العادلة (تاسست عام 2020) الى مصدر وحيد للمعلومات حول اللجنة واعمالها دون صدور اية توضيح من اللجنة التي يفرض عليها المرسوم حسب المحامي والناشط في المجتمع المدني احمد صواب نشر مداولاتها بشكل دوري . والعرفاوي ينوب احد المعنيين بملف الصلح الجزائي وهو من اكثر المدافعين عن هذا المسار.

وبالعودة الى الايقافات، فقد ينظر اليها بكونها تعكس قوة سلطة متحررة من اية خطوط حمراء وبانها بمثابة ادانة لمختلف منظومات الحكم المتعاقبةوالمتهمة بشبهات ابرام صفقات والتواطوء وابتزاز رجال اعمال طيلة العشرية السابقة . مثلما ينظر الى الايقافات بكونها سياسة ترهيب بعد فشل مسار الصلح الجزائي وتبين قصور المرسوم وعدم واقعية الارقام المقدمة من قبل رئيس الجمهورية (13.5 مليار دينار قيمة الاموال المنهوبة تشمل اكثر من 400 رجل اعمال) .

كما اعادت الايقافات الى الواجهة السياسات التي تم اعتمادها في التعاطي مع ملف الاموال المنهوبة ومقاومة الفساد والعلاقة الجدلية بين المال والسياسة ومجموعات الضغط المؤثرة التي تضم حتى المهربين . وكان تقرير صادر عن مجموعة الازمات الدولية اخر عام 2017 اي في فترة حكومة يوسف الشاهد قد اكد ان " 300 رجل ظل (رجال اعمال ومهربين وشبكات من الموظفين اكثرهم نفوذا في 100 مجلس ادارة يتحكمون في اجهزة الدولة ويؤثرون في خيوط اللعبة في الكواليس دفاعا عن مصالحهم الاقتصادية.

وحذرت المنظمة في تقريرها الذي حمل عنوان "الانتقال المعطَّل: فساد وجهوية في تونس" من أن مظاهر "الإثراء من المناصب" السياسية والإدارية و"المحسوبية" و"السمسرة" أصبحت "تنخر" الإدارة والطبقة السياسية "العليا" في تونس(الأحزاب، البرلمان..) .وحسب التقرير فإن " الفاعلين الاقتصاديين الذين مولوا الحملة الانتخابية لبعض الأحزاب" السياسية أصبحوا "يؤثّرون مباشرة في تعيين الوزراء وكتاب الدولة وكوادر الإدارة المركزية والجهوية والمحلية بما في ذلك الديوانة وقوات الامن الداخلي".

وحذرت من ارتفاع "الاستقطاب" و"الصراع" في صفوف رجال الأعمال (بعضهم البعض) في الساحل والمركز (العاصمة تونس) من ناحية، وبين أثرياء جدد هم "بارونات الاقتصاد الموازي وخصوصا التهريب" بالمناطق الداخلية، من ناحية أخرى.وقالت إن المهربين بالمناطق الحدودية مع ليبيا والجزائر راكموا بعد الثورة، ثروات طائلة بمليارات الدولارات وأنهم اصبحوا يبحثون عن مكانة وحظوة سياسية واقتصادية مثل تلك التي يحظى بها رجال أعمال "النخبة" في الساحل والعاصمة تونس والذين"يعطلون" (وفق المنظمة) إقامة مشاريع تنموية بالمناطق الداخلية حتى لا تؤثر على مشاريعهم ومصالحهم.

أحمد صواب لـ «الشارع المغاربي» :

أعمال لجنة الصلح الجزائي أصبحت باطلة منذ يوم 6 نوفمبر 2023

حوار : كوثر زنطور / نقل تميم أولاد سعد

اعتبر المحامي والناشط في المجتمع المدني أحمد صواب ان مسار الصلح الجزائي فشل وان عملية الإيقافات الأخيرة هي ترجمة لمقاربة «الدفع او السجن» للتغطية على ما أسماه بفشل المسار. وشدّد صواب في حوار مع «الشارع المغاربي» على ان اعمال اللجنة أصبحت باطلة منذ يوم 6 نوفمبر الجاري مؤكدا ان عمليات مقايضة وضغط تمارس على الموقوفين لاجبارهم على ابرام الصلح الجزائي.

ما هو تقييمك لمسار الصلح الجزائي؟

مسار ومنظومة الصلح الى حد اليوم فاشلان

وما هي أسباب الفشل ؟

هناك 3 اسباب كبرى على الاقل: السبب الاول منطلق التصور، ثانيا تسييس المسار وثالثا وبالخصوص ضعف النص. بخصوص منطلق التصوّر .. ارتكز قيس سعيد في تصوّره لمنظومة الصلح الجزائي على شيئين اثنين كان يتحدث عنهما طيلة سنوات. الاول تقرير عبد الفتاح عمر واعتمد من خلاله على معطيين خاطئين : المعطى الاول ان الأموال المنهوبة حسب تقرير المرحوم عبد الفتاح عمر تبلغ قرابة 13.5 مليار دينار وكان يطمح الى اكثر من هذا المبلغ. والمعطى الثاني الخاطئ الذي اعتمد عليه سعيّد وهو غير موجود في تقرير عبد الفتاح عمر هو عدد رجال الاعمال حيث قال إنه يبلغ 460 . وباستفساري عددا من اعضاء لجنة عبد الفتاح عمر أكدوا لي عدم وجود عدد محدد لرجال الاعمال وباعتبار ان المنطلق خاطئ فمن المنطقي ان تكون هناك مشاكل هيكلية تؤدي الى فشل المنظومة.

هل تؤدي المنطلقات الخاطئة بالضرورة الى فشل المسار ؟

هنا أعود إلى السبب الثاني وهو تسييس المشروع او المنظومة.

كيف ذلك ؟

أولا من خلال رصد قرابة 20 بالمائة من المداخيل لتمويل الشركات الاهلية وبالتالي خدمة المشروع السياسي للرئيس والذي يُعارض ويُناقض ويُفشل ويُلغي قانون الاقتصاد التضامني الاجتماعي الذي تم وضعه منذ سنوات ولم يتم تطبيقه الى اليوم. كما تم التسييس ايضا من خلال رصد 80 بالمائة من الاموال لتمويل مشاريع الاهالي في كل المعتمديات. وهنا اريد ان استشهد بمقال للصحفي زياد كريشان نُشر بتاريخ 25 جانفي 2022 بعنوان «الصلح الجزائي والشركات الاهلية: في رئاسوية البناء القاعدي» بمعنى ان الصلح الجزائي والشركات الاهلية والمشاريع المحلية كلها رافعات لمشروع البناء القاعدي. اما العنصر الثالث الذي يُثبت تسييس المنظومة فهي

أن تسميات كل اعضاء اللجنة وهم ثمانية تمت من طرف رئيس الجمهورية وبالتالي سيكون هناك بالضرورة ولاء للرئيس خاصة أن اللجنة تُعتبر بالقانون تابعة لرئاسة الجمهورية وليست لها لا استقلالية ادارية ولا مالي . وانهي بالسبب الثالث لفشل منظومة الصلح الجزائي وهو ضعف النص وهنا سأعطي بعض الامثلة: اولا نحن لا نعلم والى حدود اليوم سنة انطلاق التتبعات... هل هو منذ الحصول على الاستقلال الداخلي في سنة 1955 ام هو منذ الحصول على الاستقلال الكلي في سنة 1956 ام هو مع اعلان الجمهورية في سنة 1957 ام هو مع بداية الاستعمار الفرنسي لتونس في سنة 1888 .ثانيا: مدة اعمال اللجنة ..المرسوم لا يشير الى تاريخ انتهاء اشغالها وهو ما يطرح مشكلة. ثالثا غياب الواقعية والسؤال المطروح هو كيف سيتم احتساب الاموال المنهوبة؟.. تقدير قيمة الاموال التي يتم الحصول عليها يتم منذ سنة حصول الانتفاع وهذا خاطئ ... تقدير قيمة الاموال يتم باحتساب سنة حصول الانتفاع مع 10 بالمائة سنويا مع احتساب قيمة التضخم كما تحدّد ذلك الجهات الرسمية وسأعطي مثالا على ذلك... تم الحديث عن رجل اعمال اقترح 3000 مليون دينار. لو افترضنا ان بداية الانتفاع انطلقت منذ سنة 2007 مع احتساب نسبة 7 بالمائة كمعدل لنسبة التضخم مع نسبة 10 بالمائة سنويا دون الاعتماد على الاحتساب التراكمي اي من خلال احتساب نسبة 10 بالمائة على مجموع الاموال يعنى ان على من اقترح 3000 مليون دينار ان يدفع الان 8000 مليون دينار وهو ما يعنى اكثر من ضعف ميزانية التنمية المرصودة في ميزانية 2024 ... يعنى ليست هناك واقعية.

غياب الواقعية فقط في الأرقام ؟

لا... مثلا المشاريع داخل المعتمديات والتي سيتم رصد 80 بالمائة من الأموال المسترجعة لتمويلها. وفق مرسوم الصلح الجزائي يجب تقديم عريضة من طرف الفي شخص لتبني مشروع اضافة الى دراسة كاملة ودقيقة بينما هناك معتمديات لا يتعدى عدد سكانها الألف شخص. الدليل الاخر على غياب الواقعية يتعلق بالآجال وهي في اعتقادي غير معقولة وكنت قد اشرت الى ذلك سابقا وتحدث عنها رئيس الجمهورية ايضا.. كيف يمكن القيام باختبار او بعملية صلح مع رجل اعمال له عديد الشركات وبالتالي عديد المشاكل والملفات من ديوانة او جباية وغيرهما في عضون 20 يوما ؟ هذا مستحيل ... مستحيل .. المرسوم لم ينصص على الجهة التي تُحدد قيمة اتعاب الخبير... سمعت عديد الاطراف تقول انها ستقع على كاهل طالب الصلح وهذا غير صحيح ولم يتم توضيح الامر لا من خلال اصدار مذكّرات من طرف اللجنة او من طرف رئاسة الحكومة او عبر اصدار بيان توضيحي من قبل رئاسة الجمهورية ..الرئيس تحدث عن وجود 200 ملف للصلح... من المستحيل البت فيها في 4 اشهر فقط وان تم ذلك فسيكون عبر خرق الاجال او من خلال التسويف ولا يوجد اي حل آخر.

تحدثت عن ضعف النص... عمليا كيف لاح ذلك بعد عام من بداية المسار ؟

ضعف النص يتجلى في وجود تضارب هيكلي مع مؤسسات أخرى : اولا مع لجنة المصادرة. مثال على ذلك ملف عماد الطرابلسي الذي تم تجميد امواله ولا يمكنه بالتالي دفع التعويضات بما يعكس غياب تنسيق مع مرسوم المصادرة. ثانيا مع قرارات هيئة الحقيقة والكرامة وثالثا مع لجنة استرجاع الاموال المنهوبة في الخارج. الفصل الثالث من مرسوم الصلح الجزائي ينص في فقرته الثانية على ان المرسوم يشمل كل شخص مادي او معنوي لم تُستكمل في شأنه اجراءات مصادرة امواله واسترجاعها من الخارج. وسأعطي مثالا على ذلك: شخص يملك 3 منازل تمت مصادرة اثنين منها فقط والثالث لم تتم مصادرته ... المنزل الثالث يصبح ملكا للخارج ... هذا الشخص يصبح بمقتضى الفصل الثالث للمرسوم مشمولا بالصلح الجزائي. ويشمل المرسوم اي عون عمومي اضرّ بالادارة وهو ما يتعارض مع قانون المصالحة الادارية الذي تم سنّه في عهد الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي.. هناك اذن تضارب مع 4 مؤسسات قانونية اخرى على الاقل هي مؤسسة المصادرة وهيئة الحقيقة والكرامة ولجنة الاموال منهوبة بالخارج وقانون المصالحة الادارية... هذه هي اسباب الفشل الموجودة حتى قبل انطلاق اعمال اللجنة.

ما هذا الضعف في النص، كيف كان أداء اللجنة؟

سنتحدث عن تجاوز القانون. الفصل الثامن من المرسوم ينص على وجوب نشر أمر يخص المنح الشهرية لاعضاء اللجنة وهو ما لم يحدث والفصل 11 من المرسوم نص على وجوب سد الشغور باللجنة في مدة لا تتجاوز 10 ايام وهو ما لم يحدث ايضا. اذن اللجنة ورئيس الجمهورية يخرقان المرسوم.. الفصل 13 من المرسوم ينص على وجوب اصدار النظام الداخلي في مدة لا تتجاوز 15 يوما وهو امر لم يحدث الى حد الان وتحديدا بعد مرور 10 اشهر على انطلاق اعمال اللجنة اضافة الى غياب الشفافية عبر عدم اصدار التقارير الدورية .

هل أثبتت التجربة حتى الآن ان المجلس الأعلى للقضاء كان صائبا في تحفظاته على مرسوم الصلح الجزائي ؟

كانت للمجلس الاعلى للقضاء الذي كان ضد مرسوم الصلح الجزائي واعتقد ان ذلك كان وراء حله وتعويضه بالمجلس الاعلى المؤقت للقضاء 3 تحفظات كبرى على المرسوم نشرها في 5 جانفي 2022 ومن اهمها ان لجنة الصلح تعتبر محكمة استثنائية والمحكمة الاستثنائية لا تضمن الحياد ولا الاستقلالية ولا حق المواجهة ولا حق الدفاع وما شابه. من بين اعضاء اللجنة 3 قضاة يختارهم رئيس الجمهورية ومن بين الخمسة الباقين عضوان الاول يمثّل المكلف العام بنزاعات الدولة وهي ادارة عامة والثاني الوزارة وبالتالي فإن ربع تركيبة اللجنة هم اطراف في النزاع وهذا سبب تسميتها بالمحكمة الاستثنائية ... المجلس الاعلى للقضاء المحل اعتبر ايضا ان ارساء لجنة الصلح سيؤدي فعليا الى انهاء القطب الاقتصادي والمالي. واذا اخذنا رأي المجلس الاعلى للقضاء بعين الاعتبار واعتبرنا ان اللجنة محكمة استثنائية فقد تم خرق الدستور الساري حينها وهو دستور 2014 والذي كان لا يزال نافذا حين تم اصدار مرسوم الصلح الجزائي ويمنع ارساء المحاكم الاستثنائية.

الا يمكن التدارك خاصة ان رئيس الجمهورية تحدث عن تعديلات ؟

ما أعاينه ويعاينه عديد الملاحظين انه كلما تجلى فشل اللجنة كلما ارتفع عدد الايقافات في صفوف رجال الاعمال وخاصة من طرف النيابة

• تصريحات قيس سعيد تشير الى امكانية ملاحقة اعضاء اللجنة بتهمة الاضرار بالادارة وتحقيق منافع للغير دون وجه حق

• هناك مقايضة وضغط على الموقوفين لإجبارهم على ابرام الصلح الجزائي

• رئيس الجمهورية واللجنة خرقا مرسوم الصلح

العمومية ...النيابة العمومية تحت إمرة وزيرة العدل والتي تأتمر بأوامر رئيس الجمهورية وهو احد اسباب فشل اللجنة ويؤكد المقايضة التي تحدث عنها رئيس الجمهورية «السجن مقابل الصلح» وهذا يدل على تضارب واضح عبر الحديث عن الصلح وعن السجن في نفس الوقت وبالتالي هناك رابط بين فشل اللجنة والايقافات الاخيرة في صفوف رجال الاعمال ... تم ايقاف 6 رجال أعمال كبار ومعروفين على الاقل خلال الأسابيع الثلاثة الاخيرة على غرار ماهر شعبان ورئيس هلال الشابة توفيق المكشر ومروان المبروك ورضا شرف الدين وعبد الرحيم الزواري.

هناك مقايضة وضغط على الموقوفين لإجبارهم على اجراء صلح جزائي. اما بالنسبة لرجال الاعمال الذين لم يتم ايقافهم فيتم تلفيق قضايا لهم وايقافهم لإجبارهم على اجراء صلح جزائي ..انتقلنا من التمشي الارادي الذي ينص عليه المرسوم الى التمشي القسري وهو السجن .

ماذا عن مدة اشغال اللجنة ؟

تركيبة اللجنة محددة في المرسوم الذي نص على أن يتم تغييرها كل 6 اشهر والقانون لم ينص على ذلك وبالتالي المبدأ ينص على بقاء اعضائها ...اللجان والهيئات الاخرى ملزمة وفق المراسيم المنظمة لها بمدة اعمال محددة على غرار هيئة الحقيقة والكرامة ولجنة استرجاع الاموال المنهوبة بالخارج وبالتالي في حال غياب التنصيص على مدة اعمال اللجنة فالمبدأ هو مواصلة اعمالها الى اجل غير محدد.

ومتى انتهت اجال اعمال اعضاء اللجنة بالتركيبة الحالية ؟

الخطأ الشائع انها انتهت يوم 11 نوفمبر.. قمت بحساب آجال اعمال اللجنة بالتدقيق على اعتبار ان الشهر وفق فقه القانون هو 30 يوما وليس 31 يوما او 29 يوما وطالما ان اعمال اللجنة انطلقت يوم 11 ماي اي 180 يوما وبالتالي انتهت مدة اعمال اللجنة يوم 6 نوفمبر الماضي واصبحت اعمالها باطلة ومعدومة بسبب عدم الاختصاص في الزمن... رئيس الجمهورية تحدث يوم 10 نوفمبر الجاري عن وجوب التنقيح وهذه نتائج التعنّت.. تنقيح الاجال وفترة الاختبار هو ما سبق ان قلناه واشارنا اليه سابقا حين صدر المرسوم وبالتالي خسرنا تقريبا سنة و8 اشهر والان لا يمكن تغيير المرسوم الا بقانون وهو ما يتطلب وقتا طويلا يتم خلاله طرح مشروع قانون يمر بالضرورة عبر اللجان ومن ثمة إلى المجلس الاعلى المؤقت للقضاء... حديث رئيس الجمهورية عن التنقيح يعنى ضمنيا ان الامور لم تسر مثلما يجب. النقطة الثانية وهي الاخطر في تصريح رئيس الجمهورية الاخير هي حديثه عن رجال اعمال اقترحوا سابقا دفع الاف المليارات واصبحوا الان يقترحون مبلغ 30 الف دينار واشارته الى ان اللجنة اقترحت مبلغ 4 مليارات .. السؤال كيف كيّف رئيس الجمهورية هذين المبلغين ؟ وهنا وجبت قراءة ما بين السطور والاخطر من ذلك قوله ان ما اقترحته اللجنة غير كاف.. ما معنى غير كاف ؟ يعنى ان اللجنة متواطئة او انها لا تجيد عملها وهنا اريد ان اشير الى انه يمكن لأعضاء اللجنة ان يلاحقوا مستقبلا بتهمة الإضرار بالادارة وتحقيق منافع للغير دون وجه حق .

هل تنوب في ملف معني بالصلح الجزائي ؟

بصفتي متابع للملف منذ بدايته رفضت من منطلق اخلاقي أن أنوب في أي ملف امام لجنة الصلح الجزائي نظرا لوجود وضعية غير اخلاقية لكي لا اقول تضارب مصالح... لا يمكن لأي محام له موقف من شخص ان ينوبه لاحقا في ملف والاخطر من ذلك ان ينوب المحامي اللجنة والمتهم في نفس الوقت.. هناك من رجال الأعمال من يختارون محامين موالين للرئيس للدفاع عنهم امام اللجنة لذلك اخترت مواجهة هذا المشروع بسلبياته وبايجابياته دون أن انوب عن اي طرف امام اللجن. انا مع مبدأ الصلح الجزائي ولكن ليس بهذه الطريقة وانما عبر اجراء الاستشارات والشفافية المطلقة و»الصنعة «.

رئيس حكومة تونس:

«مائة يوم مِن العزلة»

صالح مصباح

كَم كان جميلا حلمُ "خوسيوأركاديو" بطل رواية "غابريال غارسيا ماركيز" (1927 - 2014) الشهيرة "مائة عام من العزلة". رأى"خوسيو" في منامه مدينة جميلة أخّاذة. صار حلمُ منامه حلمَ يقظة فقرارَ فعل. لقد قرّر "خوسيو" أن يبنيَ في المكان مدينة جميلة جمال التي رأها في الحلم؛ مدينة "ماكوندو". كم كان "ماركيز" روائيا مبدعا في" سحريته الواقعية" أوفي "واقعيته السحرية". فهل في تونس "خوسيوأركاديو" له القدرة على الحلم بتونس "ماكوندية"؟.

إن شرط الأحلام الجميلة هواليقظة الضاحكة، وخَدَرُ ما قبل النوم الباسمُ، واليقظة بمزاج حسَن ونفس أمّارة بالفرح والفعل. لكن النوم في تونس واليقظة هما نوم ويقظة في بلد الحزن الدائم، والنفوس الكسيرة، والوجوه العبوسة، والصراخ الحانق، والصمت اللعين. أغلب التونسيين حزانى، وسكارى وهم سكارى، وسكارى وما هُم بسكارى. ومثَل التونسيين في العبوس والصراخ رئيس دولتهم، وفي الصمت رئيسُ حكومةِ رئيسِ دولتهم. فمن أين تتراءى للنُّوَّم الأحلامُ الجميلة؟ إن أجفانهم لتتوسل إلى النوم في غمضةِ عين عارضة. فإن طالت زارَتهم في المنام كوابيسُ قمامةِ المدينة، وجولةِ رئيسِهم بين أكداسها، وزارَهم اصطفافُهم فجرا من أجل الخبز، وشِبهُ موتهم بالعلاج العمومي، والإحتيار في مصادر الأبناء، وعذاب القبر في النقل. فما من تونسي اسمه "خوسيو أركاديو" قادر على الحلم والفعل.

في تونس اليوم مدة المائة يوم كالمائة ساعة وكالمائة عام. لا فعل يُذكَر فاعلُه، ولا كلام يُرَى قائلُه. الزمن ثابت أو إلى الوراء يَدور. فعَدّادُ الفعل عدّاد زمن، وعدّاد الصمتِ عدَّاد عُزلة.

قال رأس الدولة التونسية: لقد

اخترت لكم رئيس حكومة، وسأبني وإياه "ماكوندو تونس". تفاءل بعض القوم خيرا. تفاءلوا، تواطؤوا بينهم وبين أنفسهم. فقد نكّلت كوابيس اليأس بيقظتهم وبنومهم القليل. ومرت على تعيين الرجل مائة يوم فحقّ التساؤلُ.

موجب التساؤل أن المُعيّن في منصب عمومي رفيع إنما يساءل بعد مرور مائة يوم عمّا قدّم وعمّا أخر. فقد استقر في شتى الدول أن هذه المدة هي معيار ينشر بمقتضاه المُعيَّنُ البخار الذي تبشّر رائحتُه بالقادم من أدائه. فهي فترة إمهال أقرتها الأعراف، يطلعُ أثناءها المكلف على مقتضيات منصبه، وعلى ما له فيه وما عليه، ويصطفي طاقمه الاستشاري والإداري، ويضبط التحديات والأهداف، والخطط المستعجلة والآجلة، والحال التي عليها المؤسسةُ المعينُ على رأسها، ويُشهر الرؤية السياسية الناظمة لكل ذلك .

وعلى هذا النحو يتدرّج المسؤول المكلف بعد المائة يوم أو أثناءها، فينشر بخار مطبخه القادم. ويكون ذلك في العرف بخطاب يتوجه به إلى الشعب يفصح فيه عن تلك المحاور وعن بصمته في المنصب ضمن المنهج الرسمي العام. لكن رئيس الحكومة التونسية قضى المائة يوم وكأن الزمن توقف عند لحظة أدائه اليمين ليلا، أو كأنّ مَن دعاه إلى أداء اليمين ليلا أراده رئيسَ حكومة شبحيا.

لكأن السيد الحشاني عُين ليصمت، أو اختاره من اختاره لِيُخفيَه عن المواطنين أو ليخفيَ المواطنين عنه. لا بل إن ظهور "منظوريه" من الوزراء في فضاء الحكم يفوق ظهوره فيه. ثم إن صوتَه لم يُشنّف مسامعَ المواطنين إلا حين زار مدرسة في فاتحة السنة الدراسية. فقد نطق، بعد كَدٍّ، بأحرف تفصل بينها مسيرة يوم، ثم مَأمأ ومَهمَه ووَكوَك وقال تلك المعلقة التي بيانها "ما ثَمَّ حتى واحد كيفو".

في المائة يوم التي أمضاها رئيس الحكومة في منصبه، جدت أحداث جسام دوليا ووطنيا، وشحّت في بلادنا سلع وشقت مجتمعنا مظاهر لافتة خطيرة. وأغلب ذلك أو بعضه من مهامه باعتباره الرئيس المباشر للفريق الوزاري. لكن السيد الحشاني" لم يَحِشَ لها حيّة أو ميتة".

قد يقال إنه رئيس حكومة في نظام سياسي كل المفاصل فيه بأيدي رأس الدولة. فهل هذا التعليل كاف ليكون رئيسا للحكومة دالا مُستترَ المدلول، مُبهَم الصورة "الأكوستيكية"، مُغيّب المدلول والمرجع؟. المرجّح أنه ليس كافيا. فرئيس الحكومة، وفق دستور الإمامة ، هو حلقة الوصل بين رأس الدولة الذي بيده الحل والعقد والإبرام والنقض، والفريق الحكومي الذي أتقن رياضة الإنصات. وإن رئيس الحكومة هو قائدُ ذلك الفريق المباشرُ. وهو على ذلك معنيّ بالشؤون التي من شأن كل وزير. فهل قال في أي مجال قولا يذكر أو أدلى بِدَلو فيه أو" كَرتل"؟.

وقد يقال إن رئيس الحكومة هذا "ضليع" في الموارد البشرية، وأن تعيينه جاء بناء على ذلك، لِيَتولى" تطهير الإدارة" ومراجعة التعيينات غير السليمة فيها. وإن هذا الهدف لأكيد جليل. لكن الذي قد يبدو وجيها أنه مهمة إدارية تقنية يمكن أن يتولاها وزير أو مدير عام إذا كانت الإرادة السياسية جادة فيها. فقد لا يبدو وجيها تبذير منصب رئيس حكومة في هذه المهمة. فلعل أحد أهم مفاتيحها هو وزارة المالية التي لديها سجلات التعيينات وأزمنتها وأجور أعوانها وترقياتهم ومنح مهامهم ووظائفهم الخ...وإذا كان يجب أن يتولى المهمة رئيس حكومة، فأين خطته في ذلك بعد المائة يوم؟!. لكأن السيد الحشاني هو رسميا رئيس حكومة، وهو فعليا مستكتب في إدارة فرعية. فهل بهذا التمشي الذي هو مائة يوم من العزلة سنحلم ببناء تونس "ماكوندو"!؟ وأنَّى ستَسكُننا الأحلام " الخوسَوية"!؟.

قمّة النفاق وخذلان المظلوم

نهلة عنان - كاتبة

جمعت القمّة العربية الإسلامية الطاااارئة قادة عن نحو 30 دولة في جميعها الإسلام هو الدين الذي يمثّل أكبر نسبة لشعوبها.

المشاركون في هذه القمّة يدينون بإسلام المنظومة الفقهية ذات القواعد الخمسة الشهيرة وهي:

-شهادتان بالقول -أداء الصلاة الحركية خمس مرات في اليوم -دفع زكاة المال كلّما دار الحول -صوم أيام شهر رمضان -الحجّ إلى الكعبة (مرّة للمستطيع)... وقد زادوا عليها قاعدة سادسة مستجدة في غفلة من المنظومة الفقهية وخلال نوم وسبات المسلمين المقلدين هي حماية الأمن القومي لكلّ بلد وهي قاعدة لا يستقرّ تعريفها إلّا كما تستقرّ ألوان الحرباء...

...

من هذا المنطلق (أي من منطلق إسلام القواعد الخمسة للمنظومة الفقهية) فإنّ القادة الموقرين -الذين يفترض بهم أن يمثلوا موقف أكثر من مليار نسمة من الشعوب المسلمة في مقابل ما يحدث للفلسطينيين في غزّة والضفّة- لم يخرجوا عن دين الإسلام... باعتبار أنّ تلك القواعد مضمونة الأداء من طرف كلّ تلك الشعوب بما فيها أهل غزة والضفة... بما أنّه لم يمنع أحد عن الفلسطينيين النطق بالشهادتين أو أداء الصلاة الحركية أو إيتاء زكاة المال أو صوم رمضان أو الحجّ لبيت الله الحرام...

...

ولكن من منطلق إسلام القرآن فهؤلاء القادة ومن ورائهم من رضي واستكان لموقفهم كلّ أولئك مكذّبون بدين الإسلام الذي جاء به القرآن.

نعم. هم مكذبون بدين الله من منطوق القرآن الذي يبين في سورة الماعون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴿٧﴾

...

طبعا ليست هذه الحجة الوحيدة من القرآن على أنّ هؤلاء القادة ومن ورائهم من صدّق إسلامهم وتبناه، كلّ أولئك مكذبون بالدين لأنّهم اخترعوا دينا موازيا تنطق باسمه كتب موازية كصحيح البخاري وغيره من القائمة الطويلة. ففي آية أخرى يقول الله تعالى في سورة البقرة:

لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴿١٧٧﴾

...

فهل هناك اليوم على ظهر البسيطة من هو أكثر حاجة للطعام والماء والدواء والحماية من أهل فلسطين ؟؟؟ فأين القادة المسلمون مما يأمرهم كتاب الله حين يكتفون بالتنديد والرفض والاستنكار ويحتّوووووووووون على إيقاف صبّ الموت على الناس في تلك البقعة من الأرض؟؟؟

هل يصدقون أنفسهم حين يوهموننا بأنّهم يأملون في أن تستجيب القوى الظالمة والمجرمة لمجرّد دعواتهم ومطالباتهم وحثهم من تلقاء نفسها في التوقّف عن إعدام العقبة الوحيدة التي طالما وقفت في وجهها دون السيادة المطلقة والنهائية والمؤبدة على الأراضي الفلسطينية؟؟؟ لو كانت أخلاقها بحيث ينهاها التنديد والمطالبة والحثّ إلخ... لما أقدمت على ما تقدم عليه من إجرام لا سابقة له في تاريخ الإنسانية!!! فإذن كفانا استهزاء وسخرية وضحكا على الذقون... وكفى الشعوب دسّا لرؤوسها ضمن سلوك حكامها حيال الدين المدّعى، تدين بما يسمح لها من الممارسة: شهادتان بالقول وصلاة حركية وصوم لرمضان وحجّ للبيت العتيق لا شأن لدينهم كحكام بحال الجائع و الخائف والمتألّم والمظلوم المقهور المسلوب الحقوق على مرأى ومسمع من «المسلمين» الأتقياء» «المتدينين»... فهذا دينهم هو دين التكذيب بإسلام القرآن وليس أصدق من القرآن في تعريف دين الله...

إنّما هو اليوم الاختبار الحقيقي لصدق أو كذب إيمان المسلمين في هذه الأحداث...لذلك نرفع الصوت بالقول:

عودي يا أيتها الشعوب المسلمة إلى دين الله الحقّ وليقرأ كلّ فرد فيك كتاب الله لتعرفوا ما كتمه عنكم منه حكامكم منذ القرون الأولى حيث كان التكالب على السلطة وحكم رقاب الناس وما زال ولا ينقطع أبدا ما وجد لذلك سبيلا بعنوان الدين باعتبار أن الله تعالى أمر الناس أن يطيعوا ولاة أمورهم. ولكنّ الجهلة بدينهم هم فقط من يصدق بأنّ الله يأمر بطاعة كلّ من جاء يحكم الناس ولو كان ممن تصف سلوكه سورة الماعون من الذين يكذّبون بالدين عبر منع الطعام عن مستحقيه يرائي الناس ولا يذكر الله إلّا قليلا ولا يذكره إلّا استعراضا لتدينه المزعوم... لم يترك الله الناس غافلين تحت توجيه مكر ونفاق الساعين للحكم من الملوك وشيوخ الدعوة المساندين لهم المروّجين لصلاحهم وفساد غيرهم... فقد نبهنا الله العظيم في كتابه العزيز من سورة هود بأن لا نركن للظالمين فيكون مصيرنا عذاب النار يقول:

وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾.

لن ينفع المسلمَ شيخُه ولن تشفع له حجة أنّه أطاع ولاة أمره بما أمره الله من طاعتهم فأضلوه. لأنّ الله تعالى قد بيّن للناس دينهم في كتابه الذي وعد بحفظه دونا عن أيّة نصوص أخرى. فمن شاء واصل اتباع ولاة أمره في دينهم الذي ابتدعوه والذي يقتصر على قواعده الخمسة التي أوصلتنا إلى هذا القهر أمام المجرمين المعتدين وقد سمعنا بيانهم الختامي في قمتهم المخزية . تلك القواعد الخمسة التي لا نجدها في القرآن. ومن شاء فليتبع سبيل ربّه في القرآن حيث قواعد الإسلام أكثر من ذلك بكثير وأعلى درجة من الخمسة الشهيرة وفيها الاستقامة لله بالقول والعمل وإطعام المسكين ونصرة المظلوم والذود عن الحمى ورعاية اليتيم وووووووو...

يقول الله تعالى لرسوله في سورة الأنعام ليبلّغ للناس رسالة ربّهم:

قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴿١٠٦﴾...

النهضة والمصمودي...

أنس الشابي

قبل أيام نشرت حركة النهضة بيانا تبرّأت فيه من تصريح لرضوان المصمودي جاء فيه أنّها: تُؤكّد أنّ ما ورد بتدوينات وتصريحات رضوان المصمودي لا يعبّر عن مواقف الحركة ولا يُلزم إلا صاحبه. كما تُذكّر بأنه "لم تعد لرضوان المصمودي صلة بهياكل الحزب منذ استقالته في شهر أوت 2021". هذا النوع من التبرّئ مارسته النهضة مع كلّ قياداتها ممّن صرّحوا بما لا يتلاءم مع التوازنات السياسية وفق ما ترى والأمثلة على ذلك لا عدّ لها ولا حصر. وهو ما يطرح إشكالا سياسيّا ومعرفيّا حول جدية ما يصدر عنها وعن قياداتها من مواقف وتصريحات من شأنها أن تربك العملية السياسيّة برمّتها من ناحية وتؤكّد أنّ الحركة تعتمد الازدواجيّة في الخطاب والممارسة لتحقيق أهدافها المُضمرة من ناحية أخرى.

المصمودي مع القيادي في النهضة أحمد قعلول عندما كان وزيرا للشباب

المصمودي ونجيب الشابي والصحبي عتيق وعلي العريض

فما صنعته اليوم مع رضوان المصمودي من تسفيه خطاب سبق لها ان صنعته البارحة مع الشيخ محمد الأخوة. وبيان ذلك أنّ الحركة شاركت في انتخابات 1989 بدعمها قائمات مستقلّة ترأس فيها الشيخ قائمة العاصمة. وفي تصريح شهير له لمجلة "المغرب" بتاريخ 14 أفريل 1989 طالب بعودة الرقّ وتطبيق الحدود وإلغاء مجلة الأحوال الشخصيّة وتعدّد الزوجات وغير ذلك. وقد كان لهذا الحديث وقع الصدمة لدى النخبة التي انتفضت وردّت على هذا الخطاب وهو ما أشعر قيادة الحركة بالحرج، وكعادتها تبرّأت من الشيخ وكلامه. قال الغنوشي ان الردود: "لم تتعامل معه (يقصد الشيخ الأخوة) بمقتضى أخلاقيّات الحوار الفكري مع تعمّد الخلط بين صفة الشيخ كعالم يُسأل عن رأي الدين فيجيب بحسب ما يهديه إليه فهمه وفكره بقطع النظر عن الزمان والمكان وبين صفته السياسيّة كرئيس لقائمة مستقلّة لها برنامج محدّد... ولقد أكّد الشيخ أنّه بصفته الثانية لم يطالب قط بالتعدّد الزوجي مثلا على حين اعتبره بصفته الأولى حلا استثنائيا يلجأ إليه عند توفّر الشروط"(1). وفي شهر جانفي من سنة 2012 طالب الصادق شورو في ما يسمّى "المجلس التأسيسي" بنفس مطالب الشيخ أي بتطبيق الشريعة وقطع الأيدي والأرجل بخلاف وهو ما تبرّأت منه الحركة قبل ما يفوق العشرين سنة، الأمر الذي يعني أنّه علينا ألّا نأخذ بجدية ما يصدر عنها من بيانات خصوصا منها التي تنقلب فيها على ما يصدر عن قياداتها. أمّا بالنسبة لحالة رضوان المصمودي فإنّ ما صدر عن الحركة بخصوص تصريحه يشتمل على جملة من الأكاذيب تفصيلها كما يلي:

1 – القول بأنّ المصمودي استقال من الحركة سنة 2021 لا يمكن أن يصدّقه عاقل لأنّ الذين أعلنوا استقالاتهم منذ ثمانينات القرن الماضي عادوا إليها في مؤتمرها الأخير. فاحميدة النيفر وجماعته الذين أحدثوا شنّة ورنّة بإعلانهم الاستقالة وتأسيسهم مجلة وناديا عادوا إلى الحركة صاغرين، وشاركوا في مؤتمرها الأخير وبعضهم عاد بصورة رسميّة كالقوماني أو بصورة غير رسميّة مثلما صنع الجورشي الذي لم يتوقّف عن الترويج للحركة ولـ"توبة" إرهابييها ممّن علقوا بسوريا. فالقول بالاستقالة دون نقض البيعة للغنوشي بذكر الأخطاء والجرائم التي ارتكبها في حقّ حركته والوطن يترك باب العودة مفتوحا على مصراعيه.

رضوان المصمودي في أريانة

2 – المصمودي ليس بالقيادي العادي الذي يسهل التفصّي من تصريحاته. فالرجل مواطن أمريكي من أصول تونسيّة بعيدة انخرط في الحركة منذ سنة 1980 حيث يعمل منذ ذلك التاريخ على الترويج لها في الأوساط الأمريكيّة. سنة 2009 ساهم في إعداد رسالة موجّهة إلى الرئيس الأمريكي باراك أوباما تدعوه إلى التدخل في بلادنا لنشر الديمقراطية عن طريق التحالف مع الإسلاميّين. وقد أمضى هذه الرسالة بعض المثقّفين من ذوي الهوى الأمريكي الإخواني كسعد الدين إبراهيم والمنصف المرزوقي وغيرهما. ونظير الخدمات التي قدّمها للحركة منذ انتسابه لها اقترحت تسميته سفيرا لتونس في أمريكا سنة 2013 وكاد أن يسمّى لولا اعتراض المرزوقي أيامها.

3 – بعد سنة 2011 وصل المصمودي إلى تونس وأسّس "مركز الإسلام والديمقراطية" الذي لعب أدوارا خطيرة في تلويث الأجواء السياسيّة والفكريّة في تونس. فقد استطاع من خلال ندواته أن يجنّد عشرات الأسماء من الجامعة ومن غيرها وأن يُحيّد البعض ويجنّد البعض الآخر. كما عقد اتفاقيات مع مؤسّسات حكوميّة ووزارات وولاة وجمعيّات للقيام بأعمال مشتركة من ذلك استهدافه الأيمّة من خلال نشاط ثنائي مع وزارة الشؤون الدينيّة أو مع

وزارة الشباب والرياضة الشباب أو في الولايات وغير ذلك. وقد لعب احميدة النيفر صاحب رابطة تونس للتعدّد والثقافة دورا محوريّا في أنشطة مركز المصمودي فهو الحاضر الدائم في ندواته ولقاءاته مع المسؤولين.

4 - لعب المصمودي أدوارا كثيرة في أمريكا حيث دأب على استضافة الشخصيّات التونسيّة النهضويّة أو القريبة منها لتعريفهم بالمسؤولين الأمريكيّين تحت غطاء الندوات التي يعقدها ومن بينهم نجيب الشابي وعلي العريض والصحبي عتيق وخالد شوكات وغيرهم.

والذي يجب أن ننتبه إليه أنّه تحوم حول تمويل هذا المركز شبهات كثيرة. فالمعهد الوطني للديمقراطية (NDI) نشر على صفحته سنة 2014 أنه موّل مركز المصمودي بما يساوي 80 ألف دولار ومنتدى الجاحظ بما يفوق 65 ألف دولار. ولا نعتقد أنّ هذه الأموال صرفت من أجل نشر الديمقراطيّة أو الإسلام أو التنوير في تونس. كما أنّنا لا نعتقد أنّ هذه التمويلات دخلت البلاد دون علم حركة النهضة الحاكم الفعلي للبلاد طوال العشريّة الماضية. ففي رسالة وجّهها الأستاذ محمد الحمّار إلى الجورشي صاحب منتدى الجاحظ والمصمودي قال: "وجاءت (ثورة) 14 جانفي 2011 وفتحتَ (يقصد المصمودي) مقرّا في تونس لمركز دراسات الإسلام والديمقراطية ونظمتَ محاضرات وندوات ولكن الذي أعيبه عليك في هذا السياق أنّ معظم من كان يشرف على هذه الفعاليّات كانوا أمريكان أو كنديّين أو أنقليز عدا بعض الوجوه المصريّة الإخوانيّة كعبد المنعم أبو الفتوح. لا أستحضر محاضرا عربيا مستقلا واحدا ناهيك أن يكون تونسيّا، ثم جاء اليوم الذي دعوتُ فيه نفسي إلى

رضوان المصمودي واحميدة النيفر مع وزير الشؤون الدينية

الجوادي والنيفر يخطب

ندوة أشرف عليها المركز مع جمعيّة أخرى وكان ذلك بنزل أفريكا بالعاصمة يومي 24 و25 جوان 2011 وكانت الندوة حول الديمقراطيّة والإسلام. كنت مذهولا بالعدد الكبير من الشخصيّات المحلية الحاضرة في الندوة، كان راشد الغنوشي حاضرا وكان عبد الفتاح مورو حاضرا وكان الشابي وحمودة بن سلامة ومهدي المبروك وغيرهم من السياسيّين في الموعد وكان البغوري والهاني وبن يونس جالسين منصتين. وبطبيعة الحال كان صلاح الدين الجورشي في صدارة المتكلمين والفاعلين. أمّا الذي فاق كلّ توقّعاتي وكبُر به ذهولي فهو الحضور المكثّف للأمريكان (ألمبي، والانداومنت فاوند، وجمعيّات أخرى فضلا عن مفكرين وممثل السفارة). ولم يقلقني شيء حصل أثناء الندوة أكثر من السلبيّة التي تقبّل بها الجمع المحلي كلمات الخبير الأمريكي في الشؤون السياسية مارك لنتش أثناء مداخلته لإبداء رأيه في الكيفية المثلى التي تصلح لتونس بخصوص الانتقال الديمقراطي والتي تقول (عليكم أن تحترموا الخطوط الحمراء ولا تتجاوزوها)"(2). بعد كلّ ما ذكر لا يمكن أن يتنزّل خطاب المصمودي إلا ضمن السياسات الأمريكيّة المدفوعة الثمن. أمّا بيان النهضة فلمسايرة الرأي العام الداخلي.

الهوامش

1) جريدة "البطل" بتاريخ 26 أفريل و2 ماي 1989.

2 جريدة "عرابيا" 26 اوت 2012.

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - فوزية ضيف الله - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي- رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

اعتبرها إدارة مارقة عن القانون :

مستثمر يتّهم وزارة المالية بالاستحواذ على أمواله والتسبب في تفليسه وإغراقه في ديون بالمليارات

محمد الجلالي

في مخالفة صريحة للقانون وزعزعة لثقة المواطن في دولة المؤسسات تعنت عديد الوزراء المتعاقبين على وزارة المالية منذ سنة 2012 في تطبيق حكم قضائي ينص على إعادة 1.3 مليون دينار الى صاحب وكالة أسفار بعد ان تم تجميدها منذ سنة 2009 لخلاص ديون شركة أخرى كان المتضرر قد تسوغ منها نزلا بمدينة الحمامات.

إجراء اداري كانت قد اتخذته القباضة المالية بنابل فحوّل المتضرر من رجل أعمال الى فقير وقضى على شركاته واغرقه في ديون بملايين الدنانير إضافة الى التسبب في سجنه 7 أشهر بتهمة اصدار شيكات بلا رصيد.

تسويغ فتحيّل

الحكاية تعود الى سنة 2008 عندما استأجر بوبكر الفهري صاحب وكالة أسفار نزلا بمدينة الحمامات وتكفل بإدخال تحسينات عليه بقيمة 5 ملايين دينار.

يستحضر بوبكر الفهري تفاصيل الحكاية قائلا: "قبل 15 سنة اتفقت مع وكالات اسفار المانية على تسويغ نزل بتونس حتى يكون قبلة للسياح. وبعد نشر اعلان في الغرض اتصل بي رئيس مدير عام سابق لبنك عمومي لاعلامي بتوفر النزل الذي ابحث عنه. وبعد معاينة النزل الكائن بمدينة الحمامات لاحظت انه في حاجة الى تحسينات كبيرة".

ويضيف الفهري "اتممت إجراءات الكراء وانفقت ما لا يقل عن 5 ملايين دينار على ترميم النزل وتحسينه على أمل استعادة كل الأموال التي صرفتها".

فرغ المستأجر من عمليات الترميم وبدأ يمني النفس بانفراج أوضاعه المالية خاصة مع بداية توافد السياح على النزل لكن إشعارا قادما من الديوان الوطني للسياحة نغص عليه فرحته.

فقد تضمن الاشعار تنبيها من الديوان بأن تصنيف النزل لا يتجاوز نجمتين على عكس الوثائق التي امدته بها مالكة النزل عند إتمام إجراءات التسويغ حسب تأكيد الفهري.

وقال الفهري انه اكتشف عند تحريه في أمر صاحبة النزل انها كانت تحتمي بأحد مستشاري الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي وان الامر بلغ بها الى حد افتعال وثائق للادعاء بأن نزلها من فئة 3 نجوم.

إشكال آخر

واصل الفهري نشاطه معتقدا ان الامر توقف عند الوثائق المفتعلة قبل ان يفاجأ بتجميد أمواله دون ان يكون لديه أي اشكال يذكر.

وأوضح ان احد البنوك اعلمه خلال سنة 2009 بأن القباضة المالية بنابل جمدت ارصدته وبأن الإدارة طالبته بتسليمها شيكات لخلاص معاليم كراء النزل لمدة سنة لسداد ديون صاحبته.

رضخ الرجل لمطالب القباضة المالية مسلما إياها 3 شيكات بقيمة جملية بلغت 500 ألف دينار على ان يتم سحبها بعد فترات مضبوطة لكن الإدارة أودت شيكا اول قبل حلول تاريخه ولما لم تجد رصيدا ضربت عقلة على املاكه ثم أودعت الشيكين الآخرين.

واصل المستثمر نشاطه وتمكّن من خلاص شيكين من جملة ثلاثة قبل أن يفاجأ مرة أخرى بأنه تم تجميد أرصدته الأخرى وفق تأكيده.

وأوضح ان القباضة جمّدت حساباته لخلاص ديون متخلدة بذمة مالكة النزل المقدرة بـ 1.3 مليون دينار عوض تسوية وضعيتها بعيدا عن شركاته وحساباته المالية مشددا على ان القباضة تلقت تعليمات بتجميد حساباته عوضا عن حسابات المالكة باعتبار انها كانت مسنودة من احد مستشاري بن علي.

ولفت الى انه تفطن بعد ذلك الى وجود مخطط كامل لاستغلاله والاستحواذ على أمواله وإلى ان مستثمرا مقربا من نظام بن علي كان ضالعا في المؤامرة.

وأوضح ان المستثمر المشار إليه اتصل به بعد أن انفق 5 ملايين دينار على ترميم النزل وتحسينه لاعلامه بأنه اقتنى النزل بعد اخضاعه الى تسوية قضائية بما يعني ضياع كل الأموال والاستثمارات التي صرفها طيلة سنتين إضافة الى تجميد أمواله في ملف لا يتحمل فيه اية مسؤولية.

وذكر أن من عواقب عملية التفليس التي تعرض لها اصدار احكام بالسجن في حقه بمدة 123 سنة بعد ان رفع عدد من المزودين قضايا للمطالبة بخلاص ديونهم.

حينها تضافرت جهود أبنائه واقاربه وأصدقائه لخلاص الشيكات بما أدى الى تنزيل مدة سجنه الى 7 أشهر فقط حسب تأكيد نفس المصدر.

الفهري أفاد بأنه لجأ الى رفع قضية بالقباضة المالية في نابل وبأن المحكمة انصفته سنة 2012 بإصدار حكم يقضي باسترجاع أمواله منها مشيرا الى انه استبشر خيرا مع اندلاع ثورة 2011 باعتبار سقوط نظام جائر ومعه من تسببوا في تفليسه.

على مدى سنوات طويلة طالب الفهري قباضة نابل بتمكينه من أمواله لكن رد القباضة كان أن دورها يقتصر على تجميد الأموال وان تسريحها يعود بالنظر وزارة المالية.

كما راسل المتضرر اغلب الوزراء الذين تعاقبوا على وزارة المالية دون ان يتمكن من الحصول على حقه المشروع والمضمّن في حكم قضائي بات.

في هذا السياق كشف الفهري أنه التقى في سبتمبر 2020 علي الكعلي وزير المالية آنذاك وأن الوزير اجابه ساخرا حين طالبه بأمواله المودعة بخزينة الدولة "هل يعود الميت الى الحياة بعد مواراته التراب؟ ذلك هو مصير اموالك".

وتابع: "بعد مغادرتي مقر الوزارة بلغ الى مسامعي ان الوزير أمضى على قرار لتمكيني من 189 ألف دينار ثم حصلت على نسخة من القرار".

وأكد ان مديرا عاما سابقا للمحاسبة العمومية عمد إلى اتلاف وثيقة قرار الوزير بدل تنفيذه."

وأضاف الفهري انه نشر نسخة من القرار على موقع التواصل الاجتماعي "فايسبوك" وأن ذلك دفع سهام نمصية وزيرة المالية الحالية إلى إقالة المدير المذكور.

وجاء في قرار الوزير على الكعلي الممضى يوم 14 سبتمبر 2020 والذي حصلت اسبوعية "الشارع المغاربي" على نسخة منه انه "يُصرف من الاعتمادات المرسمة بميزانية وزارة المالية مبلغ 189 الف دينار لفائدة شركة بوبكر الفهري".

أريد مستحقاتي

واصل المتضرر دق أبواب الوزارة وقباضة نابل لتذكير الادارتين بأمواله المجمدة بصفة غير مشروعة وكانت آخر مراسلة وجهها الى أمين المال الجهوي للقباضة المالية بالحمامات يوم 10 مارس 2022 دون أن يتلقى أي رد.

وتساءل الفهري "هل يعقل ان احصل منذ 2012 على حكم قضائي يقضي باستعادة أموالي من القباضة المالية بنابل وعلى قرار وزاري ينص على تمكيني من 189 الف دينار وهو جزء ضئيل من مستحقاتي دون ان تعمل القباضة او الوزارة على تطبيق القانون؟"

واعتبر ان الإدارة باتت مارقة عن القانون وانها ضربت بحكم قضائي بات وبقرار صادر عن وزير المالية عرض الحائط.

يذكر ان الفهري وجّه يوم 6 نوفمبر الحالي مراسلة الى مؤسسة رئاسة الجمهورية لمطالبتها بـ "رفع المظلمة وتمكينه من أمواله المجمدة منذ 2009".

واعتبر في نفس المراسلة انه كان ضحية عملية فساد أدت الى التنكيل به وحرمانه من حقوقه رغم حصوله على حكم قضائي لفائدته.

وختم بالقول "هكذا إذن تسبب قرار اداري جائر يعود الى ما قبل الثورة في تفليسي وتشريدي والى يوم الناس هذا لم استرد أموالي المسلوبة من حساباتي حتى بعد سقوط دولة الفساد وتداول حكومات طالما ادعت مكافحته.

قيس سعيّد واتّفاق الشّراكة مع الاتّحاد الأوروبي (1):

ابتزاز وخضوع ومزايدات باسم السّيادة الوطنيّة

بقلم : جيلاني الهمامي

أعلن رئيس الدولة قيس سعيد يوم الثلاثاء 2 أكتوبر 2023 الماضي في لقاء مع وزيره للخارجية رفض ما أعلنته المفوضية الأوروبية قبل أيام من مساعدات مالية لتونس. وجاء على صفحة رئاسة الجمهورية "أكّد رئيس الجمهورية على أنّ تونس التي تقبل بالتعاون لا تقبل بما يشبه المنّة أو الصدقة فبلادنا وشعبنا لا يريد التعاطف بل لا يقبل به إذا كان دون احترام" وتضيف صفحة رئاسة الجمهورية، "فإنّ تونس ترفض ما تمّ الإعلان عنه في الأيام القليلة الماضية من قبل الاتحاد الأوروبي، لا لزُهد المبلغ فخزائن الدنيا كلها لا تساوي عند شعبنا ذرة واحدة من سيادتنا، بل لأنّ هذا المقترح يتعارض مع مذكرة التفاهم التي تمّ توقيعها في تونس ومع الروح التي سادت أثناء مؤتمر روما في جويلية الفارط".

وفي ما فوجئت العاصمة الأوروبية بروكسيل بهذا التصريح، فقد حاول ممثل الاتحاد الأوروبي في تونس التخفيف من الأمر راجيا ألا يكون في الأمر سوء تفاهم. ولكن أكد من جانبه ما معناه أن لا مبرر لتصريحات قيس سعيد بالنظر كما قال إلى "أنّكلّ الأمور على ما يُرام، واتّخذت المسار الذي يعكس مصداقية الشراكة بين تونس والاتّحاد الأوروبي". ورمى بالكرة في ملعب قيس سعيد حيث قال في حديث لراديو محلي "إنّ تصريحات الرئيس قيس سعيّد تتعارض مع ما كان متّفقا عليه".

وقد ذهب المراقبون اتجاهات مختلفة لتفسير هذا الموقف المفاجئ من الرئيس التونسي الذي بذل جهودا كبيرة قبل شهرين من أجل إبرام اتفاقية تفاهم مع الجانب الأوروبي بخصوص ملف الهجرة ختمه بحضور ما سمي "مؤتمر روما" حول هذا الموضوع. فأتباع الرئيس هبوا، وهو شيء متوقع منهم، لينفخوا في حجم هذه التصريحات ومدلولاتها وليعطوها أبعادا ربما لم يقصدها صاحبها نفسه. وقدموا الأمر على أنه بطولة غير مسبوقة وآية من آيات الوطنية الخ...

ولكن بعيدا عن مديح "الأنصار" وتحامل المتحاملين لنحاول البحث في الدوافع التي دفعت قيس سعيد إلى الإدلاء بهذا التصريح ومقاصدها وأهدافه من وراء ذلك.

للتذكير فإنّمذكرة التفاهم التي وقعت عليها تونس والاتحاد الأوروبي بتاريخ 16 جويلية الماضي والمسماة Mémorandum d'entente sur un partenariatstratégique et global"مذكرة تفاهم حول الشراكة الاستراتيجية والشاملة" هي كما يدل عليها اسمها "مذكرة تفاهم" عارية عن الصفة القانونية الملزمة للأطراف الموقعة عليها تضمنت سلسلة من البرامج التي تتعلق بخمسة ميادين مختلفة سنأتي إلى تفصيلها لاحقا. ويأتي هذا الاتفاق كتتويج لمسار من الاتصالات والمشاورات كان لقاء 11 جوان الماضي محطته الأبرز. وكانت رئيسة الحكومة الإيطالية يوم التوقيع على اتفاقية التفاهم نوّهت "أنّ هذا الاتفاق هو تتويج لعمل ديبلوماسي جبار"

ممهّدات اتفاقية التفاهم

انطلقت المساعي من الجانبين منذ مدة. وكان لكل من الطرفين منطلقاته ودواعيه وحساباته. وبدأ كل منهما العمل على هذا الملف. فسعيد الذي تعثرت كل مساعيه للحصول على قرض من صندوق النقد الدولي ويئس من وعود "الإخوة الخليجيين" كان في حاجة ماسة إلى مصادر تسليف بديلة ويرى في أوروبا الفرصة الممكنة لاقتلاع ما أمكن لتمويل الميزانية وتخفيف وطأة الأزمة المالية التي تمرّ بها البلاد. أما أوروبا فقد كانت، من جهتها، في حاجة إلىحلّسريع لمجابهة تدفق عشرات الآلاف من المهاجرين غير النظاميين والذين يتخذون من تونس مرفأ للإبحار نحو لمبادوزا ومنها إلى كل أوروبا. وتفاعلا مع تصريحات سعيد شهر فيفري الماضي بخصوص الأفارقة من جنوب الصحراء، والتي اعتبرتها الأمم المتحدة تحريضا عنصريا فيما ذهب البنك الدوليحدّ تعليق المساعدات لتونس، استغل الرئيس الفرنسي ورئيسة الحكومة الإيطالية الوضع ليشيرا إلى انطلاق مسار من الاتصالات والمشاورات بخصوص الموضوع. وتواترت الاتصالات على مستوى عال (مكلف السياسة الخارجية الأوروبي والمكلف بالاقتصاد مثلا) والتي أفضت يوم 11 جوان الماضي إلى عقد لقاء قمة في قصر قرطاج مع رئيسة الاتحاد الأوروبي مصحوبة برؤساء حكومتي إيطاليا وهولندا. هذه القمة التي عرض فيها الوفد الأوروبي تتويج كل المشاورات السابقة باتفاق شراكة حول خمسة محاور تهم التعاون الاقتصادي والتجاري والتعاون في مجالات الانتقال الطّاقي والرقمي وغيرها من التفاصيل. وكانت رئيسة المفوضية الأوروبية التي ترأست الوفد وتولّت بنفسها تقديم العرض الأوروبي أعلنت على هامش اللقاء/القمة تمكين تونس من مساعدات مالية قد تصل مبلغ 900 مليون يورو إذا توصلت تونس إلى اتفاق مع صندوق النقد الدولي. رئيسة الوزراء الإيطالية تولت من جانبها شرح العرض الأوروبي بخصوص معالجة ملف الهجرة. وبصرف النظر عن التفاصيل الكثيرة المتصلة بهذا اللقاء/القمة فقد تواعد الطرفان، سعيد ووفد الاتحاد الأوروبي، على قمة موالية انعقدت يوم16جويلية شهدت توقيع "اتفاقية تفاهم بين تونس والاتحاد الأوروبي حول الشراكة الاستراتيجية والشاملة".

مضمون الاتفاقية

تضمنت الاتفاقية خمسة ميادين مختلفة هي الاستقرار الاقتصادي الكلي (stabilité macroéconomique)، التبادل التجاري، الانتقال الطاقي الأخضر والتقارب بين الشعوب والهجرة. وتكتسي الاتفاقية كما جاء في مقدمتها "طابعا استراتيجيا" ينبني على طموح الطرفين، تونس والاتحاد الأوروبي، إلىالدفع بالعلاقات بينهما إلى مستوى أرقى وذلك بتعزيز الشراكة الاقتصادية والتجارية وبغاية دعم الإصلاحات الاقتصادية التي أقرتها تونس لإعادة التوازن لمالية للدولة. والمتمعن في مضمون هذه الاتفاقية يدرك أنها جاءت لتعوض اتفاقية "الأليكا" التي تعثرت المفاوضات بشأنها بما أنها تضمنت اتفاقات بخصوص قطاع الفلاحة والبيئة والطاقة والنقل والاستثمارات والتجارة. وبطبيعة الحال بالنظر إلى مستجدظاهرة الهجرة والهجرة غير النظاميةفاتفاقية الأليكا التي لم يكتب لها أن ترى النور على الصورة التي وضعها الاتحاد الأوروبي في مستهل التفاوض بخصوصها جاءتلتتمة "اتفاقية الشراكة الصناعية" لسنة 1996 وكانت تهدف إلى ربط الاقتصاد التونسي بالفضاء الأوروبي في بقية المجالات (غير الصناعية) وخاصة الفلاحة والخدمات والبحث العلمي الخ...

"مذكرة التفاهم حول الشراكة الاستراتيجية والشاملة" هي بمثابة البديل عن "الأليكا" وبنفس المضامين والأغراض والأهداف. وإذا كانت الأولى قد تعطلت ثم تعثرت وكادت تُقبر فإنّ قيس سعيد قطع كل المسافات في وقت قياسي للتوقيع على اتفاقية من هذا الحجم وبهذا البعد الاستراتيجي الخطير دون العودة إلىأية هيئة من مؤسسات الدولة ومن غير اعتبار لرأي الشعب التونسي الذي سبق وأن عبر بواسطة عديد القنوات عن احترازات كثيرة حيال هكذا اتفاقيات والحال أنّ اتفاقية الشراكة الصناعية التي فككت النسيج الصناعي التونسي ولم تثمر تنمية ولا نموا لم تخضع بالمرة لأبسط تقييم.

نحاول في ما يلي التوقف عند بعض تفاصيل اتفاقية التفاهم أوّلا بأوّل كما جاء في نص الاتفاقية في نسخته الفرنسية المنشورة على موقع الاتحاد الأوروبي.

ففي الفقرة الأولى المتعلقة بـ"استقرار الاقتصاد الكلي" جاء فيها حرفيا "سيرافق الاتحاد الأوروبي الإصلاحات وبصفة خاصة بواسطة مساعدة ميزانية سنة 2023 وسيقع تحويل كامل مبلغ المساعدة".

كما جاء في الفقرة الموالية بعنوان "الاقتصاد والتجارة" ما يلي "يسعى الطرفان إلى تحديد فرص الاستثمار العام والشراكات بين القطاعين العام والخاص والمشاريع الخاصة، بما في ذلك في إطار الصندوق الأوروبي للتنمية المستدامة(EFSD+) ، في مجالات القدرة التنافسية وتنمية القطاع الخاص، وتحديث قنوات التوزيع ومراقبة السوق، والحصول على التمويل، والمياه والزراعة المستدامة، والتكنولوجيات النظيفة و/ أو في سياق الاقتصاد الدائري، والطاقة المتجددة، والتحضير لإنتاج الهيدروجين المتجدد والاندماج في القطاعات الاستراتيجية لسلاسل القيمة في الاتحاد الأوروبي، في القطاعات الاستراتيجية ذات الإمكانات التصديرية العالية". وكما هو ملاحظ فإنّ الاتفاقية منحت الاتحاد الأوروبي فرص الاستثمار في مجالات اقتصادية متعددة ومتنوعة تماما كما كان مبرمجا من قبل في اتفاقية "الأليكا" التي لم يكتب لها أن تتم.

وقد خصصت اتفاقية التفاهم خمس فقرات تفصيلية للمسائل التالية: الفلاحة والاقتصاد الدائري والانتقال الرقمي والنقل الجوي والاستثمارات لتدقيق المبادئ الواردة بالفقرة السابقة.

أما في ما يخص الطاقة فقد جاء في الاتفاقية "تعمل تونس والاتحاد الأوروبي من أجل شراكة استراتيجية في مجال الطاقة" ومن جهة أخرى تم الاتفاق على أن"يعمل الطرفان على تعزيز إنتاج الهيدروجين القابل للتجديد ومشتقاته ومنها الأمونيا (l'ammoniaque) في تونس، لتلبية حاجيات سوقها الداخلية والطلب الخارجي الدولي، أخذا بعين الاعتبار ضرورة حماية مواردها المائية".

ومن أهم ما ورد في هذا الجانب هو الاتفاق على "اتخاذ الإجراءات اللازمة، بما في ذلك وضع اللمسات الأخيرة على خطة التمويل، بهدف التوقيع على اتفاقية خاصة بالمنحة المرصودة بعنوان "آلية الترابط في أوروبا" بقيمة 307 مليون يورو". وللإشارة فإنّهذا الرقم هو الوحيد المنصوص عليه في الاتفاقية وليس هناك أيّ رقم آخر في كامل نص الاتفاق. وكل بقية الأرقام المتداولة فهي إما مرتبطة ببرامج تمويل سابقة وقديمة أو هي أعلن عنها من قبلالمسؤولين الأوروبيين الذين وقعوا الاتفاقية في الندوة الصحفية التي أعقبت حفل التوقيع.

وبطبيعة الحال اختتمت الاتفاقية بفقرتين الأولى بعنوان "التقارب بين الشعوب"، الثانية وهي الأخيرة "الهجرة والتنقل" وقد أعرب الطرفان عن نيتهما"مواصلة التعاون لتعزيز المجتمع المدني وتنمية الحوار بين الشعوب وتعزيز المبادلات الثقافية والعلمية والتقنية، بما في ذلك من خلال تنفيذ الشراكة بشأن

الشباب لعام 2016 وبرامج الاتحاد الأوروبي الأخرى في مجالات البحث والتعليم والثقافة والشباب، بما في ذلك تنمية المهارات والتنقل" كما جاء في الفقرة المتعلقة بالتقارب بين الشعوب. وتعهد الاتحاد الأوروبي في هذا الصدد بـ"تقديم مساعدة إضافية في هذه المجالات" علاوة على أنه (أي الاتحاد الأوروبي) "سيستمر في جهوده من أجل تنسيق ممارسات الدول الأعضاء في مجال إصدار تأشيرات "شنقن" للإقامة القصيرة للمواطنين التونسيين من خلال آلية تنسيق "شنقن المحلية" مشيرا إلى دعم محتمل للمشاركة في البرامج الأوروبية في مجالات التربية والبحث والإبداع مثل برنامج "أفق أوروبا" Horizon Europe وبرنامج Erasmus وبرنامج "أوروبا المجددة" Europe créative.

أخيرا وفي مجال الهجرة اتفق الطرفان على "تصور شامل للهجرة" une approche holistique de la migration. ومن منظور هذا التصور ينبغي العمل على "معالجة الأسباب الجذرية للهجرة غير النظامية". وقد أكد الطرفان أنهما "يتقاسمان أولوية مكافحة الهجرة غير النظامية". وشددت تونس على أنها "ليست بلدا لتوطين المهاجرين غير الشرعيين" وبأنها "لن تحرس إلا حدودها".

لكن وعملا بالاتفاق الحاصل في أفريل الماضي الذي تضمن وضع أسس شراكة عملياتية معززة لمكافحة تهريب المهاجرين والاتجار بالبشر مازال يجري بشأنها النقاش، نصت اتفاقية التفاهم على تطوير نظام للتصرف في الحدود البحرية ووضع منظومة التعرف على المهاجرين غير النظاميين المتسللين أو المتواجدين على التراب التونسي وبلدانهم الأصلية. وبعد الإشادة بالجهود التونسية لاعتراض عمليات الهجرة غير النظامية تعهد الاتحاد الأوروبي بمنح تونس مساعدات مالية إضافية لاقتناء التجهيزات الضرورية وتغطية مصاريف التكوين وكل الجوانب التقنية من أجل تحسين قدراتها على تأمين حدودها من جهة ولتشجيع التونسيين المتواجدين في أوروبا بشكل غير قانوني على العودة مقابل مساعدتهم على بعث مشاريع خاصة وإعادة إدماجهم اقتصاديا واجتماعيا من جهة ثانية.

هذه عموما أهم نقاط التفاهم المضمنة بالاتفاقية المسماة "استراتيجية وشاملة" والتي تمنح الاتحاد الأوروبي فرصا متعددة كي يجعل من تونس حديقة خلفية وفضاء ملحقا واحتياطيا لخدمة مصالحه الاقتصادية والتجارية والتقنية ومعالجة جملة من المشاكل التي يواجهها وخاصة مشكلة الهجرة غير النظامية. فروح الاتفاقية تتمثل في فتح الباب لأوروبا كي "تغزو" تونس مجتمعا وسوقا واقتصادا باعتماد آلية "المساعدات المالية" وبرامج الشراكة.

السخاء الأوروبي الكاذب

كما رأينا أعلاه لم تتضمن اتفاقية التفاهم التزامات مالية محددة عدا مبلغ 307 مليون يورو كمنحة بعنوان "آلية الترابط في أوروبا" المنتظر توقيع اتفاقية بشأنها في المستقبل. ففيما عدا ذلك جاءت كل الالتزامات والتعهدات والنوايا في شكل مبادئ اتفاق عامة سيقع تحويلها لاحقا إلى خطط عمل قطاعية واتفاقيات ذات قيمة قانونية ملزمة. لكن ذلك لم يمنع من أن يعلن المسؤولون الأوروبيون الذي وقعوا الاتفاقية، رئيسة المفوضية الأوروبية ورئيسة الوزراء الإيطالية وزميلها رئيس الحكومة الهولندي، في الندوة الصحفية التي أعقبت حفل توقيع الاتفاقية جملة من الالتزامات المالية. فقد أعلنت اورسولا فان در لاين رئيسة المفوضية الاوروبية منح تونس "105 مليون يورو من تمويلات الاتحاد الأوروبي للعمل على تعميق الشراكة والتعاون في مجالات البحث والنجدة وإدارة الحدود ومجابهة تهريب المواطنين وإنفاذ القانون". كما أعلنت في ذات التصريح "تقديم 150 مليون يورو لمساعدة الميزانية" وفي إطار فتح نافذة للشباب في برنامج إيراسموس + وعدت بـ10 ملايين يورو لدفع المبادلات" علاوة على توفير فرص للدراسة والعمل والتدرب الخ...". كما وعدت بـ"تعصير المدارس من خلال دعم 80 مدرسة بما يؤهلها للانتقال الرقمي والأخضر، وذلك بتمويلات تبلغ 6.5 مليون يورو". ومن جهة أخرى استعرضت عددا من المشاريع على غرار الكابل البحري "ميدوزا" الذي سيربط تونس بالاتحاد الأوروبي وسيربط 11 بلدا حول المتوسط مع حلول سنة 2025، وللغرض سيتمّ رصد 350 مليون يورو. وشددت على أهمية العمل المشترك من أجل تحسين مناخ الأعمال وجلب المزيد من الاستثمارات مؤكّدة انّه يجرى التخطيط لتنظيم منتدى للاستثمار في الخريف القادم لتجميع المستثمرين والمؤسسات المالية المانحة.

وفي مجمل الوعود أشارت إلى أنّ مجموع ما يمكن أن يخصصه الاتحاد الأوروبي لتمويل مختلف جوانب الاتفاق ومشاريعه يمكن أن تصل إلى 900 مليون يورو سيعمل الاتحاد الأوروبي على توفيرها شرط أن تتوصل تونس إلى اتفاق مع صندوق النقد الدولي حول القرض موضوع المفاوضات منذ مدة.

وكان قيس سعيد نوّه في الندوة الصحفية بهذا "الإنجاز الديبلوماسي" وعلق على الاتفاقية بالقولإنّ "أفضل ما تم التنصيص عليه في مذكرة التفاهم التي تم توقيعها اليوم ضرورة التقارب بين الشعوب". وأكد على ضرورة أن تكون المذكرة "مشفوعة في أقرب الأوقات بجملة من الاتفاقات الملزمة انطلاقا من المبادئ التي وردت فيها".

خلافات حول الجوانب المالية: لكل حساباته

بعد أسبوع من إمضاء مذكرة التفاهم انعقد مؤتمر روما بمشاركة 20 دولة منهم تونس وبحضور 16 رئيس دولة وحكومة إلى جانب مسؤولين من الاتحاد الأوروبي وممثلين عنه تتقدمهم رئيسة المفوضية اورسولا فان در لاين ورئيس المجلس الأوروبي وممثلين عن بعض المؤسسات المالية الدولية وفي مقدمتها صندوق النقد الدولي. ويهدف هذا المؤتمر على حد تعبير المسؤولين الأوروبيين إلى "الحد من الهجرة غير النظامية عبر مساعدة دول أفريقيا، وبناء شراكات لمشاريع فيقطاعات الزراعة والبنية التحتية والصحة". وربما أريد لهذا المؤتمر أن يكون مناسبة لتسويق الاتفاق الذي حصل قبل أسبوع بين تونس والاتحاد الأوروبي كمنوذج للتعميم على البلدان المطلة على جنوب المتوسط. ولم يخف المسؤولون الايطاليون خاصة نيتهم في استدراج بلدان أخرى مثل ليبيا إلى صفقة مماثلة. أما قيس سعيد فقد أثنى على مجهودات رئيسة الحكومة الإيطالية، اليمينية المتطرفة، التي "استجابت للمبادرة التونسية لعقد هذا المؤتمر" على حد قوله.

يمكن القول منذ البداية إنّ هذا المؤتمر لم يحقق شيئا كبيرا من الناحية العملية ذلك أنه رغم أهمية الأطراف التي حضرته (تركيا وبلدان جنوب المتوسط والإمارات وصندوق النقد الدولي وقادة الاتحاد الأوروبي الخ...) لم يترتب عنه شيئا غير المبادئ الكبرى التي حفلت بها خطب من حضروا. وقد يكون للخلافات التي تشق أوروبا بخصوص هذا الملف تأثير في أشغاله وفي مخرجاته. قيس سعيد نفسه (صاحب المبادرة في عقد هذا المؤتمر حسبما تردد في الخطاب الرسمي التونسي) لم يحقق "مكاسب" إضافية كما كان في الحسبان. حتى الجانب الإيطالي والأوروبي بشكل عام لم يتقدم بعد هذا المؤتمر خطوات جديدة أو إضافية وكان عليه انتظار سلسلة من الاجتماعات المهمة والحاسمة في مالطا وقرطبة بإسبانيا في محاولة لفض الخلافات الحادة التي تشق الاتحاد الأوروبي في هذا الملف، ملف الهجرة.

وكانت المفوضية الأوروبية قررت في أحد الاجتماعات التمهيدية لهذه المواعيد المهمة يوم 22 سبتمبر الماضي منح تونس مساعدة تبلغ قيمتها 60 مليون يورو مخصصة لدعم الميزانية (تسبقة عن المبلغ الذي أشرنااليه أعلاه بـ150 مليون يويو)وبمساعدة تشغيلية للهجرة تبلغ قيمتها 67 مليون يورو (تسبقة عن مبلغ 105 مليون يورو المشار إليه أعلاه) مخصص لمكافحة الهجرة غير النظامية في إطار دعم تنفيذ مذكرة التفاهم بين تونس والاتحاد الأوروبي. وقد أوضحت آنا بيزونيرو(Anna Pisonero Hernandez) المتحدثة باسم مفوضية الاتحاد الأوروبي للجوار وسياسة التوسع والشراكات الدولية، خلال نقطة إعلامية في بروكسيل أنّ "هذه الحزمة الأولى تأتي بناءً على التعاون الوثيق بين الاتحاد الأوروبي وتونس فيما يتعلق بقمع شبكات التهريب غير المشروعة. وتعمل المفوضية على تسريع كل من البرامج والإجراءات الجارية في إطار المساعدة الجديدة المرتبطة باتفاقية مذكرة التفاهم، والتي ستساعدنا على معالجة المشكلة الملحة".

اللافت للانتباه أنّ الأيام التي تلت مؤتمر روما وبالتحديد شهر سبتمبر وبداية شهر أكتوبر عرفت حركة الهجرة غير النظامية من تونس إلى إيطاليا تدفقا غير مسبوق حيث بلغ عدد الذين وصلوا الشواطئ الإيطالية بشكل غير نظامي ما بين 11 و13 سبتمبر الماضي 8500 مهاجر غير نظامي. وقد يكون هذا الرقم القياسي الذي خلف صدمة لدى الأوروبيين ولدى الايطاليين على وجه الخصوص، وراء تعجيل المفوضية الأوروبية بصرف المبلغين المذكورين (60 و67 مليون يورو). ويذكر أنّ الحكومة الإيطالية التي اكتوت أكثر من أيّ حكومة أخرى في أوروبا بمشكل الهجرة غير النظامية قد ضاقت ذرعا بهذه الوضعية وصرحت جورجيا ميلوني يوم 19 سبتمبر على هامش اجتماعات الدورة 78 للجمعية العامة للأمم المتحدة "لن أسمح بأن تصبح إيطاليا مخيما للاجئين في أوروبا". ويذهب البعض إلى القول إنّ النظام التونسي الذي كان مستاء من الموقف الأوروبي (وخاصة الموقف الفرنسي والألماني) غض الطرف عن هذه التدفقات لمزيد الضغط عسى أن يقتلع استعدادات أفضل من قبل أوروبا لمساعدته على مواجهة الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها البلاد والمرشحة لمزيد الاشتداد في ظل الموقف "المناوئ" لصندوق النقد الدولي. ويمكن القول أيضاإنّتصريحات سعيد النارية بخصوص عدم استعداد نظامه لعب دور الشرطي لحماية الحدود الجنوبية لأوروبا هي من أدوات الضغط التي استعملها لزحزحة موقف بعض البلدان الأوروبية وخاصة فرنسا وألمانيا. وهي في ذات الوقت تصريحات موجهة للداخل في إطار الحملة الانتخابية المبكرة التي انطلق فيها قيس سعيد منذ مدة. ثم وفي وقت لاحق وجد قيس سعيد في رفض مساعدة أوروبية بقيمة 60 مليون يورو مادة لافتعال "بطولة جديدة" والتبجح بـ"رفض الصدقة" الأوروبية. وتناقلت وسائل الإعلام أوامره لوزيره للخارجية يوم 3 أكتوبر حيث قال "نرفض ما تمّ الإعلان عنه في الأيام القليلة الماضية من قبل الاتحاد الأوروبي، لا لزُهد المبلغ فخزائن الدنيا كلها لا تساوي عند شعبنا ذرة واحدة من سيادتنا، بل لأنّ هذا المقترح يتعارض مع مذكرة التفاهم التي تمّ توقيعها في تونس ومع الروح التي سادت أثناء مؤتمر روما في جويلية الفارط الذي كان بمبادرة تونسية إيطالية".

هنا ينبغي الإشارة إلى أنّ مسؤولا ساميا من المفوضية الأوروبية كان أدلى بتصريحات بعد قرار المفوضية بمنح تونس ما مجموعه 127 مليون يورو (60 و67 مليون يورو المشار إليهما أعلاه) رأى فيها النظام التونسي استفزازا له ومخالفة للأعراف الديبلوماسية. فقد قال "سيتم توفير الأموال للسلطات التونسية في شكل قوارب بحث وإنقاذ وسيارات رباعية الدفع ورادارات وطائرات دون طيار وأنواع أخرى من معدات الدوريات، وكذلك للمنظمات الدولية العاملة على الأرض، مثل المنظمة الدولية للهجرة والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين". وأضاف "نحن لا نعطي المال للسلطات لتفعل ما تريد" إذ "لا يتعلق الأمرمطلقا بصك على بياض".

وردا على ما اعتبره قيس سعيد استفزازا له واستهتارا به وجد، كما سبق قوله، في قرار المفوضية الأوروبية بصرف منحة 60 مليون يورو في إطار برنامج دعم الإجراءات للتخفيف من آثار الكوفيد – 19 وهو برنامج قديم، الفرصة المناسبة للعودة لممارسة الضغط على الطرف الأوروبي. والحقيقة أنّ المفوضية الأوروبية كانت وافقت على صرف هذا المبلغ استجابة لمذكرة وزير الاقتصاد التونسي الذي كان راسل السفير رئيس بعثة الاتحاد الأوروبي في تونس بتاريخ 23 أوت الماضي،هذا نص المكتوب "معالي السفير: في إطار تنفيذ اتفاقية تمويل "برنامج دعم تدابير التخفيف من آثار كوفيد 19 والانتعاش الاقتصادي"، وتحسبا لصرف الدفعة الثانية البالغة 60 مليون يورو، يشرفني أن أرسل إليكم طيه الملف المتعلق بعملية الصرف هذه.

وسأكون، بالتالي، ممتنا لكم أن تأذنوا باتخاذ الخطوات من أجل صرف الدفعة المذكورة إلى حساب الخزينة التونسية المفتوح لدى البنك المركزي التونسي تحت رقم ..." (**).

فكما هو ملاحظ لا علاقة لهذا المبلغ الذي قرر قيس سعيد رفض تسلمه بمذكرة التفاهم الاستراتيجي والشامل. وواضح أنّ هذا الرفض إنما هو عملية ضغط من أجل تحسين شروط التعاطي مع نص مذكرة التفاهم والحصول على مساعدات أو قروض في مستوى انتظاراته. وقد ردّ المسؤولون الأوروبيون الذي تفطنوا للعملية بتسريب هذه الرسالة على شبكات التواصل الاجتماعي لدحض ادعاءات قيس سعيد بل وأكثر من ذلك لفضح الاتفاقيات السرية التي عقدها معهم بخصوص موافقته على ترحيل التونسيين المقيمين بأوروبا بشكل غير قانوني.

خزعبلات سياسية تونسية

وقتاش تولد وسمّاوه ؟!

منير الفلّاح

الأسبوع الفارط، شفنا الرئيس قيس سعيّد يستقبل وزيرة العدل ليلى جفّال وزيادة على المواضيع المُعتادة قرأنا أنّو الرّئيس ناوي يقدّم وإلّا يُصدر تنقيح لقانون هيئة الصّلح الجزائي!

إيه نعم هكّة! وقتاش تولد وسمّاوه كيف ما يقولوا؟ الأكيد أنّو هالملفّ ولّى تقريبا فقرة قارّة في النّشاط الرّئاسي، يا بمناسبة زيارة لمقرّ الهيئة، يا في معرض حديث على تمويل الشّركات الأهليّة، يا عند إستقباله لوزيرة العدل وضرورة تحمّل القضاء لمسؤوليّاته "التّاريخيّة"...

خلّينا نذكّرو شويّة ببعض المحطّات: بداية حديث قيس سعيّد عن إسترجاع الأموال المنهوبة مقابل صلح جزائي موش جديد، من وقت وهو مازال حتّى موش مرشّح كان يقدّم في هاك "التصوّر" الّي عجب برشة ناس خاصّة المغرومين بالعناوين وما يعطيوش لأمخاخهم حتّى فرصة باش يتساءل على التّفاصيل والّي كيف ما نعرفو الكلّ هي مسكن الشّياطين!

نهار 20 مارس 2022 صحّح قيس سعيد مرسوم الصلح الجزائي على الطاولة الّي جابوهالو من المتحف ووعد الشعب التونسي باسترجاع 13,5 مليار دينار باش تمشي، ما ينقصها حتّى ملّيم للبنية التحتية والشركات الأهليّة...برشة صدّقوا ومشاو يعملوا في شركات أهليّة ويحسبوا في المداخيل والأرباح الّي باش يجنيوها!

ونهار 07 ديسمبر قابل رئيس الجمهورية قيس سعيّد أعضاء لجنة الصلح الجزائي وقاللهم عندكم 6 شهور باش تسترجعو 13,5 مليار دينار ...

ويوم 17 مارس قال رئيس الجمهورية أنو شيء ما تحقّق في موضوع استرجاع الاموال المنهوبة و نحّى هاك الراجل الي ديما مكتف يديه كي يحكي معاه وينعم برأسو!

أشهر بعد إمضاء المرسوم على هاك الطّاولة "المُتحفيّة" ومازلنا ما رينا شيء! ومن غير تطويل في المشاور ومن غير ما نرجعو لهاك الزّيارة لمقرّ الهيئة وهاك "المُداخلة السرياليّة" متاع عضوة الهيئة وتلويحها برقم غادي من الخيالي والّي،لو كان جاء كلامها صحيح، يخلّينا نشريو الFMI أصلا! موش لازم خاصّة وأنّ العضوة مشات على روحها...زادة.

توّة وبعد هالمدّة الكلّ وبقطع النّظر على القراءات والنّقاشات القانونيّة بخصوص ستّة شهور تمثّل طول عهدة الهيئة بكلّها وإلّا مدّة تكليف كلّ عضو على روحو وإلاّ الأعضاء الكلّ مع بعضهم، بقطع النّظر على هذا الكلّ الّي يهمّنا هو وين وصلنا وآش حصل في خزائن الدّولة من خِدمة هالهيئة؟

على حدّ علمي تقريبا شيء ! بالقياس مع إنتظارات الرّئيس ويظهر واللّه أعلم أنّ قيس سعيّد نفسه توصّل لنفس الإستنتاج! مع فارق هام وهو أنّو هو رئيس وأنا مجرّد مواطن وزيد أنتريتي! فالسيّد الرّئيس عندو إنتظارات (تقديرات تعملت في تقرير المرحوم عبد الفتّاح عمر) وقدّامو "محاصيل" ويعرف شنيّة الملفّات متاع المشمولين بقانون الصّلح الجزائي ووين وصلت؟

يقول القايل علاش؟ وين المشكلة؟زعمة في اللّجنة ؟زعمة في علاقاتها ببقيّة مؤسّسات الدّولة وعلى رأسهم المكلّف بنزاعات الدّولة (في علاقة بالإختبارات المُقدّمة لقيمة الأملاك المشمولة بملفّات الصّلح الجزائي) والدّوائر القضائيّة ذات النّظر؟ أم أنّ المشكلة في القانون المُؤسِّس لهذه الهيئة ذاته؟ وإلاّ هو خليط لهذا الكلّ...

وكيف نسمعو أنّ الرّئيس قرّر باش ينقّح القانون بعد ما سمعنا بعدد من الإيقافات الّي يسمّيوها" من الحجم الثّقيل" وفيهم،كيف ما سمعنا زادة، شكون بدأ معاه "مسار الصّلح" وأنّ الرّئيس سعيّد مُعترض موش بركة على بطئ الإجراءات لكن خاصّة على البون الشّاسع بين المبالغ المعروضة في البداية وما وصلت له الآن...فما كان من الرّئيس إلّا نقل الموضوع من مستواه القانوني إلى مستوى بالنّهاية قيمي وأخلاقي فقال أنّ من كان "صادقا" في المسار الصّلحي مرحبا وإلاّ فالسّجن ينادي! (هذي من عندي) نحبّ نسأل بركة كيفاش يتقاس الصّدق وشنيّة ترجمته القانونيّة؟ على خاطر نحبّو وإلّا نكرهو هذه قضيّة فيها طرفين كل واحد منهم عندو فرق الدّفاع متاعو وجيوش الخبراء !

فوق هذا ودونه، شنيّة منفعة الدّولة وخزائنها في إيداع ناس، بقطع النّظر على أسماءهم ومدى ضلوعهم في قضايا إستيلاء على أموال الشّعب بحكم قربهم من النّظام السّابق، ناس بدأ معاهم مسار صلحي؟ف مّة شكون يقول أنّو واحد منهم حبّ يسافر وهو مشمول بقرار قضائي بتحجير السّفر، ايه شبيه؟ ما فمّاش زعمة إقامة جبريّة؟ وإلّا الحقيقة هي أنّو فمّة صعوبات حقيقيّة، باش ما نقولش حاجة أخرى، في تطبيق هالقوانين؟

صعوبات الحقيقة ما تتعلّقش برك بالملفّات الّي فيها توّة مطالب صلح، لكن تنجّم تزيد تتفاقم بحكم إمتداد الفترة المشمولة بالأبحاث وبالتّالي أعداد النّاس الّي باش تشملها المحاسبة...وموش لازم عاد نزيدو نذكّرو بنسبة العشرة في المائة من المبالغ الأصليّة على كلّ عام...

خلاصة الحديث: طريق النّوايا الطيّبة مزروع بالأشواك، معناتها ثوري جدّا وجميل جدّا أنّو الشّعب يستعيد ما سُرِق من مقدّراته، لكن الأجمل وخاصّة الأهمّ من النّوايا والشعارات هو تحديد الأهداف بأقصى درجات الواقعيّة ووضع الخطط الكفيلة لبلوغ الأهداف والخُطط ما تتلخّصش في نصوص قانونيّة (تنجّم تكون تثير الإعجاب على الورق) لكن وبمجرّد إصطدامها بالواقع تولّي مصدر لمشاكل إضافيّة...

صحيح السّعي لإدخال أموال للدّولة هام خاصّة في وقت "الزمّة" هذا لكن ما يلزمش تولّي إستعادة الأموال المنهوبة موضوع يطفّ على السّطح كلّ وين تعترضنا مشاكل في توفير الموارد خاصّة أنّ واحد من أهمّ أعمدة برنامج الرّئيس(الشّركات الأهليّة) مرتبط بهالأموال الّي مازالت في علم الغيب...

على خاطر هكّة بين أخبار على ايقافات متواترة وقانون جديد قاعد يحضر ونقص موارد ماليّة ومشاريع "معطّلة" وشركات أهليّة قاعدة تستنّى في فلوس باش تجيء من الصّلح الجزائي باش تغرّق البلاد في الإزدهار وبين الأخبار الي تأكّدلنا أنّ مخزون البلاد من السكّر مثلا تكفي كان لبعض الأسابيع ومن بعد علينا شرب القهوة مرّة...تي هي ويني القهوة مثلا؟

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن جدا

أنس جابر

تصدّرت نجمة التنس التونسية أنس جابر ومضة تحسيسية نشرها برنامج الغذائي العالمي على صفحاته بمواقع التواصل الاجتماعي تدعو فيها أحرار العالم الى التبرع لملايين النازحين داخل قطاع غزة الذي يتعرض منذ 7 أكتوبر الماضي لحرب ابادة على يد جيش الاحتلال الاسرائيلي.

معبودة جماهير التنس قالت بلغة انقليزية فصيحة في الفيديو المقتضب "سكان غزة في حاجة ماسة الى الماء والغذاء. بمقدوركم ان تساعدوهم عبر التبرع لبرنامج الاغذية العالمي لتقديم الدعم العاجل للاطفال الذين يكافحون من أجل البقاء".

موقف انساني ليس بالغريب عن نجمة عالمية بحجم وطن رفضت الصمت على المجازر الاسرائيلية في غزة رغم الحملة الشعواء التي يشنها عليها اتحاد التنس الاسرائيلي.

البطلة العالمية عبرت منذ انطلاق العدوان عن موقفها الداعم للقضية الفلسطينية وكتبت على حسابها بموقع "انستغرام": "أوقفوا العنف.. الحرية لفلسطين".

قضية فلسطين المحتلة كانت حاضرة ايضا خلال مشاركة أنس جابر في دورة "دبليو تي إيه" المكسيكية إذ قالت النجمة التونسية بعد فوزها على التشيكية ماركيتا فونروشوفا "بقدر سعادتي بهذا الفوز لا اخفي حزني عما يجري في فلسطين.. من الصعب رؤية الاطفال يموتون كل يوم في غزة وهذا لا يعتبر خوضا في مسائل سياسية".

النجمة العالمية الملتزمة بقضايا امتها رغم الحملات الصهيونية التي طالتها لم تكتف بالاصداع بموقفها المساند للقضية الفلسطينية العادلة وانما قررت التبرع بجزء من عائدات مشاركتها في دورة محترفات التنس بالمكسيك لفائدة الشعب الفلسطيني.

انس جابر ليست نجمة تنس متألقة ومعبودة الجماهير فحسب وإنما هي أيضا منحازة الى القضايا العادلة رغم كيد الصهاينة.

رديء جدا

هيئة الانتخابات

قبل حوالي 40 يوما على تنظيم الانتخابات المحلية تواجه الهيئة العليا للانتخابات انتقادات على أكثر من مستوى ومن أكثر من طرف.

جمعيات ناشطة في مجال مراقبة الانتخابات آخرها شبكة "مراقبون" اتهمت الهيئة بارتكاب سابقتين تتعلقان بالتمديد بخمسة أيام في فترة قبول الترشّحات وفي إطالة أمد التسجيل الآلي أمام الناخبين رغم ملاحظة عزوف عام عن الإقبال.

الانتقادات طالت أيضا تعاطي الهيئة مع المجتمع المدني الذي يلومها شق منه على اعتماد سياسة قائمة على التجاهل عوض تشريكه في وضع التصورات والاستفادة من خبرة راكمها طيلة سنوات.

الهيئة عرفت أيضا خلال السنوات الأخيرة تقلّبات كبرى على مستوى إدارتها بما ساهم في ترحيل مشاكلها الداخلية وخلافات بعض أعضائها إلى أروقة القضاء ومعاناتها لشهور من شغور في مجلسها بما أثر على مسار الانتخابات البرلمانية وأدى إلى انحدار نسبة المشاركة الى أرقام غير مسبوقة.

قد لا تتحمل الهيئة مسؤولية عزوف الناخبين نتيجة نظام انتخابي قائم على التصويت على الافراد لكن انخراطها في مهام ادارية بحتة كتقسيم الدوائر الانتخابية وتوتر علاقاتها منذ أواخر ديسمبر 2022 مع وجوه اعلامية وسياسية وناشطين بالمجتمع المدني ساهما في عزلتها.

وفي ظل مناخ مماثل لهذا المسار تواجه هيئة فاروق بوعسكر تحديات جمة لإنجاح انتخابات محلية لا يزال الغموض يكتنف اغلب تفاصيلها لدى الناخبين.

صورة تتحدث

توّا كيفاش؟ يا رسول الله زيت الزيتونة بـ 25 دينار ويمكن يوصل 30 الف... معناها ولّى دواء... ايه متاع شنوة الليترة زيت الزيتونة بـ 25 دينار ويمكن توصل لـ 30 مليون ولا ثلاثة آلاف دينار ولا وقيلة 30 دينار... و3000 مليار صلح جزائي باش تسترجعهم الدولة...

(من وحي الخيال)

قالوا

احمد ونيس

الموقف التونسي (في القمة العربية الاسلامية بالرياض) اتخذ صف الدول المستهدفة وهي لبنان وسوريا الى جانب الشعب الفلسطيني مع حلفائهم وفي اعتقادي هذا ينسجم مع منطق الموقف التونسي والى حد ما الدول التي تعتبر ان الحل السياسي لا يكفي وانه يجب القبول من الجانب العربي والاسلامي بشيء من التضحيات في سبيل نصرة القضية الجوهرية... بقية الصف لم يكن منسجما مع هذا الموقف واعتقد ان الظهور بالاجماع كان يكون انجح.. واصدار تحفظات في ما بين القاعدة العربية الاسلامية يعني انه لا وجود لاجماع استراتيجي بمعنى انه ليس هناك طرف ينصّب نفسه كقوة استراتيجية امام السلاح الاسرائيلي او تضامن الحلفاء الغربيين مع المعتدي الاسرائيلي... وهذا الاخير يجد نفسه يتفرد بصفته فاعلا استراتيجيا في الساحة ولا يجد اية قوة في الساحة المقابلة تعطله او تحد من تنفيذ ارادته والموقف التونسي كان يسعى الى ان ينضم للاجماع ..فالتحفظات في مثل هذه الحالة تضعف الموقف...

نور الدين الطبوبي

...في حرب اوكرانيا قامت الدنيا ولم تقعد -ونحن بالمناسبة ضد الحرب- ومحكمة الجنايات الدولية اصبحت تعمل باقصى سرعة فاين هي الان ؟ واين هو مجلس الامن ؟ واين هي الامم المتحدة ؟.. وهذا العدو الصهيوني الذي اغتصب الاراضي والذي يقول ان مجرزة ارتكبت في اسرائيل يوم 7 اكتوبر... الم ير المجازر التي ارتكبها طيلة اكثر من 70 سنة ؟... هذه ابادة جماعية وهي عار علينا كحركة نقابية.. واسمحوا لي الاخ الامين العام للاتحاد الدولي للنقابات... اليوم يصنفون حماس كحركة ارهابية وهي حركة مقاومة متجذرة في عمقها فمن حق الفلسطينيين ان تكون لهم مقاومة ازاء المغتصب والمعتدي على المقدسات.

زهير المغزاوي

ما حصل في علاقة بمشروع قانون تجريم التطبيع ما كان له ان يحصل فكل ما في الامر من الناحية الشكلية ان كتلة برلمانية قدمت اقتراح مشروع قانون واذكر انه قُدم في 12 جويلية اي قبل العدوان الاسرائيلي وحتى الاستشارات حصلت في شهر جويلية وهنا افتح قوسا لاقول ان وزير الخارجية غالط الراي العام حينما حاول في ظهوره التلفزي الاخير (القناة الوطنية) الايهام بان اقتراح القانون قدم خلال الفترة الاخيرة والاكيد انها مغالطة مقصودة لانه تمت مراسلة وزير الخارجية ورد على المراسلة وقال ان الموضوع ليس من اختصاصه..."

مبروك كرشيد

انطلقت الحملة عليّ منذ ان كنت وزيرا في جوان من سنة 2017 بعد ان تمت مصادرة املاك مجموعة من الكناترية الكبار وهناك حتى من زارني في المكتب بعد خروجه من السجن وقال لي انت كنت وراء مصادرة الاملاك.... ما حصل في سنة 2017 كان عملا صحيحا في جزئه الاول وانا اطلعت على الملفات والمصادرة كانت بفضل عمل الادارة التونسية ولم يكن هناك تشفّ ..وهناك ايضا اطراف اخرى وسياسيون وعلى سبيل المثال هناك منظمة وهي منظمة "انا يقظ " لا اعتبرها تونسية وهي منظمة امريكية ومطبعة مع خيارات انا ضدها وكنت رفعت عليها قضية وتمويلاتها مشبوهة فما معنى ان تعمل منظمة في تونس وتمويلها من الخارجية الامريكية ومن جهات خارجية اخرى..؟ انا اعرف السبب لانهم تكوّنوا سنة 2011 في ظروف مشبوهة في اطار ما يسمى بمنظمة الشفافية الدولية التي تتبع امريكا ...منظمة امريكية مشبوهة لا تترك فرصة الا وتنتهك الشخصيات التونسية وانا اعتبر انه يجب ان يفتح حولها الكتاب لانها تحرض التونسيين على بعضهم بالباطل...

سيناريو وارد وكعكة العالم على طاولة الكبار :

أوكرانيا لروسيا وتايوان للصين وفلسطين للأمريكان؟

نقل : الحبيب القيزاني

«في اجتماع للكبار : سنترك أوكرانيا لروسيا وتايوان للصين وغضّوا أنتم الطرف لنا عن فلسطين فهذه نبوءة نريد تحقيقها نحن الغرب».

لنتخيل أن مثل هذا السيناريو لكن قبل استبعاده لنطرح الأوراق على الطاولة ونرى مدى نصيب الحقيقة من عدمها.

هذا السيناريو تضمنه أحد فيديوهات وكالة New Step Agency جاء فيه :

طاولة العالم

لكل زمان دول ورجال.. هكذا يقال وبحكم الأمر الواقع وسواء أعجب ذلك الناس أم لا فإن لهذا العصر رجاله ومن يقودونه وفيه دول كبيرة يحتكم اليها الجميع وتتقاسم في ما بينها النفوذ وهي لا يخفى على أحد ذكرها.

فعلى رأس القائمة الولايات المتحدة الامريكية «سلطانة هذا العصر والزمان»، صاحبة أقوى اقتصاد فيه وأقوى جيش والمتحكمة في كثير من تلابيبه. هي البلد الذي خاض حروبا ودمر أمما وشعوبا ودولا دون أن يتجرأ على محاسبته أحد وهو البلد الذي مازال يتصدر المشهد وما زال يمسك بأغلب خيوط اللعبة لكنه مع ذلك لم يعد الوحيد.

فإلى ذات الطاولة يجلس عملاق خرج من بعيد ويطلق على نفسه اسم الصين ويُلقب بالتنين. تبنّى العقيدة الشيوعية كمرجع وحكم بلاده بالنار والحديد وصعد الى الواجهة بقوة الاقتصاد فبات الثاني خلف الأمريكيين وصاحب ثالث أقوى جيش في هذه السنين. والصين باتت أيضا أحد قادة كوكب الأرض وأحد أكبر أصحاب النفوذ فيه ولها كلمتها ومن حقها أن يكون لها نصيب تماما مثلما هو الحال بالنسبة للكبار ومنهم روسيا العائدة من انهيار اتحادها الكبير والتي وضعت نصب عينيها هدفا وقالت أن القمة تقبل القسمة على اثنين أو أكثر وتريد حصّتها منها.

هؤلاء الثلاثة الكبار يملكون مفاتيح اللعبة أو أغلبها وهؤلاء من سيضعون الأوراق على الطاولة ويحملون السيف الذي سيقسم الكعكة مثلما حصل دائما عبر التاريخ.

كعكة العالم

لنضع اتفاقية «سايكس- بيكو» على الرفّ حاليا وان كانت خير دليل على طريقة تقاسم الكبار مناطق النفوذ والسيطرة في العالم. لكن لا يجب نسيان اجتماع آخر انعقد يوم جلس المنتصرون في الحرب العالمية الثانية في منتجع يالطا عام 1945.

يومها ضمّ الاجتماع ستالين نيابة عن بلاده السوفياتية وتشرشل ممثلا عن بلاد الانقليز وروزفلت رئيس أمريكا. وفي هذا الاجتماع قرر الثلاثة الكبار تقاسم العالم وتحديد مناطق النفوذ. وبناء على ذلك أقر الجميع بالاتفاق. ومثل هذه الاتفاقيات لم تجر فقط خلال العصر الحديث والتاريخ شاهد على ذلك اذ طالما كان العالم كعكة يتقاسمها الكبار في ما بينهم. يكفي الجلوس الى طاولة وطرح الأوراق ثم التقسيم والتبادل والتوزيع اذ ليس هناك ما يمنع من الاجتماع.

الورقة أولى : فلسطين

جو بايدن عجوز البيت الأبيض قال علانية وبوضوح من قلب إسرائيل : «لو لم تكن هناك إسرائيل لعملنا على اقامتها» وأضاف في تعليق في موضع آخر أن الأجيال القادمة بالغرب ستفهم كيف أنها بدعم إسرائيل تدافع عن نفسها.

ويعتقد كثير من العرب أن المعركة التي يخوضها الفلسطينيون هذه الأيام نيابة عنهم وتحديدا الغزاويون هي معركة بينهم وبين إسرائيل. وظاهريا ذلك صحيح ولا يمكن مجادلتهم في ذلك.

لكن الحقيقة ان المعركة ما هي الاّ صراع بين الشرق القديم وغربه الحديث. معركة يراها البعض جولة جديدة من حروب «فرسان الهيكل» أولئك الذين قادوا الحملات الصليبية على ديار العرب والمسلمين. معركة بين قوى الاستعمار التي ورثت الدول الأوروبية الصليبية وبين من يرون فيهم من هدم حضارة الرومان وأنهى الدولة البيزنطية. معركة عمرها آلاف السنين وتدور في كل عصر بثوب جديد وعنوانها هذه المرّة «الغرب والعرب».

وبعيدا عن التهويل لابدّ من الالتفات الى قصة بدايات تأسيس إسرائيل عندما أراد تيودور هرتزل البحث عن وطن لليهود.

لم تكن ضمن أولويات هرتزل فلسطين وإنما كانت فلسطين خيارا مطروحا على الطاولة ضمن خيارات أخرى في افريقيا وأمريكا اللاتينية. لكن قادة أوروبا في ذلك الوقت ضغطوا على زعماء اليهود لاختيار فلسطين ووعدوهم بالإغداق عليهم بالدعم

والمؤازرة وفتح طريق تحقيق ذلك. ويكفي التذكير بأن بريطانيا هي من أهدت فلسطين لليهود على طبق من ذهب وأن فرنسا وبقية الدول الأوروبية باركت ذلك حتى أن باريس هي أم المشروع النووي الإسرائيلي الذي ضمن لتلّ أبيب التفوق على العرب أجمعين. وحين نذكر الأوروبيين قديما فمعنى ذلك الغرب قبل أن تصبح أمريكا قائدة له وما جرى بعد ذلك هو أن الولايات المتحدة أكملت المسيرة لضمان تفوّق إسرائيل. كل هذا يقود الى تصريح بايدن سالف الذكر ومعنى ذلك أن إسرائيل مشروع غربي وأداة وثكنة متقدمة للغرب ليس إلاّ وأن من يحتل فلسطين ليس اليهود بقدر ما هم الغربيون وهذا ما يفسّر انحياز الغرب لإسرائيل ظالمة كانت أو مظلومة.

أما عن الأسباب التي تدفع الغرب للتمسك باحتلال فلسطين فيمكن جمع روايات دينية وتاريخية (يسميها المفكر الفرنسي الراحل نصير العرب رجاء غارودي أساطير) مع أهداف سياسية حالية وضربها بالخلاّط للخروج بقائمة أسباب كثير منها معلوم.

اذن فلسطين للغرب وهم يريدونها مهما كان الثمن حتى لو كان ذلك إبادة جماعية للفلسطينيين وتهجير من بقي منهم (تماما مثلما أبادوا الهنود الحمر في «العالم الجديد» (أمريكا) لما نزلوا بأرضها وإنهاء قضيتهم إلى الأبد.

الورقة الثانية : أوكرانيا

لعلّه من الجيّد التذكير بأن أوكرانيا لم تكن يوما جزءا من هذا الغرب. فعاصمتها كييف هي عاصمة الروس الأولى ولطالما كانت تاريخيا جزءا من امبراطورية الروس وصولا الى الاتحاد السوفياتي الذي كانت أحد أهم ركائزه. وحتى بعد انهياره ظلت أوكرانيا تتدثر بعباءة الروس حتى عام 2014 حين قررت أمريكا ملاعبة روسيا وسحب البساط من تحت أقدام نظام كييف الصديق للكرملين ونصّبت ممثلا كوميديا كرئيس نقل الولاء لعواصم الغرب.

حينها غضبت روسيا وشعرت بخطر وجودي يتهدّدها واندفعت في حرب أولى سنة 2014 كانت ثمرتها شبه جزيرة القرم ثم في حرب ثانية عام 2022 كانت نتيجتها مستنقع تورط فيه الروس لكنهم أكدوا أنهم لن يتراجعوا عنها ولو كلفهم الأمر اللجوء إلى السلاح النووي. فهم يعتبرون أن أوكرانيا لهم ومن حقهم.

الورقة الثالثة : تايوان

يذكر العالم جيّدا حين حبست شعوبه أنفاسها بعد زيارة رئيسة الكونغرس الأمريكي السابقة نانسي بيلوسي الى جزيرة تايوان ويتذكر الجميع جيدا أيضا كيف انتظر الجميع اعلان بكين الحرب. كما يدرك الجميع ما تعني الجزيرة للصينيين. فهي جزء لا يتجزأ من بلاد التنين. والحقيقة التاريخية أنها كذلك لكنها انفصلت عن الوطن الأمّ لمّا نجح الشيوعيون في الاستيلاء على الحكم في بكين بقيادة ماو تسي تونغ وهرب رموز النظام القديم الى الجزيرة واحتموا بالامريكان والغرب. وفعلا ظلت واشنطن لسنوات ترعى تايوان كخنجر في خاصرة الصين.

ومن أجل الخلاص من هذه الطعنة عملت الصين بجدّ واجتهدت وبنت امبراطورية اقتصادية وعسكرية وضعتها بين الثلاثة الكبار في العالم وبات لها صوت عال يسمعه الجميع ولا يملّ من ترديد أن تايوان للصين ولو كره الكارهون.

من اليمين إلى اليسار : ستالين وروزفلت وتشرشل في مؤتمر يالطا

إحدى كتائب النخبة لحركة "حماس"

سيف التقسيم

المشهد بات اذن واضحا : الطاولة ومن حولها والكعكة التي يريدون تقسيمها ولم يبق سوى تحرّك سيف التقسيم.

لنبدأ بما يطالب به الامريكيون وهنا تحضر إسرائيل التي هي في الحقيقة مجرد قاعدة غربية-أمريكية وهي السيف الذي تضرب به في ما تسميه الشرق الأوسط ولكنه ليس السيف الوحيد في هذه المنطقة. فهناك سيف آخر تحمله كل من روسيا والصين تفاوضان به الأمريكان والحديث يدور عن ايران وسوريا.

ولا يتعلق الامر هنا بالمقارنة بين ايران ومحورها وقوة إسرائيل وانما بما يمكن أن يقوم به الروس والصينيون لو قرّروا مقارعة الامريكان أو تعطيل إسرائيل.

وحتى لا نتحدث بلا دليل، دعنا نلقي نظرة على مقال للكاتب الروسي أندري ميتروفانوف نشره بصحيفة «فوينيه أويزريني» حول مخاطر تصاعد الصراع في فلسطين الى حرب كبرى. وتحت عنوان «ايران وإسرائيل على بعد خطوة من دمار شامل» كتب ميتروفانوف: « حسب بعض الخبراء، حتى لو اجتمعت جميع جيوش الدول العربية فلن تكون قادرة على هزم جيش الدفاع الإسرائيلي، خاصة إذا تدخلت الولايات المتحدة في الصراع. وبالتالي، فعن أي خطر يتهدد إسرائيل بالتدمير يمكن الحديث؟ وهل هذا يعني استبعاد استخدام إسرائيل الأسلحة النووية؟

مع ذلك، يبقى هناك احتمال بسيط لبدء حرب نووية.

على سبيل المثال، أن تحصل حماس نفسها على كمية من المواد المشعة. وبعد تجهيز مئات إلى آلاف من صواريخ القسام بالمواد المشعة، تضرب حماس بها أراضي إسرائيل، ولن تفيد القبة الحديدية في هذه الحالة. لأن إسقاط صواريخ القسام سيؤدي إلى نشر المواد المشعة لا غير.

وسرعان ما ستحمّل إسرائيل طهران مسؤولية الهجوم، لأن إيران تمتلك صناعة نووية وأهدافا محددة بوضوح في ما يتعلق بإسرائيل، وبعد ذلك...

لنفترض أن إيران وإسرائيل وصلتا إلى المرحلة «الساخنة» من الصراع، وشنت إسرائيل ضربة نووية على إيران. وإيران، نظراً لافتقارها إلى أسلحة نووية، ستستخدم جميع طائراتها المسيرة من طراز شاهد 136، ونصفها سوف يحمل وقوداً نووياً مستنفداً، وهو ما يعني «قنبلة نووية قذرة». وإلى جانب ذلك ستستخدم صواريخها البالستية من مختلف الأنواع، التي تمتلك إيران منها عدة آلاف. لكن من سيعاني الضرر الأكبر من تبادل الضربات؟

سوف تواجه إيران أوقاتاً عصيبة، وإسرائيل، حتى لو كان لديها مائتي رأس نووي، فسيكون الأمر سيئاً بالنسبة لها أيضاً، فأرضها صغيرة، وأماكن الإقامة فيها محدودة، ولسنوات، أو حتى لعقود، حتى يتم تطهير المنطقة من التلوث بجهود «المجتمع الدولي»، قد تصبح غير صالحة للسكن...»

هذا السيناريو نشر في وقت سابق من هذا العام. ويبدو أن الأمر الآن أقرب من أي وقت مضى إلى التنفيذ.

فما معنى هذا الكلام؟

معناه أن بكين وموسكو لو أرادتا مشاغبة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط لفعلتا ذلك وبسهولة. يكفي إعطاء ايران الضوء الأخضر تماما مثلما أعطت واشنطن الضوء الأخضر لإسرائيل.

والسؤال هنا : لماذا لما تفعلها موسكو وبكين رغم مشاغبة الامريكان بلديهما في أوكرانيا وتايوان؟

الإجابة ربما تكمن في السيناريو المضمن في بداية هذا الفيديو أي إمكانية التقسيم بالمقايضة : فلسطين لأمريكا وأوكرانيا لروسيا وتايوان للصين. فهل هو حقا ما يطبخ في الكواليس بين العواصم الثلاث تجنبا لانفلات المارد النووي من قمقمه بما يعني ربّما نهاية التاريخ البشري فوق هذا الكوكب؟

سيمور هيرش :

إسرائيل ستقصف أنفاق «حماس» بقنابل أمريكية أعدّت لتدمير مراكز ومخابئ ايران النووية

ما هي خطّة إسرائيل للقضاء على "حماس". ولمَ إصرارها على ترحيل سكّان قطاع غزّة إلى صحراء سيناء؟

استطاعت إسرائيل أن تحشد الغرب خلفها تحت شعار أنّها تتعرّض لأزمة وجودية، إلا أنّها لم تستطع أن تحشد كلّ الغرب خلف مطالبتها بترحيل سكّان قطاع غزّة إلى صحراء سيناء.

وكشف الصحافي الاستقصائي الأمريكي سيمور هيرش أنّ سبب إصرار إسرائيل على ترحيل الفلسطينيين من شمال غزّة إلى جنوب القطاع هو أنّها تريد تدمير ومحو غزّة بشكل كامل للتخلّص من أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين الذين لن يمكنهم العودة إليها لاحقاً من جهة، ولترحيل الفلسطينيين المهجّرين إلى موقع مستوطنة سابقة في سيناء على حدود مصر حيث تتولّى مصر وقطر تمويل وتجهيز مخيّم لهم فيها.

وأوضح نقلاً عن مصدر إسرائيلي مطّلع أنّ إسرائيل قال إنه مطلع ستستخدم في غاراتها على شمال غزّة بعد ترحيل الفلسطينيين، القنابل الأمريكية الذكية المدمّرة للأنفاق والمخابئ على عمق كبير (JDAM) والتي تزن الواحدة منها 2.5 طن، لضرب أنفاق "حماس". وأضاف أنها من صنف القنابل التي أُعدّت لقصف المراكز والمخابئ النووية الإيرانية، والتي حصلت عليها إسرائيل من الولايات المتحدة، منذ عهد الرئيس الأسبق باراك أوباما، مبرزا أنها إحدى أهمّ القنابل في الترسانة الأمريكية وحلفائها لسهولة استخدامها ومرونتها في الإطلاق بالنسبة للطيّارين وخصوصا الجيل المحدّث منها، المعروف باسم GBU-43/B، وهي قنابل موجّهة بالليزر.

ونقل هيرش عن مصدر قال انه مطلع أن "مخطّطي الحرب الإسرائيليين الحاليين مقتنعون بأنّ النسخة المطوّرة من هذه القنابل ذات الرؤوس الحربية الأكبر حجماً ستخترق أعماق الأرض بما فيه الكفاية قبل أن تنفجر". وأضاف أنّ عمق اختراقها للأرض المتوقّع يصل من ثلاثين إلى خمسين متراً، وأن ذلك يعني "قتل كلّ من يوجد في محيطها في قطر يصل إلى نصف ميل"، أي أكثر من 800 متر.

واستناداً إلى المصدر نفسه، قال هيرش أن إسرائيل ستقصف الأنفاق بالقنابل الخارقة، بعد تدمير غزّة بالكامل بالغارات المكثّفة، في حين ستكتفي المدفعية بالتطهير، أي تنظيف المناطق المستهدفة بالطائرات من المسلّحين الناجين، بعد قصف المناطق المهدّدة من طرف قوات الشمال.

تشكُّك أوروبيّ

واستدرك هيرش بأن مسؤولاً استخبارياً أوروبياً عمل في مناطق كثيرة في الشرق الأوسط شكّك في جدوى الخطة الإسرائيلية، وقال له إنّ "حماس" وضعت في اعتبارها احتمال لجوء إسرائيل إلى هذه القنابل قبل الحرب، وأنها تنتظر مثل هذا القصف، وأبرز له "مدينة مدمّرة ليست أقلّ خطراً على المهاجمين، فحروب المدن رهيبة". وأضاف أنّ القنابل الخارقة فعّالة حتى 50 متراً، "لكنّ أنفاق "حماس"، على أعماق أبعد، في حدود 60 متراً، ويمكنها الصمود"، خاصةً بسبب تركيبة الصخور والأرض في القطاع، الرملية في أغلبها، وهو ما يحدّ من فعّالية هذه القنابل بطريقة أو بأخرى.

ونقل هيرش، عن مصدره الأوروبي، أنّ مضيّ إسرائيل في تنفيذ مخطّطها يتوقّف على نجاحها في تهجير أكبر عدد ممكن من المدنيين من غزّة ومن شمال القطاع ودفعهم إلى الحدود المصرية.

استناداً إلى المصدر الإسرائيلي نقل هيرش أن إسرائيل تعلق آمالها على قطر ومصر لحلّ مسألة تمويل مخيّم للهاربين من شمال قطاع غزّة. وأنها تحاول إقناع قطر بالانضمام إلى مصر في تمويل مخيّم لأكثر من مليون لاجئ ينتظرون عبور الحدود، وأنه يمكن أن يكون أحد مواقع المخيّم قطعة أرض مهجورة منذ فترة طويلة في شمال شبه جزيرة سيناء بالقرب من حدود غزّة، حيث كانت تقع مستوطنة إسرائيلية تُعرف باسم ياميت عندما استولت إسرائيل على شبه الجزيرة بعد انتصارها في حرب الأيام الستّة عام 1967.

وحسب هيرش "ليس من الواضح ما إذا كانت مصر المتضرّرة ماليّاً ستسمح لمليون مهاجر، كثير منهم ملتزمون بقضية "حماس"، بالعبور". ونقل عن مصادره أنّ إسرائيل تحاول إقناع قطر، التي كانت، بناءً على طلب من رئيس الوزراء بنيامين نتانياهو، داعماً ماليّاً لحركة حماس منذ فترة طويلة، بالانضمام إلى مصر في تمويل مخيّم لمليون أو أكثر من اللاجئين الذين ينتظرون عبور الحدود، ونقل عن أحد المطّلعين الإسرائيليين قوله: "إنّها ليست صفقة محسومة". وأضاف هيرش أنّ إسرائيل هدّدت بقصف المدنيين إذا لم تسمح مصر بعبورهم إلى سيناء، وأنّها ستعتبر كامل قطاع غزّة هدفاً عسكرياً.

وأشار مصدر هيرش إلى قدرة الولايات المتحدة على الضغط على مصر وقطر عندما سئل عن الأسباب المحتملة لموافقتهما على قبول اللاجئين الفلسطينيين، وقال إنّه واثق من أنّ القاهرة ستوافق على استضافة مليون نازح فلسطيني بلا مأوى، مستشهداً بالحادثة الأخيرة مع السيناتور الأمريكي روبرت مينينديز، الذي اتُّهم بالفساد "الناجم عن تعاملاته التجارية مع كبار المسؤولين المصريين" وتسليم معلومات استخبارية عن أشخاص يعملون في السفارة الأمريكية في القاهرة.

وكان هيرش قد نقل قبل ذلك بأيام عن مسؤول أمريكي أن القادة الإسرائيليين يدرسون "إغراق شبكة أنفاق حماس الواسعة" قبل إرسال القوات. مؤكدا أن "مثل هذا التصرف قد يعني أن إسرائيل مستعدة لشطب الرهائن الذين ما زالوا تحت التهديد".

وذكر هيرش، في وقت سابق أن إسرائيل تعتزم تحويل مدينة غزة إلى هيروشيما، مع الفارق أنها لن تستخدم الأسلحة النووية.

وأشار الى احتمال استخدام القوات الإسرائيلية قنابل موجهة أمريكية أثناء العملية البرية، يمكنها أن تصل إلى عمق 50-30 مترا قبل أن تنفجر، مما سيسمح لها بتدمير مواقع إنتاج الأسلحة تحت الأرض التابعة لحركة "حماس".

أين صوت هؤلاء؟

«إنني أرفض روايتك أن «حماس» تقتل المدنيين الفلسطينيين الأبرياء بما في ذلك حتى تاريخ 3 نوفمبر الجاري 2000 طفل رضيع بريء... ليست «حماس» هي التي تقتلهم... إنه شخص واحد هو بنيامين نتنياهو ودولة إسرائيل العنصرية.. وإلى حدّ الآن قتل 9000 مدني فلسطيني بريء.. أين صوت هؤلاء؟

مداخلة مواطنة انقليزية على المباشر في إذاعة «بي.بي.سي».

جبان

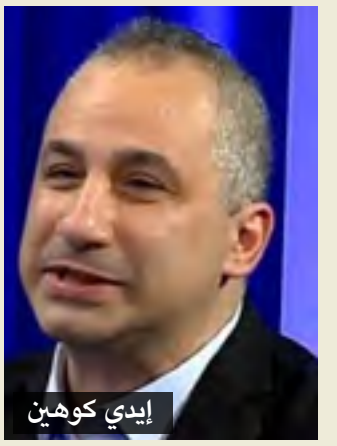

منذ أيام حصل «اشتباك» بين علاء مبارك ابن الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك والصحافي الإسرائيلي إيدي كوهين حول فلسطين وما يحدث في غزة، خرج منه الأول مهزوما بعدما هدّده كوهين بكشف المستور وانتهت المواجهة بسحب علاء مبارك كل تغريداته ولوذه بالصمت.

بداية الحكاية كانت بتغريدة مستفزّة سخر فيها ايدي كوهين من قطع الكهرباء عن قطاع غزة وأرفقها بصورة لمدينة غزة «منوّرة» بنيران القصف الجوي الإسرائيلي حسب تعبيره كتب فيها : «ما فيه داعي للكهرباء في غزة... منوّرة دائما أنت يا غزة» في إشارة الى الانارة التي تحدثها القنابل والصواريخ لتحديد الأهداف قبل انفجارها.

تغريدة كوهين استفزت الكثيرين وخصوصا علاء مبارك الذي ردّ عليه بتغريدة كتب فيها : «غزة منوّرة! ايه الحقارة دي تصدّق يا ابن كوهين عمايلكم السودة وجرائمكم القذرة ومشاهد الأطفال الصغار والرضع في الأكفان خلّونا نحبّ الراجل دي ونقول ولا يوم من أيامك يا هتلر كان عنده بعد نظر برضو» وأرفق علاء تغريدته بصورة لهتلر.

هنا ردّ عليه كوهين مهدّدا بمصادرة أموال عائلة مبارك التي قال أنها سرقتها من المصريين وكتب له : «علاء بيه مبارك جرا ايه مننا يا أخينا.. ايه الّي غيّرك علينا والاّ حبّيت تتاجر بالقضية الفلسطينية ودلوقتي عامل فيها أمين الحسيني... لو حطّيت صورة الفوهرر ثاني المنظمات الصهيونية في أوروبا هتصادر أرصدة عائلة مبارك الّي سرقتها من قوت الشعب المصري المكلوم... أوعى حضرتك زيّ ما بيقولك كده بنوك مدريد وجينيف ولندن وموناكو وباريس وابق افتكرني حضرتك».

وأرفق كوهين ردّه بصورة لأمين الحسيني رحمه الله لّما كان مفتي القدس خلال الحرب العالمية الثانية وهو مع هتلر.

ما حصل أن علاء سارع الى فسخ تغريدته وكل تغريداته السابقة.

هنا نعته كوهين في تغريدة جديدة بأنه جبان أرفقها برسالة موجهة الى الشعب المصري جاء فيها : «بعد تغريدة مبارك شخصية كبيرة اتصلت بي من إسرائيل وطلبت مني عدم الكشف عن أمور عائلة مبارك المالية في الدول الغربية».

السؤال هنا هو لماذا طالبت هذه الشخصية كوهين بعدم الكشف عن أمور عائلة مبارك المالية في الدول الغربية؟

بكل بساطة ليس لأنه اتضح للاسرائيليين أن علاء مبارك جبان وإنما لأنه أظهر انه جاهل بالقوانين اذ أن البنوك لا تجمّد أموال حرفائها الا اذا رفعت لها احدى المحاكم قضية تتعلق بمصدر الأموال.. ويتضح هنا أن كوهين ضحك على مبارك ولهذا السبب نعته بالجبان.

عدم لباقة

صحيفة «حرييت» التركية كشفت عن سبب رفض وزير الخارجية هاكان فيدان معانقة نظيره الأمريكي أنتوني بلينكن خلال زيارة الأخير الى تركيا.

الصحيفة ذكرت أن ما حصل كان بسبب «عدم لباقة» بلينكن مشيرة إلى أنه تلقى لدى وصول سيارته الى مقر وزارة الخارجية التركية مكالمة هاتفية والى أنه لم يترجّل من سيارته وظل بداخلها حتى أتم المكالمة تاركا نظيره التركي في انتظاره أمام باب الوزارة.

«حرييت» أكدت أن الأمر أثار حفيظة الوزير التركي وأنه قرّر بسبب ذلك العودة الى داخل الوزارة والاكتفاء بمصافحة بلينكن وعدم معانقته.

4,6 ملايين متر مربع

صحيفة «L'orient le Jour» اللبنانية الناطقة بالفرنسية نقلت عن جورج ميطري مدير برنامج الأراضي والثروات الطبيعية بجامعة «بالمند» الخاصة أن نحو 462 هكتارا أي ما يعادل 4,6 ملايين متر مربع من الأراضي الزراعية تتشكل خصوصا من أشجار الصنوبر والبلوط وقرابة 20 هكتارا من أشجار الزيتون الواقعة بقرى لبنانية محاذية للحدود مع إسرائيل تحولت الى رماد بفعل قصفها من طرف الطيران الحربي الإسرائيلي على امتداد شهر أكتوبر الماضي بقنابل الفوسفور الأبيض المحرّمة دوليا بنص اتفاقية جينيف الموقعة سنة 1980 والتي لم تمض عليها إسرائيل.

من جهة أخرى، نقلت الصحيفة عن هشام يونس رئيس منظمة Green Southerners ان العديد من أصناف الحيوانات عانت بدورها من الغارات الإسرائيلية مثل حيوانات ابن آوى الذهبي ومختلف أنواع القوارض التي قال ان الفوسفور الحارق تسلّل حتى الى جحورها وقضى على جانب كبير منها.

وأشارت الصحيفة الى أن وزير البيئة المنتهية ولايته، ناصر ياسين، أكد أن بلاده تنوي رفع شكوى موثقة بإسرائيل بسبب سياسة الأرض المحروقة التي ينتهجها جيشها جنوب لبنان حيث تتمركز وحدات لـ «حزب الله».

... في الكواليس

المحلّل السياسي الأمريكي Max Boot تطرق في أحد اعداد صحيفة «واشنطن بوست» الأخيرة الى تراجع اهتمام وسائل الاعلام العالمية بالحرب الدائرة بأوكرانيا كاشفا أن وراء ذلك خيبة أمل الدول الغربية من المسار الذي آلت اليه المعارك والمنذر بهزيمة كاملة لقوات نظام كييف.

Max Boot كتب : «في الكواليس بدأت الولايات المتحدة وأوكرانيا تتبادلان التهم بخصوص المسؤولية عن فشل الهجوم المضاد الذي تقوده القوات الأوكرانية».

وأضاف : «لم تتمخض محاولات الجيش الاوكراني لشن هجوم في اتجاه الجنوب الشرقي عن النتائج المرجوّة. وبالتالي باتت كييف تتهم الغرب وفي مقدمته الولايات المتحدة بعدم مدّها بما يكفي من أسلحة لاختراق خطوط الدفاع الروسية بل هي تتهم الدول الغربية بإمداد جيشها بأسلحة لا تعمل».

وتابع Max : «من جانبهم ينتقد المسؤولون الامريكيون الجيش الاوكراني بالعودة لتبنّي

استراتيجية عسكرية سوفياتية وبعدم اتباع عقيدة الحلف الأطلسي العسكرية وبأن ذلك هو السبب الرئيسي للكارثة التي انتهى بها الهجوم المضاد».

سرّ

صحيفة Le Grand Soir الفرنسية شنت هجوما ضاريا على جريدة Le Canard Enchai-né بسبب «اصطفافها الأعمى وراء إسرائيل» ومطالبة أحد محرّريها في مقال خصصت له إدارة الصحيفة الحيّز الأكبر من صفحتها الأولى الدول الأوروبية بفتح تحقيق للتأكد ممّا اذا لم يكن جانب من أموال المساعدات التي ترسلها الى السلطة الفلسطينية يذهب الى حركة المقاومة «حماس» واصفا الأخيرة بحركة إرهابية.

وبعد أن مسحت بـ Le Canard Enchainé الأرض واتهمت ادارتها بالتنكر لكل اخلاقيات العمل الصحفي وعلى رأسها الموضوعية والمصداقية تساءلت Le Grand Soir: «هل يتوجّب البحث عن تفسير لسرّ هذا الاصطفاف الأعمى والتصهين؟ هل يتوجّب التنقيب عن خط الصحيفة هذا عبر ماضيها لمّا استهوت بين عامي 1940 و1944 عناوين صحافة حكومة فيشي العميلة كثيرا من صحفيي Le Canard Enchainé التي كانت أبوابها أيامها مغلقة لـ «يقلبو الفيسة» حتى يحصلوا على دعم مالي يوفر لهم رواتبهم؟ وبعد مرور 78 سنة يبدو أن رعب شبح البطالة الذي عاشوهم أيامها وما تبعه من خيار مخز سمر هذه الصحيفة في خندق دفاع أعمى عن إسرائيل».

مغازلة

موقع «الشبكة العالمية» كشف أن الولايات المتحدة تتابع كن كثب حملات الانتخابات الرئاسية والتشريعية والجهوية التي ستدور كلها يوم 14 فيفري 2024 بأندونيسيا التي تعد ثالث أكبر ديمقراطية في العالم بـ 270 مليون نسمة و205 ملايين ناخب.

الموقع أشار الى أن واشنطن تدعم المترشح Anies Baswedan والى انها تراهن على فوزه أملا في «جرّ اندونيسيا الى دائرة نفوذ الحوار الرباعي حول أمن منطقة آسيا والمحيط الهادئ للمشاركة فيه الى جانب استراليا والهند واليابان».

«الشبكة العالمية» أضاف أن حلف AUKUS الذي يضمّ الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا يدعم أيضا أندونيسيا وأن واشنطن تحاول «مغازلة» جاكرتا من الجهتين للاصطفاف الى جانبها في مسعاها لاحتواء الصين.

سكوت ريتر :

مقاومة الاحتلال ليست إرهابا وإسرائيل خسرت الحرب

في تدخّل جريء على «يوتيوب» دحض سكوت ريتر Scott Ritter الضابط السابق بالبحرية الأمريكية والـ «سي. أي. ايه» وأحد أفراد لجنة التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل بالعراق أكاذيب إسرائيل حول العديد من النقاط المتعلقة بالعدوان الذي تشنه على قطاع غزة مجيبا عن أسئلة كثيرة مفنّدا الروايات التي تقدّمها حكومة تل أبيب ومن ورائها الاعلام الغربي المتصهين.

وحول رأيه في ما إذا كانت المقاومة الفلسطينية حركة إرهابية مثلما تصنّفها عديد الحكومات الغربية وحتى العربية نفى ريتر ذلك مؤكدا أنها حركة تقاوم المحتلّ وفقا لقوانين الأمم المتحدة. وحول عملية «طوفان الأقصى» التي نفذتها حركة «حماس» يوم 7 أكتوبر الماضي قال ريتر إنها بدورها ليست عملية إرهابية وإنما عملية عسكرية ضد قوات الاحتلال واصفا إياها بواحدة من أرقى العمليات العسكرية الذكية جدّا تنفيذا واستخباراتيا.

وردّا على أسر رجال المقاومة مدنيين إلى جانب عسكريين قال ريتر إن كل المناطق المحيطة بقطاع غزة مناطق ومدن عسكرية وأن المقاتلين الفلسطينيين افترضوا أن لكل المتواجدين فيها علاقة بالعسكر مضيفا أنه يحق أيضا لرجال المقاومة القبض على مدنيين مذكّرا بأن سجون إسرائيل تعجّ بمدنيين فلسطينيين من نساء وشيوخ وأطفال ورجال خالصا إلى أن المعاملة في مثل هذه الحالات تكون بالمثل مشيرا إلى أن «حماس» أسرت مدنيين حتى يمكنها التفاوض على اطلاق سراح مدنيين فلسطينيين يقبعون في السجون الإسرائيلية مشدّدا على أن ذلك من حق المقاومة.

واجابة عن سؤال يتعلق بمآل الحرب الدائرة بين الطرفين اعتبر سكوت ريتر أن إسرائيل خسرتها وأن الجيش الإسرائيلي «انتهى» ملاحظا أن الفلسطينيين يقاتلون بطريقة ذكية وأنهم امتصّوا الضربات الأولى ويحققون الانتصارات على الجيش الإسرائيلي.

وأضاف أن الإنجاز الإسرائيلي الوحيد هو الدمار... تدمير البنى التحتية والمنازل والمستشفيات والمدارس والمساجد والكنائس مبرزا أن ذلك يؤكد أن الجيش الإسرائيلي لم يجد سوى الانتقام من المدنيين لأنه يتأذّى كثيرا من ضربات المقاومة.

وأقر ريتر بأن عملية «طوفان الأقصى» وما انجرّ عنها أعادت القضية الفلسطينية الى واجهة اهتمامات العالم وانها قضت على كل الألاعيب والتطبيع و»صفقة القرن» داعيا الى الالتفات الى العالم والمظاهرات التي تشهده تنديدا بوحشية إسرائيل خالصا الى أن ردّ الفعل الإسرائيلي الهمجي على عملية «طوفان الأقصى» كشف الوجه البشع للنظام الصهيوني الحاكم بإسرائيل الذي يدعمه البيت الأبيض.

وأكد ريتر أن حكاية قطع رجال المقاومة لدى اقتحامهم مستوطنات إسرائيلية يوم 7 أكتوبر رؤوس أطفال إسرائيليين كذبة مذكّرا بأن كل من روّجوا لها تداركوا أمرهم في ما بعد واعترفوا بأنها اخبار كاذبة. كما استشهد بشهادات مواطنين إسرائيليين لم يشملهم الأسر أكدوا فيها أن العديد من المدنيين منهم سقطوا برصاص جنودهم خلال تصدّيهم لرجال المقاومة واشتباكهم معهم. وساق ريتر دليلا على براءة رجال المقاومة من مثل هذه الأكاذيب تمثل في شهادات نساء بعد الافراج عنهن تحدثن فيها عن سماحة رجال المقاومة وتأكيدهم للأسرى المدنيين أن دين الإسلام لا يسمح لهم بإساءة معاملة الأسرى وخصوصا منهم النساء والبنات مشيرا الى أن العملية العسكرية التي نفّذتها «حماس» جديرة بأن تدرّس في الأكاديميات العسكرية العالمية والى أنها قضت على هيبة الجيش الإسرائيلي.

من قلب المعركة... من قلب المعركة... من قلب المعركة...

جندي إسرائيلي لصديقه في الهاتف :

«نحارب أشباحا.. لا أريد أن أموت»

موقع «ذات مصر» نشر مقطع فيديو به تسجيل صوتي لنحيب جندي إسرائيلي يخاطب فيه صديقه في الهاتف ويطالبه فيه بإخراجه من غزّة قائلا وهو يبكي : «نحارب أشباحا.. مش عايز أموت... لقد رأيت صديقا يُقتل أمام عينيّ.. أرجوك أخرجني من هنا... وحوش «حماس» هؤلاء... لا أستطيع رؤيتهم... نحن نقاتل أشباحا.. أنا لا أريد أن أموت... أرجوك «يتسحاك» بدون سلاح الجوّ وسلاح البحرية لا نستطيع هزمهم... نحن لا نستطيع أن نتقدم حتى بالدبابات... ليس لديهم ما يخسرون... بكلّ الدبّابات والمعدات القتالية لا نستطيع عمل أي شيء.. أنا أريد مغادرة البلاد» ليأتي صوت أحد أصدقائه وهو يقول له : «يودا... اسمع... اسمعني جيدا واهدأ» ليردّ يودا : «لا تقل لي اهدأ.. أنت لا ترى ما أرى.. أرجوك أنا أريد الخروج فورا من هنا».

كما نقل الموقع تسجيلا صوتيا نشرته احدى العائلات الإسرائيلية مع ابنها الذي تم ارساله الى غزة يُسمع فيه صوت فتاة أو امرأة وهي تخاطبه قائلة له : «رعيم... رعيم.. نحن هنا» ليردّ قائلا :

– ضعيني على مكبّر الصوت

– أنت الآن على مكبّر الصوت... كلّنا هنا جدّك وجدّتك وعوفير وعادل... كيف حالك يا رعيم؟.. هل أنت بخير؟

– الوضع مؤلم.

الجندي الاسرائيلي السابق روني باركان :

هذا ليس صحيحا...

في الأيام الأخيرة (اليوم 24 أو 25 من المعارك) ظهر عدد من الجنود الإسرائيليين السابقين وتحدّثوا عن تغيّر نظرتهم للصراع.

وفي هذا الصدد نقل موقع «ذات مصر» فيديو يظهر فيه الجندي الإسرائيلي السابق روني باركان وهو يقول : «مثل أي شخص ينشأ في إسرائيل، مررت بكل آليات التلقين.. تم تدريبنا منذ سنوات الطفولة الأولى لنكون جنودا... حرفيا اللحظة التي أدركت فيها الحقيقة وبدأت التغلب على كل ما تم تلقيني إياه هي اللحظة التي رأيت فيها كل شيء بوضوح أن الموقف واضح وضوح الشمس عند الظهيرة... واحد من أكثر أعمال إسرائيل الدعائية نجاحا هو اقناع العالم بأن المسألة معقدة ولكن هذا ليس صحيحا... هذا الصراع يعتبر الأقل تعقيدا في العالم وهو بين الذين يملكون القوة ويقومون بقمع وإخضاع السكان الأصليين أصحاب الأرض الذين يتم اخضاعهم ونفيهم خارج أرضهم.. هذا كل ما يحدث».

هل تضطر مصر والأردن لمحاربة إسرائيل؟

ألكسندر نازاروف (محلل سياسي روسي)

قال الرئيس المصري وملك الأردن قبل أيام إن طرد الفلسطينيين من غزة والضفة الغربية سيكون بمثابة إعلان حرب. أنا على يقين بأن إخلاء مؤقتا للفلسطينيين على الأقل سيحدث. فهل ستنشب الحرب؟

ولعل أهم ما حدث في 7 أكتوبر الماضي بفلسطين هو فقدان سياسيي المنطقة القدرة على التأثير في مجرى الأحداث. ومن تلك اللحظة فصاعدا تتطور الأحداث وفق القوانين الجيوسياسية، ليصبح أقصى ما يتمكن السياسي أن يفعله هو أن يخطو خطوة واحدة إلى اليسار أو إلى اليمين داخل الممر الذي يرسمه منطق الأحداث.

ومن المستحيل إنكار أنه قبل الإنذار الروسي للولايات المتحدة وحلف "الناتو" في ديسمبر 2021، كانت موسكو تحاول التوافق مع النظام العالمي الأمريكي مع احترام مجموعة معينة من المصالح الروسية، وكان هذا هو المسار العام للنخبة الروسية الحاكمة، والذي بدا أنه لا يوجد بديل له.

أعتقد أنه بناء على نتائج الأشهر الأولى من الحرب، كان لدى كثير من الناس انطباع بأن العملية العسكرية الروسية الخاصة بأوكرانيا نفسها كانت تعتبر حجة أقوى في المساومة مع الغرب أكثر من كونها حربا طويلة المدى واسعة النطاق، أو ربما خطوة نحو صراع عالمي.

الآن، نرى مدى سرعة سير عملية تأميم الطبقة الحاكمة في روسيا، نفس الأوليغارشيين وممثلي النخبة الروسية الذين يكرهون روسيا، وخدموا الغرب أثناء وجودهم في أعلى المناصب في البلاد، يضطرون الآن إما إلى المغادرة إلى إسرائيل أو الرضوخ صاغرين لخدمة مصالح روسيا. وبرغم رغبتهم في صنع السلام مع الغرب، إلا أن منطق الأحداث لا يسمح لهم بذلك.

في الوقت نفسه، عادت السياسة الخارجية الروسية، تحت ضربات الغرب، وضد رغبات النخبة الروسية، إلى المنطق الذي أنشأ روسيا العظمى من مجرد إمارة موسكو، ألا وهو التوسع من خلال تحييد التهديدات الوجودية على حدودها. وهذا المنطق، يفرض على روسيا، في السراء والضراء، توسعا لا نهاية له (بالقدر الذي تسمح به قوتها) وفي الاتجاه الذي يأتي منه التهديد. أي أنه من الممكن الافتراض أنه على الرغم من الشعارات حول إعادة توجيه روسيا من أوروبا إلى آسيا، إلا أن روسيا سوف تتقدم نحو أوروبا، لأن التهديد يأتي من أوروبا، لهذا ستستمر روسيا استراتيجيا في التحرك نحو الغرب، ولكن الآن ليس بالطريقة التي يريدها الغرب.

في المقابل، نشأت في الغرب، وبسرعة كبيرة، من مكان ما في أعماق اللاوعي، موجة هائلة من كراهية مخفية سابقا لروسيا، ما أدى إلى استبعاد دوستويفسكي وتولستوي، وتطهير برامج الجامعات الغربية من الأدب الروسي العظيم، وحظر الفنانين والمؤلفين الموسيقيين الروس، وهو ما يتعارض مع حقوق الملكية الخاصة "المقدسة" لدى الغرب، فيما تمت مصادرة رؤوس أموال رجال الأعمال الروس، وحتى سيارات المواطنين الروس العاديين الذين لم يحالفهم الحظ ببقائهم في هذه اللحظات بأوروبا. فقدت روسيا والثقافة الروسية والشعب الروسي في أذهان الغرب حقهم في الوجود، في غضون شهرين فقط، على الرغم من أن السبب في ذلك هو الأفعال التي يرتكبها الغرب نفسه بانتظام وبيسر كبير. وصل الغرب على الفور إلى الحد الأقصى الممكن لما كان يمثل لعدة قرون جوهر وجوده: "الهجوم على الشرق" والتوسع الاستعماري من خلال الإبادة الجماعية لأعدائه.

باختصار، تبخرت في غضون أشهر قليلة الطبقات التي نشأت خلال العقود القليلة الماضية، وسيطرت الدوافع الجيوسياسية التي حددت مسار التاريخ على مدار السبعمئة عام الماضية أو أكثر، بدءا من الحملات الصليبية.

في إسرائيل وفلسطين ودول أخرى في المنطقة نرى نفس الشيء. فالزعماء من الجانبين، أو بالأحرى من كل الأطراف الكثيرة، الذين كانوا في السابق مدفوعين بمصالح مالية أو تجارية، والذين عملوا في السنوات الأخيرة بمنطق المال والصفقات، بمنطق الاتفاقات الإبراهيمية، تحولوا فجأة إلى لغة الصراع من أجل الوجود، لغة الحرب والتطهير العرقي. وأصبحت مجتمعات الأطراف المتحاربة متطرفة على الفور، وتوحدت في مواقف متطرفة. فضلا عن ذلك، فإن الصراع في الشرق الأوسط يكتسب، على نحو متزايد، وسيستمر في اكتساب طابع صراع الأديان والحضارات، حيث لا أهمية هناك للدوافع العقلانية.

في الوقت نفسه، لا يمكن إنكار وجود اتجاه معاكس. على سبيل المثال، تواصل روسيا توريد المواد الخام والطاقة إلى أوروبا، بما في ذلك عبر الأراضي الأوكرانية، في حين تستمر روسيا في دفع مقابل العبور لكييف. السلوك عملي للغاية، عكس كل العواطف والأفكار العامة حول الأخلاق. وحزب الله كذلك ليس في عجلة من أمره للتدخل بشكل كامل في حرب غزة.. فهل يمكن الحديث إذن عن فقدان السياسيين السيطرة؟

هذا وارد. فتلك أشياء صغيرة لا تغيّر الاتجاه العام للوضع. فالمسار الاستراتيجي للبشرية جمعاء يمر بالأزمة الاقتصادية العالمية، وهي الأزمة الأكبر منذ عدة قرون، وربما حتى منذ ألف عام. فالوضع في كل بلدان العالم تقريبا يتأرجح على حافة الانهيار، ولا أحد يدري في أي من البلدان سيعطي الانهيار إشارة البدء لسلسلة من ردود الفعل التي ستؤثر على العالم أجمع. إلا أن هذا يمكن أن يحدث في أي وقت، وعلى أي حال سيحدث قريبا نسبيا، في السنوات القليلة المقبلة.

سوف ينخفض الاقتصاد بشكل كبير، وستزداد البطالة بعدة أضعاف، وفي بعض البلدان بأضعاف مضاعفة. وسينخفض مستوى المعيشة بشكل كبير، وسيشعر الناس بالصدمة والرعب، وسيرتفع ألم وغضب الناس العاديين إلى عنان السماء.

سوف تختفي بعض الدوافع العقلانية ليس فقط من سلوكيات الشوارع، بل وأيضا من تصرفات السياسيين. سيخرج الناس إلى الشوارع ويطالبون بالأشياء الأساسية: العدل والحقيقة والمسؤولية والوفاء بالوعود والأخلاق والمبادئ. ولن يهم حينئذ واقعية أو جدوى مطالب الشارع، المهم هو أن العواطف والمشاعر والإيمان هي ما سيحكم السياسة.

لا أعرف أي شعور سيصبح أهم وأعمق في أوروبا أو في روسيا، لكن في الدول العربية سيكون الدين، الإسلام. لهذا، وفي رأيي المتواضع، لن يكون هناك مفر من أسلمة السياسة وإعلان حرب دينية مع إسرائيل بمشاركة معظم دول المنطقة (وبالدرجة الأولى الجيران). لكن هذا لا ينفي بالمناسبة إمكانية (أو حتمية) تورط المنطقة في الصراع بين الولايات المتحدة والصين.

فما الذي يجب على القادة العرب أن يفعلا في هذا الوضع؟ في رأيي، يتعيّن النظر إلى ما يقوم به الثعلب الخبيث رجب طيب أردوغان. وكما يقول المثل: إذا لم تتمكن من منع شيء، فعليك بقيادته. قبل أن يفوت الأوان.

إلا أن تلك نصيحة عقلانية وعملية، تتنافى وروح وجوهر هذا المقال. وإذا أردنا أن نكون متسقين، فعلينا القول إن الحكام العرب لن يفلتوا بتصنّع القتال من أجل الإيمان والعدالة، بل سيتعين عليهم القتال من أجل الإيمان والعدالة. ولن أكتب عن البدائل، فقد أصبحت واضحة وجلية للعيان.

الشارع الثقافي

العدد 282 - من الثلاثاء 14 إلى الاثنين 20 نوفمبر 2023 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

وقفة

غزّة... حفر في ثنايا لهيب الانتفاضة

بقلم :
د. عز الدين الرتيمي

رأي

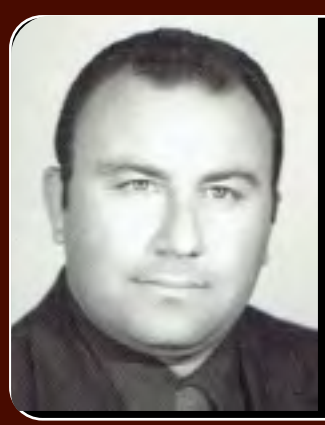

الاتّصال الإيتيقي للمقاومة

بقلم :
د.نوفل حنفي

تاريخ

بلاد فلسطين في التاريخ القديم: إطلالة على المجال والسكّان والممالك القديمة

بقلم :
فريد زمالي

قراءات مسرحية

مداخيلها للشعب الفلسطيني: جليلة بكار تقدم اليوم «نظرات فلسطينية» بمدار قرطاج

الروائي والشاعر الفلسطيني ابراهيم نصر الله لـ«الشارع المغاربي" :

الكيان الصهيوني هُزم وهذه الهزيمة ستغيره إلى أن يزول

وقفة

غزّة... حفر في ثنايا لهيب الانتفاضة

بقلم : د. عز الدين الرتيمي

قيل: «من لم يحركه العود وأوتاره والربيع وأزهاره، فاسد المزاج ليس له علاج»، وعلى نهجها نقول: من لم تحركه غزّة ودمارها وفلسطين ولوعة كبارها وصغارها، منعدم الإحساس ليس له أصل ولا منبت ولا أساس. للأسف، وحدها تقاتل عوضا عن الجميع، وحدها ترفع لواء الشرف والعزّة، وحدها تكشف مستور العالم وبقايا الجبن الدفين، وحدها تصارع الحصار لتحصر صراعها المباشر ضدّ كيان لقيط، ومن ورائه كلّ الرسميّات المتسمّرة خلف الرسميّ ووراء حُجب سيادة وهميّة وسلطة زائفة. تكشّف المشهد وتعرت كلّ الشعارات وبانت الحقائق وتبيّنت الأحلاف وتميّز الصادق من الكاذب. تلك هي مزايا الحرب التي يجب أن تخلّصنا من سرديّة هيروشيما وناغازاكي، لأن المشهد أكثر فظاعة وأشدّ وطأة. لقد قهرت غزّة كلّ المسافات ودمّر واستولت على كلّ الحيوزات. إنّها الحيّز المحدود الذي اختارته النيولبراليّة لاستعراض عتادها اللامحدود، تعويضا عن خسارة استراتيجيّة وخيبة عسكريّة ضدّ دبّ روسيّ، أبى أن ينصاع.

لقد خلقت غزّة بنيتها المفهوميّة التي لا تطالها المعاجم ولا تقدر عليها التأويليّات، فالمسافة الصفر أقضّت مضجع الأوغاد ودمّرت سردية الأخسّاء. إنها المسافة التي لقنت درسا للعالم بلغة لا يفقهها إلّا من عرف فنون الالتحام وأوجه الاشتباك، وقرّر أن ردّ الصاع لا يكون إلّا فتكا من قريب في زمن عزّ فيه القريب وتبرّم فيه الحبيب. ثمّة فينومينولوجيا جديدة تكشّفت من هذه المسافة القاهرة للمكان والمنغرسة في الزمان. إنها الانتفاضة في غرائبيتها وعجائبيتها.

عجائبيّة الانتفاضة لسانا عربيّا مكينا

«L'intifada»، هكذا تتركها الألسن المجاورة مفهوما خاما بلا تُرجمان، ومن دون توقيع مستضيف في باحة المعاجم المرحّبة به (مفهوما)، أو بها (حركة ما فوق التمرّد وما دون الثورة). حتّى لكأنّها من فرط نقاوتها تتأبّد داخل لسانها الخصوصي، عربيّة قحّة، فلسطينيّة النبع، غَزّية الهوى ، لتُترك كما هي دون تدخّل خارجي، كما تركت غزّة اليوم لمصيرها ! لعلّ الدّال هنا أقرب إلى مقاربة ديسوسير الألسنيّة، وأبعد ما يكون عن مقاربة تشومسكي. لأنّ التعالق مع مدلوله يفوق الضرورة لينطبق انطباقا تاما كاملا معه. وكما المدلول عصيّ متمرّد قلق ومنتفض، كذلك الدّال المشتقّ من فعل نفض: النفْض: مصدر نَفَضْتُ الثوب والشجر وغيرهما. وأَنْفَضَه نفضا، إذا حرّكته لينتفض. والنَفْضُ بالتحريك: ما تساقط من الورق والثمر، وكم كشفت الحرب الدائرة اليوم من سقّاط وملاعين، وكم أسقطت أقنعة عن تنوير خلنا أنّه فعل فعله إذ به يخرج أوروبا من عصر الظلمات ليدرجها في ظلمات أحلك؛ تلك هي أوروبا المعاصرة وأمريكا الجديدة. وعلى الضدّ يأتي يسار أمريكا اللاتينيّة ليصرخ بأعلى صوته؛ لا لسحق غزّة، لا لقتل الأبرياء. وقريب من الانتفاضة، الإنفاضُ أي المجاعة والحاجة1، وهل من مجاعة أشنع من مجاعة أهل غزّة وهل من حاجة أكثر إلحاح ممن لا يجد ما يشرب فلا إلّا البحر سبيلا. الانتفاضة على المستوى الدلالي المباشر تسير على حركة خلّاقة، تُولّد الجديد من القديم (النظافة). كما تحيل على الخصوبة، فيقال: «نَفُضَ الكَرْم»، أي تفتّحت عناقيده، ويقال نَفَضَت المرأة أي كثر أولادها، والمرأة النفُوض هي المرأة كثيرة الأولاد (مثل المرأة الفلسطينيّة). كما يقال انتفض واقفا. وقد يفترض اللّفظ بكلّ هذه الإيحاءات وجود اقتدار كامن يظهر أنّه ساكن، ولكنّه في سكونه متحركًا. من هنا تحمل الانتفاضة دلالات تبعدها عن العصيان بما هو رفض، والتمرّد بما هو نقل لما هو بالقوّة في العصيان إلى ما هو بالفعل. كما يبعدها عن الثورة بما هي قطع وانقطاع، لأنّ الانتفاضة هي بالنسبة إلى التمرّد من مثل التمرّد بالنسبة إلى العصيان. لعلّ من معاني الانتفاضة إذًا هو إظهار ما كان كامنا في التمرّد، بمثلما كان التمرّد تعبيرة عيانيّة عن العصيان. ثمّة تسلسل ولا شك، إلّا أنّه لا يستتبّ في مسار تصيّره السهمي تصالبيّا إلّا عبر الفرادة الثوريّة المتحفّزة على الدوام لتكون سائسة النَظْمِ ومُحرّكة خيوط التسدّي الزيغي. ذلك هو النغم الصوتي لملثّم يعرف جيدا ما يقول.

غزّة في مواجهة أكذوبة الحداثة

إن انتفاضة غزّة هي المقاومة العيانيّة الحيّة لمكافحة الحداثة. بل يمكن عدّها التعيّن المكثّف لتصالب السلطة التأسيسيّة في السلطة المُمَأسَسَة، هذا ما تؤكّده الأحداث حيث تتقوّم الانتفاضة الفلسطينيّة بما هي التماهي المطلق للسياسي بالاجتماعي في مقاومة بقايا أوروبا القرن التاسع عشر وتجربتها الاستيطانيّة ممثّلة في كيانها اللّقيط. إنّها الصورة الحيّة للفرادة الثوريّة في مواجهة ترسانة عسكريّة مدجّجة بأحدث منتجات التحديث ومدعومة بلوبيات ضغط عالميّة. إنّ الانتفاضة الفلسطينيّة هي بالاسم، شباب تجمعهم الفاقة والمحبّة، أو قل هي جمع بلا دولة، في مواجهة ومقارعة أكذوبة «دولة بلا شعب لشعب بلا دولة». إنّ ما يجعل الانتفاضة حدثا مميّزا هو خروجها عن الحدّ، فلا هي تصعيد (في المعنى السياسي كما السيكولوجي) مطلق، حدّ بلوغ الذروة، ولا هي سكون دائم. لذا فهي تتوهّج أحيانا لتخبو أحايين أخرى. إنّها تغتني بلعبة تحوّلات الرغبة التي لا تقدر السلطة على مواجهة زمانيّة حركتها ومكانيّة اندلاعها. ثم إنّها بلا زعامة، لأنّ لا صوت فيها يعلو فوق صوت المعركة وحالة الميدان وألعوبة الكرّ والفرّ. محرّكها الوحيد هيجان الرغبة في الانتقام، أوّلا ممّن قتل وشرّد واغتصب بدم بارد، وثانيا من الرغبة في الفتك بدوائر الهيمنة الدوليّة سواء الرسميّة أو الشعبيّة، وثالثا من حداثة تكشّف وجهها القبيح حينما صِيغت سرّا لتُفضح جهرا. إنّ المنتفضين وجوه عارية لأنّهم ذاتيّات مغامِرة ومغايِرة، هم في منأى عن أنْ يكونوا ذاتيّات مَدِينَةٍ، إذ في المواجهة، لا دَيْنَ ولا اقتراض قد ينخر الذاتيّة ويبعثر طاقاتها الخلّاقة. ولا هُم ذاتيّات مُؤعْلمة، فلا سوق هنا ولا تبادل غير طرائق مبتكرة للفتك بالعدو أينما ولّى وجهه، لا سلعنة هنا ولا تجارة غير ما التقطه الفتية من الحجارة للرجم أو ما جاد بعض الأحبّة من بقايا ترسانتهم. تكفّ الذاتيّات هاهنا أيضا عن أنْ تكون مُؤَمَّنَة، فلا عجز ولا وهن ولا مرض ولا خوف من المستقبل، لأنّ المقصد احتضان المقبل. كما أنْ العزف على وتر الأمن والاطمئنان لا يجد صداه عند من لبس قناع المقاومة، لا خوفا ولا وجلا، بل حفاظا على إنتاجيّة الذاتيّة وبحثا عن تسرّب الأسراب حيث الأماكن المهجورة بعيدا عن أعين الأعين. طبعا، الذاتيّات هنا وبالمحصّلة لا يمكن أنْ تكون مُنَابَةً، لأنّ الفعل مصدره الناس الحاضرون في تكاينهم التآزري والتعاضدي والتعاوني والتآصري، في الساحات العامة والشوارع والأزقّة، كما في الأنفاق. في ساحة المعركة هذه يكون الوضوح في تمامه بين ذوي الأصل والأرض والنسب من ناحية والدخيل المسقط واللقيط من ناحية أخرى.

تُخبرنا الوقائع أنْ ليس ثمّة فرح أقصى من فرح منتفضين يعودون أدراجهم، وهم يشتمّون ميركافا العدوّ محترقة. إنّ الحرْق هو الانتقام الراديكالي من تاريخ مديد للظلم والاضطهاد والعسف، أو هو التوقيع الأنطولوجي الأرقى لكينونة تودّ التكاين من داخل الفشل الذريع لرسميّة أبت أن ترسم خيوط شهامتها. إنّه رسالة مشفّرة لا للعدوّ المباشر بما هو شرطيّ مؤجّر من جنسيّة غير معلومة، بل من منتظم دولي ولدول تدّعي الانتظام. من ثمّة نفهم ما معنى أنْ يتقرّر هذا الأنموذج الانتفاضي معركة مفتوحة2. إنّ الانفتاح هنا هو الاتجاه نحو مقبلٍ يودّ أنْ يبتكر من عنفه، حقّه الخاص، لمصارعة ومعاندة الحقّ من حيث هو عنف منمذج، لئن ظهر تحت مطيّة السيادة فقد استحال طيّة في الواقع والتاريخ والمكان والزمان والعالم3. من هنا تخرج الانتفاضة من كونها حدثا عاديّا لتكون إعلانا بأنّ الفرادة والجمع والمشترك، هي آليات الخلاص من حداثة أرادت أنْ تكرّس دولة الرفاه حلّا إنسانيّا اصطناعيّا بلا منازع، في الوقت الذي تنتزع فيه كلّ رفاهيّة إنسانيّة حقيقيّة. إنّ الانتفاضة هي النقل الحيّ للتراجع الصريح والمعلن عن الحداثة والإقرار المادي بفشلها الإتيقي. بل هي إجابة حيّة عن سؤال كان قد طرحه أنطونيو نيغري وهاردت في آخر كتاب الإمبراطوريّة، يقول السؤال: «لماذا مازالت الحالة الكفاحيّة والنضاليّة تبرز على السطح؟ لماذا باتت أشكال المقاومة أكثر عمقا؟ ولماذا يعود الصراع باستمرار، إلى التفاقم وبزخم جديد؟»4. قد لا تعنينا هنا الأجوبة بقدر ما تعنينا الأسئلة من حيث هي أسئلة، فالانتفاضة في هي التجسيد الحيّ للكفاح، وفي العربية «كفح عدوّه»، واجهه وجها لوجه، ثمّة ليفيناسيّة في العربيّة تقول المواجهة في حدّها الأقصى. و«كفح الشيء»، كشف عنه غطاءه. فالكفاح تعرية أركيولوجيّة، وفضح لترسّبات خطب الغرب البرّاقة. إنّه بالجوهر مواجهة ومقاومة عارية تكون فيه الكينونة، لا فقط وجها لوجه مع عدوّها، بل وجها لوجه مع مصيرها، هنا تنفجر شظايا المسافة الصفر لتكشف كم الأصفار التي نعاشر.

عبقريّة الفينومينولوجا الجديدة

تكمن عبقريّة الانتفاضة في تأسيها لفينومينولوجيا مغايرة، هي بالاسم الفينومينولوجيا الشارعيّة، ونعني بذلك فينومينولوجيا لم يعد آخَرُها مجرّد غيريّة تودّ الإنّية أنْ تتلقّفه حميميّا (كما عند بول ريكور في كتابه الهو عينه غيريّة، مثلا)، بل نحن إزاء فينومينولوجيا مغايرة يكون فيها الشارع هو الآخر الذي يستوطنه الثوار، وتقام في أرجائه الخيام، وتتلاقح بين أرصفته الأفكار، وتختلط فوق إسفلته الأسراب، وتتماهى في أزقّته الأعراق، وتَتجدّدُ في منعرجاته الأجناس، وتُنمذج في دهاليزه الرؤى. لعلّ الشارع بهذا المعنى هو الحيّز الميتافيزيقي الجديد للفعل، أين يكون المنتفض منتصب القامة يمشي. من ثمّة فليس الشارع إذًا مجرّد أرصفة واسفلت وأزقّة ومنعرجات ودهاليز، بل هو ذاكرة ومحلّ ومقام تكاين، إنّه موطن العَبَرَات والاجتيازات، والوسط الحيّ لقول العِبَارات وتجسيد للابتكاريّة الافتراضيّة للشبكات ومحلّ انتصاب القامات/الهامات. تلك هي الشوارع التي يودّ العدو مسحها خرائطيّا. على هذا الأساس كانت شوارع نيويورك ومونتريال والمملكة المتحدة شوارع تعبير عن رفض صارخ للمواقف الرسميّة التي خذلت الأخلاق وداست القيم وضحّت بالإتيقا. للشوارع سحر لا يعرفه إلّا من سلكها من أجل مقصد ثوريّ، لذلك نقول ختاما؛ وحدها الشوارع تعرف من عبرها ثائرا ومن سلكها مُخبرا.

---

1 - ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 2004. المجلّد الثالث عشر، ص. 524. مادة (نفض).

2 - Guattari, Félix et Negri, Antonio, Les nouveaux espaces de la liberté, Nouvelles éditions, Lignes, 2010. p. 113.

3 - Negri, Antonio, Le pouvoir constituant, Essai sur les alternatives de la modernité, Traduit de l'italien par Etienne Balibar et François Matheron, Presses Universitaires de France, Paris, 1982. P. 336.

4- هاردت ونيغري، مايكل هاردت وأنطونيو نيغري، الإمبراطوريّة، إمبراطوريّة العولمة الجديدة، العبيكان، الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2002 م .ص. 584.

الروائي والشاعر الفلسطيني ابراهيم نصر الله لـ«الشارع المغاربي" :

الكيان الصهيوني هُزم وهذه الهزيمة ستغيره إلى أن يزول

حاورته : عواطف البلْدِي

شاعر وسارد روائيّ يكتب بالدم قبل الحبر ويستشرف الأحداث قبل وقوعها بعقود (ثلاثة كتب حول غزة كُتِب أوّلها منذ أربعين عاما، واثنان قبل عشرين عاما).. على كتاباته اجماع من قبل الكتاب والنقّاد والقرّاء في آن وهو أمر نادر في عالم الكتابة والثقافة. يشكّل في ما أنجز حالة استثنائية حظيت بالكثير من الجوائز والاهتمام سواء كان ذلك في دراسات النقاد العرب والأجانب أو الكتب التي صدرت عن تجربته، أو الأطروحات الأكاديمية، أو الترجمات. هو الفلسطيني ابراهيم نصر الله الكاتب الذي يبحث في شعره وأدبه عن مساحات أوسع عن «حريات خارج المعلّبّات في عالم بات أضيق كثيرا» .

«الشارع المغاربي» تواصلت مع الروائي والشاعر الفلسطيني ابراهيم نصر الله للحديث حول «طوفان الاقصى» وحول روايته الاخيرة ودور المثقف العربي تجاه القضية الفلسطينية.

الحكّام العرب خذلوا شعوبهم أوّلا ولا يمكن لمن يخذل شعبه أن يكون مع أية قضية عادلة

إبراهيم نصر الله فلسطيني متعدد المواهب يكتب بريشة فيها الصخب والهدوء والجنون... من يقرأ سرده أو شعره يكتشف شيئا ما يشبه السحر أو هو ربما هو الدهشة، شيئا يجعلك تغوص في عالمك قبل عوالم الكاتب... في أي أرض نبتت لغتك الموغلة في البساطة والعمق تلك التي شكّلتَ منها نصوصك السردية والشعرية؟

أظن أن من أكثر الأمور تعقيدًا هو كيف تتشكل لغات الكُتّاب، فتختلف هذه عن هذه، حتى لو كانت مصادر ثقافتهم متقاربة أومتقاطعة. ربما يعود الأمر لاختلاف إدراكهم وحساسياتهم، سواء تعلّق الأمر باللغة نفسها وجمالياتها، أو بحساسياتهم وتجاربهم وتكوينهم النفسي أيضا، فكلنا نملك حروف اللغة نفسها ولم يمنح أيّ منا حروفا أكثر.

بالنسبة إلي، أيضا، أظن أن الأمر مركّب، وإن كنت أعيد الأمر بصورة من الصور إلى تعدد الروافد التي تصب في تجربتي اللغوية، فهناك لغة الشعر بما تحتاج هذه اللغة من رهافة وقدرة على الإيحاء، وهناك السّرد بما يقدم من قدرة على تنوّع الأحداث والحالات وتعدد أنماط البشر، وهناك العلاقة بالسينما والكتابة عنها وما تقدم الصورة، وهناك الصورة الفوتوغرافية وقد أقمت أربعة معارض، وكذلك الفن التشكيلي، ولا أنسى العمل الطويل في الصحافة، كل ذلك في ظني يشكل اللغة التي يكتب بها المرء، سواء بوعيه أو لا وعيه، حين تغدو هذه الروافد جزءا أصيلا من تكوينه الداخلي.

كل هذا محاولة لتفسير شيء أظنّ أنّ من الصعب تفسيره، لكنها محاولة لا بدّ منها أمام هذا السؤال الصعب.

في «طفولتي حتى الآن» بنيت روايتك على أعمدة راسخة في سيرة متشظية للفلسطيني إبراهيم نصر الله ولكل فلسطيني... لقد كنت على خلاف الذين جعلوا من معاناة الفلسطيني مادة خاما لأعمالهم السردية، فقد جذّرت هذه المعاناة في بعد إنساني. أعتقد أن هذه القدرة على الانعتاق من المحلي والذاتي هو سبب أصالة كونك الروائي. واسمح لي وأنا إحدى قارئاتك أن افترض أنك تكتب وفي ذهنك مخاطبة الآخر المختلف عنك ثقافة وتصوّرا... هل هي عبقرية إبراهيم نصر الله وأصالته في الحكي أم هي خطة تقوم على الكتابة بطريقة تعجب الآخر....؟

الحقيقة لا أستطيع تخيّل أحد أكتب إليه حين أكتب، فهذا الآخر متعدد المستويات ومتعدد الذائقة، والأفكار، لكنني أكتب من حصيلتي التي تحدّثت عنها في الإجابة السابقة، وحصيلتي الإنسانية من التجارب والقراءات والمشاهدات، ومن حسّي كقارئ بشأن الكتابة الجميلة، وغير الجميلة، واللغة الغنية وسعيي لتقديم شيء على المستوى الفني يمكن أن يكون جديدا وجزءا من تاريخ الكتابة التي تتغيّر حساسياتها كل عقدين أو ثلاثة عقود.

يرنو المرء إلى، ويحلم وهو يعمل بنصوص لا تطويها تحولات الذائقة، وانقلابات النظريات النقدية على مستوى الصراع والتقاطع.

لقد تحدثتِ عن روايتي الأخيرة «طفولتي حتى الآن» التي تستند إلى السيرة الذاتية، بقدر ما هي سيرة عامة لكل شخصياتها، وبالتساوي مع الذات الكاتبة. لقد كتبتها رواية لأنني كنت أريد أن أذوِّب الأنا، وأكبح هيمنتها في كتابة السِّير الذاتية، وأن يكون للبشر الذين عايشتهم وعايشوني المساحة التي يستحقونها من أوّل الرواية إلى آخرها. كما أنني كنت أتمنى دائما أن أكتب رواية حب فلسطينية عابرة للحروب التي عاشها الفلسطيني، وبعد أن أنهيت الرواية اكتشفت أنني كتبتها. لقد غدت «طفولتي حتى الآن» رواية حبّ، بقدر ما هي رواية شخصيات، ورواية كاتبها، ورواية شعب في اللجوء على مدى ستين عاما.

هكذا تكتب بكلك لهذا الكلّ الذي يقرؤك، أما الآخر، أو القارئ الآخر فمسألة لا أستطيع أن أعرف كنهها، هل هو أستاذ جامعي، أو أستاذة جامعية، هل هو الناقد/ ناقدة، طالب الجامعة/ طالبة، من تقرأ أو يقرأ كثيرا من الروايات ويدرك ما يقرأ، أو شخص يقرأ رواية كل عام؟

في اعتقادي مهما سعى كاتب ما لاختيار قرّائه لن ينجح، لأن القرّاء هم في النهاية من يختارون نصّه، أو يعرضون عنه.

في مشروعك الروائي الملهاة الفلسطينية الذي امتد على 14 رواية، سبرت أغوار قضية قتَلها الرواة العرب بإسفافهم الإيديولوجي. كيف استطعت أن توثق لسيرة شعب تتعرض منذ عقود للطمس دون التخلي عن شروط الفن... لن أجاملك هناك تقنيات يجيدها إبراهيم نصر الله وبإمكان أي مطلع على المتن الروائي العربي أن يدرك هذه البصمة الخاصة. أعتقد أن هناك في أعمالك ما هو أبعد من التجريب وأعمق من تمثل نموذجي لفنّيات الرواية.... هل لك أن تبوح لنا بسر هذه البصمة التي انتزعت اعتراف النقاد العرب والغرب بموهبتك الفذة ؟

– في أول حوار صحفي أجري معي وكنت في الخامسة والعشرين من عمري، ولم أنشر سوى ديواني الشعري الأول، قلت في ذلك الحوار جملة لم أزل متمسكا بها حتى

اليوم، وهي «القضايا الكبرى بحاجة لمستويات فنية عالية للتعبير عنها»، وأعني بالقضايا الكبرى هنا قضية فلسطين وكل قضية وجودية أيضا أرّقت البشر، وهذا ما دفعني كثيرًا للعمل لكي أكون صادقا مع نفسي ومع كتابتي وأمينًا في ما يتعلق بما أكتبه أو أقوله.

فأن تكتب عن فلسطين أو أية قضية كبيرة فأنت مطالب بأن تقدم أعمالا تسعى أن تكون مختلفة، وتسعى فيها للذهاب إلى مناطق جديدة في هذه القضايا وفي داخلك أيضا، وفي النوع الذي تكتبه، شعرا أو رواية أو قصة، فبغير هذا لن يمتلك كتابُك مقومات الحياة واحتمالية الاستمرار. هناك مئات الروايات والأعمال التي كتبت عن فلسطين وعشرات الآلاف من الروايات التي كتبت عن قضايا كبيرة، وما هو مطلوب من كل روائي، أو شاعر هو أن يكون نصّه الذي يكتبه ليس معبرا عن قضيته فحسب، بل أن يعتبره أصحاب القضايا المختلفة معبِّرا عن قضاياهم، سواء تعلق الأمر بفكرة العدالة، أو الحرية، أو الاحتلال، أو الحياة، أو الموت، أو الحرب، أو الحبّ. ولا يمكن أن يحدث هذا إن لم يكن هناك النموذج الإنساني والحالة الإنسانية، والبشر في تعدّد همومهم، انتصاراتهم وهزائمهم وأحلامهم. وذلك كله بحاجة دائما إلى أن تجتهد في الوصول إلى اقتراحات فنية مختلفة قادرة على احتضان كل حالة بما تحتاجه هذه الحالة.

هذا الأمر أرقني في الشعر وأرقني في مشروع الملهاة الفلسطينية والمشروع الموازي له، وأعني «الشرفات» الذي يضم عشر روايات تتحرك في مدى زمني واسع، مساحته بالنسبة إلي الإنسان منذ أول يوم لوجوده على الأرض إلى المستقبل البعيد.

الآن علي أن أكون صريحة معك... أعرف جيدا أن للمبدع الحقيقي قلب يتحمل النقد. حين ندير أعناقنا نحو شعرك نلاحظ أنك تحفر في أرض بعقلية صاحب الحديقة وليس بعقلية المزارع، أي أنك تكتب الشعر لتغيير المناخات لا غير. ما رأيك؟

أنتِ أدرى. حين تكون قد بدأتَ نشر شِعرك منذ نصف قرن، يكون قد شهد تحولات كثيرة واجتهادات كثيرة، ويكون هناك مساحات مختلفة وتنوّع على مستوى الشكل، والأسئلة الإنسانية والوجودية، فمن القصائد التي احتفت بالأشياء والتفاصيل في «الخيول على مشارف المدينة» و"أناشيد الصباح" إلى "لو أنني كنت مايسترو" والديوان الأخير "الحبّ شرير» الذي يستعير البناء الأوبرالي ليكتب قصة حب بين ذئب وذئبة هي في الحقيقة تأمل للحياة منذ بدئها حتى عصر الفضاء، مرورا بالقصائد الملحمية والأعمال الشعرية السِّيريّة، وتلك التي تأملت العالم فلسفيا في رباعية «عواصف القلب».هي رحلة واسعة، حظيت بالكثير من الاهتمام الذي آمل أن أكون أستحقه سواء كان ذلك في دراسات النقاد العرب والأجانب أو الكتب التي صدرت عن هذه التجربة، أو الأطروحات الأكاديمية، أو الترجمات.

حقيقة لا أريد أكثر من هذا، لأنه كثير حقًّا، أمّا مسألة المزارع وصاحب الحديقة فلا يعاني منها أحيانا الكتّاب وحدهم، فالتجربة علمتنا أن هذا الأمر مثلما ينطبق على الكاتب ينطبق على الناقد والقارئ أيضًا، وكناشطة في مجال الصحافة الثقافية لا بدّ تلمسين هذا باستمرار.

لا يمكن أن أجري حوارا مع مبدع يكتب بالدم لا بالحبر ولا أشير إلى الجحيم الذي نصبه الكيان الصهيوني في غزة...هل تعتقد أن المقاومة اتخذت مسارا آخر ينبئ بانفتاح أفق جديد في القضية الفلسطينية؟

– هذا النهج اختطته المقاومة الفلسطينية منذ انطلاقها، وعبر مسارها كانت هناك تجليات كبرى، وما يحدث اليوم هو حصيلتها حتى الآن. ما حدث هذه المرّة ليس علامة في تاريخ هذه المقاومة وشعبها فحسب، بل هو علامة في تاريخ الشعوب العربية كلها، وعلامة في تاريخ هذا الكيان الصهيوني الذي أدرك أنه قابل للهزيمة، وأن ألف مقاتل يستطيعون أن يدمروا كل أشكال الجدران التي كان يظن أنها تضمن له الأمان، لقد هُزم، وهذه الهزيمة ستغيره إلى أن يزول، وقد انتصر المقاتل الفلسطيني وهذا إنجاز آمل أن يغير العالم العربي كله.

– أين تضع نفسك في تاريخ الرواية الفلسطينية؟

– لا يستطيع أي كاتب أن يضع نفسه في تاريخ الرواية الفلسطينية أو العربية، أو أي رواية في العالم، أنت عليك أن تعطي بكل طاقتك، وبكل قلبك، وإذا تحقق لك مكان في الأدب، فهذا يعني أن سنوات العمر التي كرستها للأدب لم تذهب سدى.

– كيف يمكن توثيق ما يجري روائيا، وهل تفكر في ذلك؟

– لا أظن أنني وثّقتُ من قبل، بل كتبتُ، لأن التوثيق مسألة سهلة يمكن أن يقوم بها أي موظف أرشيف مجتهد، لكن الكتابة مسألة مختلفة، لأن الرواية في العالم اليوم، في اعتقادي، هي "شمس المعارف" كلها، وهي أعقد أنواع الفنون وأكثرها تركيبية..

الآن لا أستطيع أن أقول ما الذي سأكتب غدا، ولكن حين أسمع الأثر الذي تتركه اليوم ثلاثة كتب لي عن غزة كُتِب أوّلها منذ أربعين عاما، واثنين قبل عشرين عاما، أشعر أن هذه الكتب كتبت الآن.

دائما أقول إن أبرز تحدّ للكاتب هو ألّا يكون لاحقًا، بل سابقًا، فثمة فرق بين كتب تؤرخ الماضي أو الحاضر وتكتبهما، وبين كتب استشرفت.

– هل خذل المثقف العربي القضية الفلسطينية ؟

– لا أظن ذلك، فالكتابة العربية كانت دائما حليفا قويا لفلسطين وشعبها وقضيتها، هناك أسماء قليلة جدا تتساقط، أو تساقطت، وهذا جزء من مسار كل كتابة. حتى الكتابة الفلسطينية شهدت من تساقطوا وهم أبناؤها، لكن المشهد الواسع هو مشهد مضيء في فلسطين والعالم العربي، ربما لأن الكتابة أصلا جزء من تاريخ البشر وأحلامهم وآلامهم، والبشر كانوا دائما مع فلسطين وقضيتها.

– وماذا عن خذلان الحكام العرب؟

– الحكام العرب خذلوا شعوبهم أوّلا، ولا يمكن لمن يخذل شعبه أن يكون مع أية قضية عادلة، ما دام الظلم أساس حُكمه.

بطاقة تعريف ابراهيم نصر الله

إبراهيم نصر الله الفائز بالجائزة العالمية للرواية العربية «البوكر» عام 2018، شاعر وروائي من مواليد عمّان لأبوين فلسطينيين عام 1954.

بدأ حياته العملية مُعلما في المملكة العربية السعودية، ثم عمل في مجالَي الصحافة والثقافة، وفي عام 2006 تفرّغ للكتابة. ويعتبر واحدا من أكثر الكتاب العرب انتشار وتأثيرا.

نشر حتى الآن 15 ديوانا شعريا و 24 رواية من ضمنها مشروعه الروائي «الملهاة الفلسطينية» المكون من 14 رواية تغطي أكثر من 250 عاما من تاريخ فلسطين الحديث، ومشروع «الشرفات» المكون من عشر روايات تتأمل الحال العربي من مختلف وجوهه الإنسانية والاجتماعية والسياسية.

تطوّع للصعود إلى قمة «جبل كليمنجارو» أعلى قمم إفريقيا عام 2014، دعمًا لأطفال فلسطينيين فقدوا سيقانهم بسبب قوات العدو الصهيوني، ووصلوا القمة، وكتب عن هذه التجربة رواية «أرواح كليمنجارو» 2015، وفازت هذه الرواية بجائزة كَتَارا للرواية العربية عام 2016.

كما نال 10 جوائز، من بينها جائزة سلطان العويس المرموقة للشعر العربي عام 1997؛ واختيرتْ روايته «براري الحُمَّى» من قبل صحيفة الغارديان البريطانية كواحدة من أهم عشر روايات كتبها عرب أو أجانب عن العالم العربي. عام 2012 نال جائزة القدس للثقافة والإبداع التي تُمنح لأول مرة تقديرًا لأعماله الأدبية، وفي عام 2020 فاز بجائزة كَتَارا للرواية العربية للمرة الثانية، عن روايته: ثلاثية الأجراس: «دبابة تحت شجرة عيد الميلاد»، ليكون أول كاتب عربي يفوز بهذه الجائزة مرتين عن الفئة الكبرى، وفي عام 2022 فاز بجائزة فلسطين للآداب، التي تمنحها مؤسسة جائزة فلسطين، أوهايو، الولايات المتحدة، للمبدعين الذين تركوا أثرًا عميقا في حياة شعبهم.

تناولت أعماله حوالي 80 أطروحة ماجستير ودكتوراه في مختلف دول العالم، وصدر عن تجربته الأدبية 17 كتابا، كما ظهرت أكثر من 30 ترجمة لكتبه بمختلف اللغات.

> ما حدث هذه المّرة ليس علامة في تاريخ المقاومة وشعبها فحسب بل هو علامة في تاريخ الشعوب العربية كلها، وعلامة في تاريخ الكيان الصهيوني الذي أدرك أنه قابل للهزيمة
>
> الكتابة العربية كانت دائما حليفا قويا لفلسطين وشعبها وقضيتها، هناك أسماء قليلة جدا تتساقط أو تساقطت
>
> غدت «طفولتي حتى الآن» رواية حبّ، بقدر ما هي رواية شخصيات، ورواية كاتبها، ورواية شعب في اللجوء على مدى ستين عاما
>
> مهما سعى كاتب ما لاختيار قرّائه لن ينجح، لأن القرّاء هم في النهاية من يختارون نصّه
>
> أن تكتب عن فلسطين أو أية قضية كبيرة فأنت مطالب بأن تقدّم أعمالا تسعى أن تكون مختلفة

فلسطين «أعجوبة لا تموت»

رفيقة البحوري - كاتبة

في هذه الظروف المترعة بمشاعر الاستنكار والغضب والحزن أمام مشاهد الدمار في غزّة لا يمكن إلّا أن نستحضر خلاصة تجربة الشعب الفلسطيني مع الاحتلال الإسرائيلي. وهي تجربة تفتح باب الأمل. الأمل كقيمة ثابتة أسّستها النكبات. الأمل في أن يخرج الفلسطينيون من هذه الحرب، رغم الجراح، كما خرجوا دوما بأفق جديد وسبل أخرى لتحرير وطنهم.

لنفهم لا بدّ أن نتذكّر

في سنة 1917، انتصب الانتداب البريطاني بفلسطين، وفي السنة نفسها تمّ الإعلان عن وعد بلفور بـ «إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهوديّ». كانت الخطّة مثالا في المكر الاستعماري: قرّرت بريطانيا أن يكون استعمار فلسطين احتلالا استيطانيا من هذا الكيان الذي خلقته ليحمي مصالحها، ومصالح كل القوى الاستعمارية في المنطقة.

إبادة الفلسطينيين جزء أساسيّ من الخطة الاستعمارية

لم يكن عدد اليهود إذّاك يفوق الثلاثة في المائة من جملة السكان. لذلك قامت الدول الغربية بدور كبير في مساعدة آلاف اليهود على الهجرة إلى فلسطين وعلى الاستقرار فيها.

ساهمت هجرة اليهود تحت شعار «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» في رفع عددهم ولكنّ كان لا بدّ من تقليص عدد العرب كذلك. وكان لابدّ من إخلاء أكثر ما يمكن من الأراضي ليستوطنها المهاجرون اليهود. ضاعفت السلطة البريطانية الأداء على الأرض وسنت قوانين تضيّق على الفلسطينيين، تجبرهم على بيع أراضيهم، وتحرمهم من الشغل.

بدأت الاحتجاجات منذ 1920 للتأكيد على الهوية الفلسطينية العربية لفلسطين. وفي 1930 بدأت انتفاضة عزّ الدين القسام ثم اندلعت الثورة الكبرى 1936. تصدّت السلطة البريطانية بشراسة لكل تمرّد، ولكن أخطر ما قامت به هو إنشاء جيش إسرائيل ودعمه بالخبرة وبالعتاد. كما أنها عملت على تسليح منظمات إرهابية صهيونية وعلى رأسها الهاقانه.

صار اليهود هم القوّة الضاربة في يد القوى الاستعمارية. وصارت قوّة رهيبة دافعها أن أرض فلسطين هي للإسرائيليين، وعليهم «تحريرها» من الفلسطينيين. حصلت مجازر، قتل فيها آلاف الفلسطينيين واندثرت قرى بأكملها. وطبعا تم ذلك كله برعاية السلطة البريطانية والدول الاستعمارية.

حدثت النكبة سنة 1947 وفي 1948 تأسست دولة إسرائيل بمباركة البلدان الاستعمارية وخاصة أمريكا التي اعترفت بهذه الدولة بعد 11 دقيقة.

كانت النكبة نتيجة لعدم توازن القوى. لم يكن الشعب الفلسطيني يحارب الصهاينة وحدهم بل كان يصارع القوى الاستعمارية التي لم تكن مصلحتها من احتلال فلسطين أقل من مصلحة إسرائيل. وكذلك لتخاذل الحكومات العربية إذاك عن دعم كفاح الفلسطينيين.

مرّ الفلسطينيون بفترة رهيبة من الشتات، ولكنّ الشعوب لا تموت ولم يتمكن العدو وكل الدول الداعمة له من القضاء على القضية الفلسطينية. بل إنها شهدت انتعاشة في الستينات. وتكوّنت منظمة التحرير الفلسطينية سنة 1964. ورغم الانتكاسة التي شهدتها القضية بعد حرب 1967، وتمكُّن إسرائيل من اجتياح مناطق أخرى، إلا أن عوامل جديدة كانت في صالح القضية الفلسطينية، وأهمّها خروجها من وصاية الدول العربية، واعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للفلسطينيين.

زاوجت منظمة التحرير بين النضال الفدائي والنضال السياسي وتمكّنت من كسب تعاطف دولي واسع. تبنّت العديد من الدول موقف الدولتين كحل لتسوية الصراع في فلسطين المحتلة، وفي 15 نوفمبر 1988 أعلن ياسر عرفات، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، إنشاء دولة فلسطين. بعد اتفاقيات أوسلو في 1993، تشكلت دَوْلَةُ فِلَسْطِين بالضفة الغربية وقطاع غزة.

يعتبر هذا انتصارا للقضية الفلسطينية فلأول مرّة في التاريخ صار للفلسطينيين دولة. ولكنّ إسرائيل لم تعترف بها، وتعاملت معها كسلطة محلية تحت سيطرتها. كانت سياسة إسرائيل تقوم على التمييز والعنصرية. رأى الفلسطينيون منها أبشع أنواع القهر. ومع ذلك لم ينقطع النفس النضالي. كما ازداد الدعم العالمي على أساس حل الدولتين. ولكن ما شهدناه في السنوات الأخيرة وخاصة في هذه الأيام يدل على اختلال كليّ في الموازنات وانقلاب في المواقف.

منعرج خطير في القضية الفلسطينية

تفاقمت سياسة الاستيطان في الضفة الغربية وسياسة الحصار في غزّة. وصمت كل صوت يمكن أن يدافع عن القضية الفلسطينية، وتشكّلت معطيات شبيهة بتلك الي حكمت الأحداث في نكبة 1948:

1- الموقف الإسرائيلي: إن سياسة العدو الصهيوني اليومية مع الفلسطينيين، والعدوانية التي يدير بها الآن حرب غزّة تكشف نيّته الواضحة في القضاء على الوجود الفلسطيني. وأنّه لا يتراجع أمام شنّ حرب إبادة لتحقيق هذه الغاية.

2 الموقف العربي المتواطئ والتزام خيانة الصمت عن الجريمة.

3 الدعم العسكري والإعلامي المطلق من قبل الولايات المتحدة وأغلب الدول الغربية.

مشروع بايدن: الممرّ اللوجستيكي

وكما كانت المصالح الاقتصادية وأهمها اكتشاف أول بئر بترول في الشرق الأوسط 1908سنة (حقل مسجد سليمان) السبب في نشأة إسرائيل منذ 1917 وفي النكبة. فهي اليوم الدافع المحدّد لما يحدث من حرب إبادة ضد الفلسطينيين.

للرئيس الأميركي جو بايدن مشروع ممرّ اقتصادي عالمي، يستعمل كل طرق الاتصالات: المواصلات البرية والبحرية والوسائل الاتصالية الحديثة من خطوط كهربائية وكابلات ألياف ضوئية وشبكات عابرة للحدود... يصل بين الهند وأوروبا. عرضه على شركائه الأوروبيين منذ عام 2021 مقترِحًا أن يشارك فيه حلفاؤُه في آسيا، والشرق الأوسط، معتبرا أنه سيخلق شرق أوسط جديد يتمتع بالرفاهية والاستقرار. ثمّ وقع الإعلان عنه في مذكرة تفاهم، قدمها العاهل السعودي خلال قمة العشرين بنيودلهي سبتمبر2023.

أُعتبر هذا الممر أنجع وسيلة تصدّ للمنافس الصيني. وسيمتدّ من الهند إلى الخليج العربي، والإمارات، والسعودية، والأردن والأراضي المحتلة حتى ميناء حيفا، وعبر اليونان يصل إلى أوروبا.

المقاومة الفلسطينية نقطة سوداء في الصورة الجميلة

مثلت المقاومة في الأراضي الفلسطينية المحتلة وخاصة وجود تنظيمات مسلحة تهديدًا للمشروع، وعقبة ستمنع ولادة شرق أوسط جديد. ويبدو أنه وقع اتفاق الجميع على ضرورة اتخاذ إجراء، مهما بلغت تكلفته الإنسانية والمالية، يتم بمقتضاه ضمان أمن وسلامة المشروع.

مثل هذا الاتفاق إشارة الانطلاق لإسرائيل في تحقيق رغبة السطو على ما بقي من الأراضي الفلسطينية. أما البلدان العربية فهي ضالعة في هذا الاتفاق وغيره من مسار التطبيع، وما صمتها إلا دليل على ذلك. وقد أعلن الرئيس الأمريكي عند بداية طوفان الأقصى وتأكيده على ضرورة دفاع إسرائيل عن نفسها أنّه اتصل بكل الحكام العرب في المنطقة، مما يدل على أنه ألزمهم باتفاقاتهم، وهو ما نرى تبعاته في عجزهم حتى عن المساعدة الإنسانية.

يبدو أن خطة التخلص من القضية الفلسطينية تحوي كما في نكبة1948 طريقتي التقتيل والتهجير لذلك كان من المفترض أن تستقبل مصر من بقي حيّا من أهالي غزة وتستقبل الأردن أهالي الضفة الغربية. وما الإعلان عن اجتماع الرئيس الأمريكي برؤساء كل من: مصر، والأردن، وفلسطين أثناء زيارته لإسرائيل إلاّ لإقرار هذه الخُطة وتراتيبها وتحديد المكافآت التي سيحصل عليها كل طرف يوافق على خلق شرق أوسط جديد بدون القضية الفلسطينية.

قد تتشابه الملابسات وتختلف النتائج: لن تكون نكبة جديدة.

كل الحسابات التي اعتمدها المعسكر الغربي لا تأخذ بعين الاعتبار العامل الذاتي في الصراع: شراسة الفلسطينيين في التمسك بأرضهم.

فهم الفلسطينيون خلال قرن من النضال ومن النكبات والنكسات أنه لا وجود لهم ولا تقدّم لقضيتهم إن لم يبقوا في أرضهم، مهما تقلّصت مساحتها ومهما عتا الاضطهاد وتجبّر العدوّ الصهيوني.

اليوم صار الفاعل في القضية الفلسطينية هو كل فرد من الشعب الفلسطيني بكل ما يعني ذلك من طاقة على التجدّد في آليات المقاومة وقدرة على التضحية. لم تعد القضية صفقة بين أيدي مجموعة من الساسة العرب أو حتى الفلسطينيين. نبّهت التجربة الطويلة إلى كل السبل المسدودة. كذلك نشير إلى أن شعوب العالم أصبحت ترى وتحاسب. وحتى إن قطع العدو الصهيوني الكهرباء ليقتل في الظلام فإن حرب الإبادة فُضحت، ولا يمكن أن تتواصل الاستهانة بمواقف الشعوب العربية والعالمية.

من الأمور التي أعتبرها في صالح الشعب الفلسطيني :

1 - أن هذه الحرب لم تتأخّر، في هذا الوضع الجيوبوليتيكي الصعب، إذ أخرجت القضية من مرحلة القتل البطيء ومن تغييبها عن أنظار العالم.

2 - أنّها أظهرت للعالم الوجه الحقيقي للاحتلال الإسرائيلي. وأن غايته هي إبادة الشعب الفلسطيني للاستفراد بأرضه. وآمل أن يؤدي هذا إلى مواقف جديدة من دول العالم، وطرح التسوية على أسس أخرى.

3 - أنّ مصر المقصودة الأولى باستقبال اللاجئين من غزّة، ليست معنية بممرّ بايدن بل ترى فيه خطرا على ممر قناة السويس، لذلك لم تقم بالدور المطلوب منها. ويبدو أن الأردن كذلك غير متحمس لتحويل الصراع داخل حدوده، وهو يعلم أن الفلسطينيين سيحملون قضيتهم أينما ذهبوا.

كلّ الأمل أن يبقى الفلسطينيون على شبر من أرضهم ومنه يبدؤون النضال.

علّمنا التاريخ أن الشعوب لا تقهر مهما تجبّرت القوى المعتدية، وأن الموازنات تتحوّل والسياسات تتغيّر وحقوق الشعوب لا تزول. وقد رأينا الجزائر بلد المليون شهيد تتحرّر ورأينا نظام الميز العنصري في جنوب إفريقيا يباد. وسينتصر الشعب الفلسطيني وإن طال الزمن وتضاعفت التضحيات.

إن ذا عصر ظلمة غير أني
من وراء الظلام شمت صباحه

الاتّصال الإيتيقي للمقاومة

د.نوفل حنفي (جامعي تونسي)

تثير صورة تسليم حركة المقاومة الفلسطينية لأسيرتين أمريكيتين وتحية الاسيرة للمقاوم الفلسطيني في مشهد اتصالي مرتبط بالعديد من القيم الإيتيقية أهمية اعتناء البحث العلمي في تونس وفي العالم العربي بالفلسفة الاتصالية الإيتيقية (الأخلاقية) عامة، والفلسفة الاتصالية الإيتيقية للمقاومة بشكل خاص، وهو اختصاص معرفي غير معروف في تونس. ولو كان ذلك علي مستوي الاستعمال اللفظي، إذ يغيب هذا المصطلح «فلسفة الاتصال الإيتيقي للمقاومة» في حلقات النقاش الإعلامي وفي أغلب المنشورات العلمية أو المقالات الصحفية التي عادة ما تهتم بموضوع الاتصال السياسي الذي لا يطرحه الباحثون المختصون في الفلسفة الاتصالية الهابرماسية «يورغن هابرماس، نظرية الفعل التواصلي، 1985» بقدر ما يحتكره بعض خبراء الاتصال. فما هي الفلسفة الاتصالية الإيتيقية للمقاومة؟ لا يمكن أن أتجاهل أن تعريف هذا الاختصاص المعرفي هو مسألة معقدة نتيجة تداخله مع الفلسفة السياسية للمقاومة، مما يؤدي إلى غموض التمييز بين الاتصال السياسي والاتصال الايتيقي للمقاومة.

المشكل هو ان «ايتيقا المقاومة الاتصالية» تؤدي ضرورة إلى العديد من النتائج السياسية مثل ما يتعلق بتأثير فعل تسليم الاسري علي المخططات العسكرية والسياسية للكيان الصهيوني. فالطريقة التي توجه بها الحقيقة داخل الاتصال الفردي « علاقة المقاوم من حيث هو فرد بالأسير» يمكن ان يكون لها تأثير كبير علي صدق المعلومات او كذبها داخل السياق السياسى. يعسر علي الباحث ان يفصل هذين الضربين من الاتصال عن بعضهما البعض نتيجة تداخلهما مع فكرة الحقيقة والنزاهة إذ أن الحقيقة والنزاهة هما شرطان أساسيان في مجال الاتصال السياسي للمقاومة من اجل كسب ثقة الرأي العمومي الدولي وهو ما لا ينفصل البتة عن» المقاومة الايتيقية» التي تلح علي الاتصال مع الأخر بطريقة صادقة ونزيهة وتجنب الكذب والمغالطة خلال حركة المقاومة. وتصبح مهمتنا أكثر عسرا حينما ندرك أهمية مفهوم الكرامة الإنسانية داخل مجال «الاتصال السياسي والايتيقي» في نفس الوقت. فلئن كان الاتصال السياسي « من زاوية نظر الفلسفية السياسية « يحرص علي احترام الكرامة الإنسانية داخل النقاش العمومي ويرفض كل الخطب الإعلامية والاتصالية التي تنتهك كرامة الإنسان نجد أن الاتصال الايتيقي يتشابه معه أو يفوقه من حيث الإصرار علي احترام الذات البشرية وتجنب خطاب الانتقام وانتهاك كرامة المدنيين اللذين لا يرتبطون مباشرة بسلطة الهيمنة.

كيف يمكن التحرر من هذا الاختلاط الدلالي والمفهومي بين الاتصال السياسي والاتصال الايتيقي ؟ هل يمكن العثور علي بعض «المعايير» التي تميز بين هذين الضربين من الاتصال ؟ ما هي طبيعة الاتصال الايتيقي ؟

إذا أردنا أن نفهم طبيعة الفلسفة الايتيقية للاتصال المقاوم «Rhetoric, Ethics, and the Movement of Resistance» par G. Thomas Goodnight (2008) فعلينا أن لا نركز علي المفاهيم السابقة بل علي موضوع دراسة كل منهما. فإذا كانت الفلسفة السياسية للاتصال تركز علي دور التواصل داخل المجال العمومي أو داخل دائرة القرار السياسي فإن الفلسفة الايتيقية للاتصال تهتم بأيتيقية الاتصال اليومي للمقاومين. تركز الأولي علي البنى السياسية والاجتماعية الواسعة في حين تتمحور الثانية علي العلاقات الفردية للمقاومين في ما بينهم أو في علاقتهم بالأسري أو بجنود العدو.

يركز «اللاتصال الايتيقي المقاوم» في مستوي موضوعه علي التفاعلات الفردية لا الجماعية داخل المقاومة وعادة ما يهتم بالمعايير الايتيقية التي تتحكم في الفاعلين داخل تجربة المقاومة وطريقة استعمال الكلمات والافعال والرموز ووسائل الاتصال من اجل التعامل مع الاخر. تكمن خصوصية الاتصال الايتيقي خلال فعل المقاومة في العناصر التالية :

التفاعلات اليومية اثناء المقاومة:

تركز»الفلسفة الايتيقية الاتصالية» علي كيفية التعامل اليومي بين المناضلين وخاصة بين المناضلين والأسري وقد حرصت المقاومة الفلسطينية علي حسن معاملة افرادها للأسري من خلال الاعتناء بمأكلهم وراحتهم اليومية وهو ما جعلهم يحرصون علي تنظيف المكان الذي يعيش فيه الاسرى بما في ذلك بيوت الاستحمام (من المستحسن ان تصور المقاومة الفلسطينية حسن معاملتها للأسري من اجل نشر ذلك في كل وسائل الاعلام والاتصال) وقد اعترف الاسرى بكل ذلك من خلال تحيتهم لأحد جنود المقاومة في حركة اتصالية ايتيقية لا تضاهيها اي قوة عسكرية وهو ما يعني ان الاتصال الايتيقي هو الذي يحرص علي كيفية اتصال الافراد داخل تجربة المقاومة سواء بواسطة الاتصال المكتوب او الشفوي او الرقمي.

المعايير الايتيقية :

يركز هذا الاختصاص الفلسفي الدقيق علي المعايير الايتيقية التي تحدد أفعال الافراد خلال تجربة الاتصال الايتيقي وتعبر هذه المعايير الايتيقية عن المبادئ والقواعد والقيم التي تحدد كل ما يعتبر عادل او غير عادل داخل سياق الاتصال وهنا يمكن ان نعود الى سلوك الاحترام والحرص علي عدم انتهاك الكرامة الإيتيقية الذي ميز جندي المقاومة الفلسطينية واعتراف الاسيرة الامريكية بذلك إذ يبدو من خلال تحيتها المؤثرة له انها تعترف بالجميل وتشهد أمام الرأي العام الدولي انه مقاوم فاضل ومسئول يحترم إنسانية الانسان .

الاتصال والمبادئ الايتيقية :

تهتم الفلسفة الايتيقية للاتصال بالمبادئ الايتيقية التي يجب ان توجه الطريقة التي نستعمل بها اللغة والحركات ووسائل الاعلام في التعامل مع الاخرين ويحاول هذا الاختصاص المعرفي ان يعول علي المسائل المرتبطة «بالمسؤولية والحقيقة والنزاهة والاعتزاز واحترام عواطف الاخرين» داخل الفعل الاتصالي وهنا يمكن ان نذكر الفيلسوفة «مارثا نوسبوم" Martha Nussbaum, «The Monarchy of Fear: A Philosopher Looks at Our Political Crisis» (2018) التي اهتمت بدور المشاعر في مجال الاتصال الايتيقي وان فهم المشاعر وحسن التعبير عنها لا يضاهيه أي عنصر آخر من عناصر الاتصال الايتيقي. نظرا لخصوصية السياق وضرورة الايجاز اقتصر في هذا المقال علي أهمية الانفعالات في فهم طبيعة الاتصال الايتيقي حيث تلعب العواطف والمشاعر دورا مركزيا في مثل هذا الاتصال

الانفعالات هي مصدر المعلومات الايتيقية:

تقدم الانفعالات أجوبة معرفية حول وضعيات وأحداث الصراع كما تمكننا من بعض المعلومات حول قيمنا وحاجياتنا وتعيننا علي تقييم سياق الفعل وتحديد ما هو مقبول من الناحية الايتيقية. فليست الانفعالات «مجرد ردود فعل غير عقلانية بل هي أجوبة معقولة» علي بعض الوقائع والأحداث وعندما يشعر المقاوم بالغضب او الحزن او الفخر او النخوة فذلك نتيجة تقييم عقلي لسياق من سياقات المقاومة. وتزودنا العواطف بمعلومات حول قيمنا الخاصة وتوحي لنا بما هو مقبول وما هو خطير داخل سياق المعركة. ومن ذلك ان الخوف يمكن ان يعطي فكرة علي الاهتمام بأمن الجميع وسلامتهم أما الحزن فيظهر للجميع اننا ننتظر هزيمة لذلك فيجب علي «الاتصال الايتيقي للمقاومة «ان يتخلي قدر الإمكان عن هذه العواطف والانفعالات من اجل اظهار الانفعالات الإيجابية التي تقرب المقاومة الفلسطينية من النصر او علي الأقل تبعدها عن الهزيمة. يمكن ان نعتبر ان العواطف تقدم لنا العديد من المعلومات حول قيمنا الأخلاقية نتيجة علاقتها الوثيقة بالقيم. فالصراع العاطفي «الاستياء» للمقاومين تجاه الظلم والاستعمار هو تعلقهم بقيم الحرية والعدالة ويعني ذلك ان العواطف يمكن ان تحدد ما هو عادل وما هو غير عادل داخل سياق الفعل النضالي. والي جانب ذلك تمكننا العواطف من تقييم سياق المعركة من وجهة نظر ايتيقية. ان اظهار الشعور بالذنب قد يعني اننا لسنا علي ثقة بعدالة قضيتنا وأننا نشكك في أخلاقية فعلنا المقاوم وهو ما يعطي قيمة لضرورة الانكباب علي دور الاتصال الايتيقي لا فقط داخل المقاومة بل داخل الإضرابات وحركات العصيان المدني التي يمكن ان تحصل في تونس وفي الدول العربية خلال السنوات القادمة.

تلعب العواطف والانفعالات دورا مركزيا في فهمنا «للأخلاقية داخل حركة المقاومة» ويزودنا ذلك بالعديد من المعلومات حول قيمنا وقيم العدو وحول حاجياتنا وتقييمنا للوقائع مما يساهم في تطوير النظرة الايتيقية للمقاومة والاعتناء «بتكتيكات الاتصال الايتيقي» مع ألعالم كما تمكننا انفعالات الرحمة والتضامن من فهم مشاعر الاخرين وتجاربهم من خلال الاعتناء بدور الاتصال الايتيقي في جعل انفسنا مكان الغير نشعر بأحزانه وأفراحه مما يقربنا من تحسين تفاعلنا وتواصلنا معه. يمكن استخدام القصص المصورة بالفيديو للأعمال البطولية وللشهداء لإلهام وتحفيز المؤيدين ولإظهار الروح المقاومة للشعب الفلسطيني ولشعوب العالم كما تستطيع المقاومة نشر قصص وصور وفيديوهات تعكس جوانب الفعل الايتيقي الذي يؤكد علي عدالة القضية الفلسطينية وهو ما يعني أن خطط الاتصال الايتيقي تتطلب توجيهًا استراتيجيًا وتنسيقًا جيدًا لنقل الرسائل بشكل فعال ولبناء دعم واسع للقضية الفلسطينية.

يمكن للانفعالات والعواطف ان تعزز الفعل الايتيقي للأفراد داخل المعركة ذلك ان الغضب علي سلطة الاستعمار يمكن ان يكون احسن دافع للفعل الايتيقي المقاوم للظلم والهيمنة. وهو ما جعل «نوسبوم «Nussbaum تلح علي أهمية تربية التوازن العاطفي الذي يحتاجه الاتصال الايتيقى. فمن الضروري أن يحرص المختصين في الاتصال الايتيقي للمقاومة علي تجنب الانفعالات المفرطة مثل الغضب المطلق أو البرود الكلي للانفعالات الغاضبة لان الاتصال الايتيقي يحتاج الى ضرب من «التوازن العاطفى» بين البرود التام والهيجان الاعمى في اتجاه التركيز علي الحماس المتعقل المقاوم لسلطة الهيمنة . في فلسفة سبينوزا، يشير الحماس المتعقل الى القدرة علي الوصول الى توازن بين العقل والعواطف. وفقًا لفلسفته، يمكن للإنسان أن يصل الى هذا التوازن عندما يفهم جيدًا طبيعة العواطف وأثرها علي سلوكه، ويستخدم العقل للتحكم في تلك العواطف والاحتفاظ بها بشكل منطقي ومتوازن. وعندما يكون المقاوم او المختص في الاتصال الايتيقي قادرًا علي فهم وتقدير طبيعة الحماس المتعقل وأثره علي تصرفاته، يمكنه التحكم فيه وتوجيهه نحو اهداف المقاومة العادلة.

وهو ما يؤكد علي ضرورة الانكباب علي بناء «حقل معجمي ثري للانفعالات والعواطف «تحتاجه الحركات السياسية وكل حركات المقاومة في بناء اتصال ايتيقي قادر في فهم الانفعالات وخبير في التعبير عنها بشكل يستجيب قدر الإمكان للمبادئ الايتيقية ولأهداف المقاومة . تلعب الانفعالات دورا محوريا في مقاومة الهيمنة إذ تساعد مشاعر الاستياء والغضب والشفقة والتضامن والتعاطف علي تحفيز استعدادات الافراد علي الانخراط القوي في أفعال المقاومة فهي عبارة عن محركات عاطفية من اجل الصراع ضد قوي الاستعمار والهيمنة. وإذا كنا نطمح في مقاومة ايتيقية وفاعلة فمن الضروري ان يتصل فاعلي المقاومة مع انفعالاتهم وعواطفهم وقناعتهم بطريقة منسجمة مع مبادئ الايتيقا وهو ما يعني تدربهم علي التعبير عن انفعالاتهم بطريقة بناءة ومقنعة الى درجة القدرة علي تحريك دعم الاخرين وخاصة الرأي العمومي الدولي مما يفسح المجال لبناء حقل معجمي ثري يمكن الأفراد من والوصف والتعبير عن انفعالاتهم بطريقة دقيقة ومتنوعة مما يساعد علي تدعيم قدرتهم في الاتصال الناجع فيما يتعلق بالمسائل الايتيقية المتعلقة بالمقاومة. ان تملك مفردات عاطفية واسعة قد يساعد أفراد المقاومة علي ان يبدعوا في وصف مخاوفهم وفي شرح خطورة الظلم الذي يعانون منه مما يفتح المجال لإمكانية التعاطف معهم خلال العملية الاتصالية وتشجيع الآخرين علي الالتحاق بهم في جبهات المعركة.

« الإيتيقا في امتحان السياسة»

فلاسفة غربيون في مواجهة « النزاع الإسرائيلي- الفلسطيني»:

بين الالتزام الخجول و«فلسفة» الحياد المزعوم والدعم السياسيّ «الخفيّ» لحقّ الأقوى

عبد الوهاب البراهمي - متفقد عام لتربية (سابقا)- فلسفة

« كل ما في الأرض من فلسفة لا يعزّي فاقدًا عمّن فقد.»

-إيليا أبو ماضي-

«إن الفلسفة التي لا تشفي آلام البشرية هي محض هباءٍ. فالفلسفة التي لا تبرئ الرُّوح من معاناتها، لا تختلف عن طب لا يداوي مريضًا ولا يشفي عليلًا»-

أبيقور

« ليس العالم، تحديدا ، كما يوجد في الظاهر، عالم الجميع. ذلك أنّ الديمقراطيين ، أصحاب الشعار (الديمقراطي)، وأناس الغرب ، يحتلّون في هذا العالم موقعا أعلى ، بينما الآخرون من عالم آخر، ليس عالما بحقّ، بحكم كونه آخر. هو حيّز للبقاء فحسب ، ميدان للحرب، والفقر والحواجز والأوهام. نقضّي الوقت في هذا الضرب من « العالم»، من الميدان ، في جَفْعِ أمتعتنا للفرار من الرعب»

(آلان باديو - الشعار الديمقراطي)

سارتر

داريدا

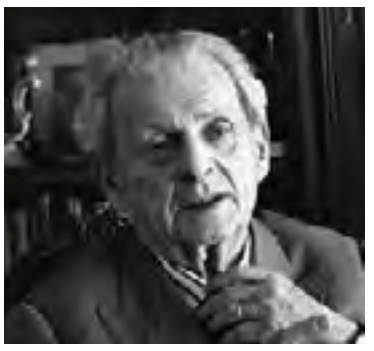

لوفيناس

حنا آرنت

ريمون آرون

:» أعرف بوضوح أكثر من الماضي بأنّ إمكانية تدمير إسرائيل يجرحني في أعماق نفسي . كثير من مثقفي اليسار قاموا بنفس تجربتي : ينسون لفترة « الإمبريالية « و» الواقع الاستعماري»، ويتذكّرون أصولهم ويجدون أنفسهم لدهشتهم، يهودا».

(ر. آرون)

يقدّم الفيلسوف نفسه بوصفه «صديقا للجميع»،» و»مفكّرا كونيا» و»مواطنا عالميا أ و» أبا مشتركا لكلّ المواطنين، مُصلحهم ومرشدهم وحاميهم، يهب نفسه للجميع حتى يشارك في استكمال كل خير، فرحا مع أولئك الذين تغمرهم السعادة ، متعاطفا مع أولئك أصابهم الحزن ومواسيا لهم».(إيبكتات « الدليل المختصر» -32 سطر 154 نشر « هادو» ، لايد ، بريل 1996.). هذه هي صورة الفيلسوف عامّة، تلك التي تتراءى لنا حينما نقرأ خطاباتهم. لقد كانت الفلسفة دوما « خطابا»كونيا من أجل الإنسان ومدار التفكير فيه هو « الإنسان» أيّ كان ، «إنسانا كليا» لا يعرّفه لا لونه ولا دينه ولا انتماءه إلاّ أن يكون « انتماء إلى الإنسانية»، بل « إنسانيته « أي بوصفه « إنسانا» لا غير، قيمة القيم أو « الغاية القصوى» كما يقول كانط. الموقف الفلسفي إذن « موقف أخلاقي» بالأساس من جهة مقاصده ومشروعية وجوده. بالرغم من أنه غالبا ما يجد صعوبة بل استحالة في « تبرير مشروعية « وجوده بالنسبة للآخرين. صعوبة تقوم في « استحالة « أن يكون الموقف الفلسفي موقفا « مفيدا نافعا « على نحو مباشر في حياة الناس و بالمعنى المادّي والحسي للمنفعة. ولعلّ هذا ما يفسّر صعوبة العلاقة بين الفلاسفة وعامة الناس. إنّ خصوصية الموقف الفلسفي ، بوصفه « موقفا إيتيقيا» لم يستطيع ، مع ذلك، ردم المسافة بين الفيلسوف والعامّي . بل لعلّه يزيد الهوة بينهما اتساعا حينما يترجم الموقف الفلسفي إلى سلوك حياتي ، في علاقته بالبشر ، من خلال التعبير عن « حضور الفيلسوف» التاريخيّ» كفرد « يعيش حاضره « على نحو « مخصوص» بمحاولته فهمه والتفكير فيه واتخاذ موقف منه وربما السعي إلى» تغييره» أيضا... وذلك تجسيدا « لصداقته» للمدينة وانشغاله بالإنسان في أحواله...هكذا كان « الفيلسوف « سقراط نموذجا « لهذا الموقف الفلسفي « الملتزم» بالتفكير في «الإنسان» والمنشغل بحاضره . وهكذا كان الفلاسفة من قبله و من بعده على هذه الصورة وإن تعدّدت زوايا وأبعاد النظر إليها بل وسياقات تشكلها كصورة « عامّة» للفيلسوف « الملتزم»، الفيلسوف «بوصفه سياسيا» لا تتعارض لديه غايات الفعل الأخلاقي مع « غايات الفعل السياسي» . غير أن الواقع ، في معنى « معيش البشر ووضعهم»، ظلّ دوما مجالا « لاختبار» هذا المعنى في « صدقيته « ومشروعيته « الأخلاقية « خاصّة.باعتباره كما أسلفنا القول ، « موقفا سياسيّا- أخلاقيا» بالأساس. ولما كانت الأخلاق ليست سوى الصلة بين منظومة قيم عليا وممارسة لهذه القيم،

ورقات فلسفية

فإنّ مجال الممارسة أو « البراكسيس» كثيرا ما يكشف عن « حرج « DILEMME بين « الأخلاقي أو « الإيتيقي « وبين « السياسي» بوصفه وجها من وجوه الممارسة أو الفعل « الذي يحتكم إلى « معايير « ومعقولية خاصّة غير التي تقوم عليها « الأخلاق»، حرجا بين « الوقائع والقيم» بعبارة ماركوز، بين الوسائل والغايات . انتبه الفلاسفة دون شك إلى « إشكالية « الأخلاقي والسياسي» وبحثوا لها عن صور عديدة لإمكان « علاقة بينهما، على صعيد نظري بالأساس. بيد أن المعضلة تظل قائمة في مواجهة الأخلاق لواقع الممارسة « السياسية» ذات معقولية تحتكم إلى مبادئ المردودية والنجاعة . من هنا كثيرا ما يجد الفيلسوف نفسه في « مأزق» حقيقيّ حينما يحمله الواقع ، واقع الممارسة السياسية والوضع السياسي أو « الحاضر المعيش» على اتخاذ موقف وترجمة التزامه « الأخلاقي» إلى موقف سياسيّ وهو الذي يطرح نفسه دوما رجل «الأخلاق والسياسة» من حيث انه مضطلع بمسؤولية « تحرير الإنسان من كلّ أشكال استعباده».

يكشف التاريخ عن مراحل عديدة عن « مسافة « يؤسف لها بالرغم من إمكان تفسيرها نظريا ، بين أفكار الفيلسوف وأقواله وبين «مواقفه» من قضايا الإنسان . ولعلّ قضايا « التحرر» الوطني « بالذات أبرز « المحطات» التي تنكشف فيها هذه المسافة بوضوح برغم جهد الفيلسوف غالبا في تبريرها « إيديولوجيا» على صعيد « الوعي» .وذلك لأنها تضع الإيتيقي والأخلاقي في مواجهة « السياسة». وتمثّل « القضية الفلسطينية» أبرز القضايا المعاصرة التي ما تزال تشكّل « اختبارا حقيقيّا» « لالتزام الفيلسوف « الأخلاقي، لأفكاره حول « الإنسان» . ذلك أن القضية الفلسطينية ومن وجهة نظر « فلسفية» هي قضية « الحريّة» في أعمق معانيها، قضية « الإنسان المضطَهَد «، وهي « قضية تحررّ الإنسان من أشكال اضطهاد التي يمارسها الإنسان على الإنسان. من هنا فلا مناص للفيلسوف من أن « يفكّر فيها « ويضطلع بمسؤوليته الفكرية تجاهها، بل وبمسؤوليته « السياسية والإيتيقية» تجاهها. وبالفعل فقد كان للفلاسفة الذين عايشوا ميلاد هذه « القضية» وعاصروها مساهمتهم في «الانشغال بها « على صعيد « الفكر « وحتى الممارسة في « الانخراط» في « مواقف» إيديولوجية « تشرّع سياسيا» ، وربما فلسفيا أيضا وأخلاقيا «وضع الإنسان الفلسطيني والإسرائيلي» على حد السواء باعتبارهما موضوع مواجهة بل وصراع على جميع الأصعدة . اختلفت مواقف الفلاسفة المعاصرين من « هذه القضية بحكم « الموقع والانتماء « الحضاري والثقافي. ولم يكن طبعا بين الفيلسوف « العربي» و« الفيلسوف الغربي» في شأن قضية « التحرر الوطني للشعب الفلسطيني» أيّ نوع من التجانس . غير أن» القضية الفلسطينيّة» كانت لكليهما « اختبارا حقيقيّا « « لإيتيقا التفكير الفلسفي « وللالتزام « الأخلاقي» للفيلسوف بوصفه ناصرا للإنسانية أيّ كانت. غير أن هذا الذي سمّي «اختبار « الإيتيقا في السياسة كان أشدّ وقعا وأكثر دلالة لدى « فلاسفة غربيين» معاصرين بحكم المنزلة و« الصيت» وشيوع أفكارهم وكتاباتهم. ولعلّ هذا ما قد يبرّر انصرافنا إلى الاهتمام بمواقف بعض من هؤلاء الفلاسفة الغربيين المعاصرين بالرغم من أهمية التحليل المقارن بين» مواقفهم ومواقف فلاسفة مفكرين أو فلاسفة عرب فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية.

قد يكون « سارتر « الفيلسوف الفرنسي هو أوّلى من نبدأ به في هذا الباب، بحكم ما عرف عنه من نزعة « إنسانية» و« التزام» فكري وسياسي» وانتصار لقضايا « التحرّر» . وبالفعل، فقد كان سارتر دوما نصيرا – أو هكذا عرف- لحركة الشعوب المضطهدة في « التحرّر» من ربقة «الاستعمار «أو» الاستغلال الاقتصادي الخ .. وقد أدى به التزامه هذا إلى رفض جائزة نوبل للآداب. وكان لا يتردّد عن المشاركة في المظاهرات ودعم الثورات وحركات التحرّر وبشكل مخصوص موقفه المعروف من « حركة التحرّر الجزائرية» من الاستعمار الفرنسي. بيد أن التزامه هذا « فكريا وإيتيقيا» بالدفاع عن قضايا التحرّر، يجد نفسه أمام اختبار عسير، حينما يتعلّق الأمر « بالقضية الفلسطينية» ، لينكشف « السياسي» حدّا « للإيتيقي» يحمل سارتر على ضرب من « الحياد الزائف» والمقنّع ، فيصبح « صديق الجميع» (الفلسطينيين والإسرائيليين على حدّ السواء!) هكذا دون أن يحسم موقفه بوضوح تجاه « الكيان الإسرائيليّ» بوصفه « محتلاّ» . إذ يقول :» لقد كنت آمل دوما وما أزال بأن تجد المسألة اليهودية حلاّ نهائيا في إطار إنسانية بلا حدود لكن، بما أن أيّ تطوّر اجتماعي لا يمنع من وجود مرحلة تحرّر وطني ، فلابدّ من أن مسرورين بأنّ دولة إسرائيل المستقلة تأتي لتضفي مشروعية على آمال وكفاح يهود العالم بأسره» (تصريح سارتر عام 1949 بعد إعلان الأمم المتحدة قيام «دولة إسرائيل» يوم14 ماي 1948). يوم النكبة بالنسبة إلى الفلسطينيين) . يأتي هذا التصريح بعد ثلاث سنوات من قول آخر لسارتر في كتابه « تأملات في المسألة اليهودية « بأنه « لا وجود لتاريخ يهوديّ « وأنّ العداء للسامية هو ما صنع اليهود(...) وحملهم على اختيار أن يكونوا يهودا رغم أنفهم». هذا القول ينكر على « اليهود» تكوّنهم كشعب على أساس التاريخ والثقافة . وبالرغم من ذلك فإن سارتر لا ينكر لليهود الحق في الوجود على أرض فلسطين دون أن يساءل نفسه أو بالأحرى يتجاهل طرح السؤال عن كيفية وصولهم إلى هذه الأرض ، وعن حركة « الاستيطان» لليهود وهجرتهم من كافة بلاد العالم إلى فلسطين. بل إنه يعتبر إقامتهم أمرا واقعا وان على الفلسطينيين قبول ذلك . يقول سارتر بكل بساطة :» لقد استقرّ الإسرائيليون بإسرائيل وأضحى لهم أطفال بل إنّ منهم من له أحفاد . إنّ هؤلاء الذين ولدوا على هذه الأرض والذين ليس لهم مكان غيرها ، قد تعلموا مهنة وهو يعملون .فلهم إذن الحقّ في السيادة على الأرض». غير أن سارتر ، وفي تنازع بين دعوى الالتزام أخلاقيا بـ»الحقّ الإنساني في الحرية» وبين « الاعتراف « بالدولة الإسرائيلية « سياسيا» ككيان، يعبّر سارتر عن « حق الفلسطينيين في إقامة دولتهم» وأهمية ذلك في تحقيق السلم وإنهاء النزاع بين اليهود والعرب . فيقول :» يجب اعتبار إنشاء دولة فلسطينيّة حدثا من أهم الأحداث في عصرها وواحدا من الأحداث التي تسمح لنا بالتفاؤل». نلاحظ كيف أن سارتر لا يذهب بالتزامه الإيتيقي تجاه الإنسانية إلى موقف حاسم يعترف فيه بالاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين أي بتوطين الإسرائيليين على أرض فلسطين. ذلك أن وجود إسرائيل في نظره لم يكن حدثا استعماريا.إذ يقول :» لا يمكن أن نسحب السيادة من الإسرائيليين لأنهم موجودون في فلسطين لأجيال ولا يستغلون البلد استعماريا. وأقول أيضا بنفس الطريقة : إنّ الناس الذين وقع طردهم ، فلابد من أن يكون لهم حقّ العودة». هكذا، يسمّي الإسرائيليين باسمهم ويعتبر ويشير إلى الفلسطينيين « بعبارة الناس». وذلك باسم « حياد « هو في الحقيقة زائف . وحينما يتعلّق الأمر بتبرير «دفاع» الفلسطينيين عن أرضهم لا يتردّ سارتر في اعتبار ذلك « إرهابا» وإن كان «مشروعا» في نظره فيقول :» اسمعوا، انأ لا أرى مع الأسف، حلا آخر (غير الإرهاب)في هذه اللحظة. لا ألوم الفلسطينيين أن يفعلوا ما فعلته جبهة التحرير في الجزائر، ولا أن يخوضوا المعركة بما لديهم من وسائل. فلو كانوا أكثر عدد لحاربوا على نحو آخر- إن الإرهاب سلاح الفقراء، وقد كان دوما موجودا- لكنه في النهاية، هو أيضا في حالات معينة طريق نحو حرب شعبيّة...». ولأنّ سارتر صديق « الجميع « : الفلسطينيين والإسرائيليين على حد سواء، (وقد ذهب إلى إسرائيل وإلى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين صحبة بارنار ليفي ، في محاول للإطلاع على وجهات النظر وتصوّر حلول للنزاع بينهما)، فإنّه لا ينكر على الإسرائيليين حقّ الردّ على « اعتداءات « الفلسطينيين فيقول:» ولا أنكر على الإسرائيليين أيضا أن يردّوا على الهجوم عليهم لأنه لا يمكن أن نطلب منهم أن يتركوا أنفسهم كلّ مرّة عرضة للقتل .» يجد سارتر ، دون شكّ، حرجا شديدا في حسم موقفه الذي يتّسم بالتعقيد وبضرب من الشعور بالألم تجاه نزاع لا منته فيقول :» إنّنا نجد تضادّ العالم العربي وإسرائيل بمثل انقسام فينا ونحن نحيا هذا التضادّ كما لو كانت مأساتنا الشخصية.» – سارتر 1966 في محادثة مع رجل السياسة الإسرائيلي سيمها فلابان). ينتهي موقف سارتر « المحايد» وغير القادر على الحسم إلى حلّ الدولتين.

وغير بعيد عن هذا الموقف المركّب ، نجد « حنّا آرنت» الفيلسوفة « اليهودية الأصل» تنقد اليهود في علاقة بعض الجمعيات بالنازية ولكن دون أن تنكر على « إسرائيل» إقامة دولتها طبعا بل تتحمّس لذلك وتشارك في ترحيل « أطفال اليهود في فرنسا إلى « أرض الميعاد» . فلقد اعتبرت « آرنت» قيام « الصهيونية» « تحوّلا كبيرا « ثوريا « في حياة اليهود» من حيث أنها « محاولة لحل المشكل اليهودي»، « بتحويل اليهود إلى شعب مثل سائر الشعوب». وهو ما سيؤدّي في نظر مؤسس الصهيونية (هرتزل) إلى نهاية « كراهية اليهود». غير أنّ هذا كان حلم هرتزل « كما هو حلم حنا آرنت ، الحلم الذي كذّبه التاريخ بحكم أن قيا م «دولة إسرائيل « كان في مجال جغرافي ، في منطقة حيث تحاط هذه الدولة الناشئة « غصبا» بشعوب تحمل « كراهية « لهذا الكيان لأنه بالذات غاصب . لقد أقيمت دولة إسرائيل في نظر آنت على « حلم صهيوني» لم يأخذ بعين اعتبار « الشعوب المجاورة» وهو ما سيؤدّي إلى نزاع لا منته . تقول آرنت:» يتظاهر بعض القادة الصهاينة بالاعتقاد بأنّ اليهود يمكن أن يظلّوا في فلسطين ضد رغبة الجميع وأنهم يستطيعوا أي هؤلاء القادة أن يواصلوا سياسة كل شيء ولاشيء تجاه وضدّ الجميع وضدّ كل شيء .(...) يتخفّى وراء هذا التفاؤل يأس عميق وقبول عميق للانتحار». لأجل ذلك فقد كان موقف حنا آرنت من « الصهيونية» موقفا نقديا حذرا لا يتردّد في نقد مسارها التاريخي ومآلات سياسة القادة الصهاينة في التعامل مع الشعب الفلسطيني والشعوب العربية عامّة. وترى حنا آرنت أن « دولة إسرائيل الصهيونية « دولة شمولية قمعية لا تكترث « للشعب الفلسطيني» بل تنتهج سياسة محور حضوره التاريخي وهنا يكمن موطن الداء وأصل الصراع . تقول آرنت :» لقد كان الصهاينة منشغلين جدّا بفكرة أن الشعب الذي لا أرض له في حاجة إلى أرض خالية من أي شعب إلى درجة نسوا فيها ببساطة السكّان المحلّيين». غير أن الكيان الصهيوني لم ينسى وجود السكان المحليين» بل الأصليين ، إنما تناسى وجودهم وتصرف كأنهم غير موجودين. تلك هي سياسة اللامبالاة والإنكار التي عبرت عنها حنا آرنت في معنى « حلم إسرائيلي» ببلد لا يوجد :» إن البلد الذي تحلم به إسرائيل لا يوجد (...) فان تكون فلسطين ، فهي ليست مكانا حيث يمكن لليهود أن يعيشوا معزولين ، وليست هي بأرض ميعاد حيث يمكن أن يتخلّصوا من عداء السامية». تتهم حنا آرنت قيام دولة إسرائيل « بمنطق

التشبّث بالأرض

«عندما رأيت شجرة الزيتون مدمرة على أيدي المستوطنين حضنتها كأني أحضن أحد أبنائي وقد سقط شهيدا»!(لحاجة محفوظة ، فلسطينية مرابطة)

ورقات فلسفية

الإقصاء « للآخر وإنكار وجوده وتقوقعها على ذاتها داخل دائرة حكم « كلياني» . بيد أنها لا تعتبر وجود إسرائيل وجودا استعماريا من حيث أنها لا تستغل السكان المحليّين ، لكنها تتغافل عما هو أخطر من ذلك ، أي تهجيرهم من أرضهم والتعامل معهم «كمهاجرين» وغرباء عن الأرض وهذا شكل من « الاستعمار» التخريبيي إن صحت العبارة ، ليس هم بالأعمار بل « الإخلاء» للأرض. وذلك حتى يكون « الإسرائيليون هم « أصحاب الأرض « الأصليين ، وملاّك أرض « خالية» لا سكان فيها. « أرض بلا شعب» . لم تستطع حنا آرنت أن تذهب بتحليلها إلى حدّ « سحب المشروعية» أو حتى التشكيك في وجود «إسرائيل» على أساس « الحق» بل على العكس تقرّ لها بالحقّ في الوجود بل وتعتبر ذلك منعرجا تاريخيا بالنسبة إلى اليهود وبذلك تكون وفية لأصولها « اليهودية» ، للحلم اليهودي بـ«إسرائيل كبرى «.» فحقّ اليهود في فلسطين قائم على عمل اليهود «. غير أنها وبضرب من الحياد « المزعوم» لا تنكر على الفلسطينيين حقهم في الوجود جنبا إلى جنب مع اليهود ، في « كنفيدريالية». لكن قيام الكيان الصهيوني على « الغصب» للأرض لم يساعد على تجسيد هذا « الحلم» ، بل زاد الوضع تعقيدا وحمل العرب والفلسطينيين على « معاداة» دائمة مبدئية لليهود وجعل الصراع بينهما غير منته ، صراعا عنيفا بالضرورة. لا تعترف حنا آرنت بمشروعيته من جهة « الفلسطينيين» حينما تعتبره كغيرها إرهابا» لا مقاومة. بل وتتحدّث عن انتصارات لليهود في « معركتهم مع العرب» ، انتصارات لئن لم تضع حدّا للكراهية لليهود ، فإنها وطّدت وجود إسرائيل في « دولة قومية «. غير أنها تقرّ مع ذلك بأنّ» الكيان الإسرائيلي» مارس سياسة اقتصادية وثقافية..بدولة شمولية عسكرية ، غير مكترثة بالفلسطينيين والعرب المجاورين ولذلك فإنّ مستقبلها غير «مضمون» بل إنّ صراعها مع العرب لن يفضي إلى «وجود آمن» . تقول حنا آرنت :» لم تغيّر الحرب وانتصارات الإسرائيليين شيئا ولم تحلّ المشكلة...» بل على العكس، « فإنّ منزلا لا يعترف به جاري بما هو كذلك ولا يحترمه ، فليس منزلا . إنّ وطنا قوميا يهوديا لا يعترف به الشعب المجاور ولا يحترمه ليس وطنا، بل وَهْمًا - حتى يصبح ميدان حرب.(...) إنّ دولة يهودية حتى في فلسطين أغلبيتها يهودية، وبعبارة أخرى حتى لو كانت فلسطين يهودية خالصة، فستكون تشكيلا فقيرا جدا دون اتفاق مسبق للشعوب العربية المجاورة». لكن كثيرا ما كانت الأحداث في المنطقة العربية وفي علاقة بالنزاع العربي الإسرائيليّ مناسبة لكشف هشاشة وربما زيف هذه النظرة « المحايدة» لحنا آرنت . ففي حرب 67 والعدوان الثلاثي انتصرت حنار آرنت وبوضوح شديد لإسرائيل إذ تقول :» لقد قام الإسرائيليون بعمل رائع» وتضيف في رسالة إلى كارل جاسبرس بأنّ «جمال عبد الناصر يجب أن يشنق مباشرة». هكذا تكّذب الوقائع السياسية مزاعم « الخطاب الإيتيقي» لآرنت عن تعايش وسلم بين الفلسطينيين والعرب وإسرائيل. وتكشف عن زيف خطاب آرنت حول « الاستعباد والاستغلال « ونقد الرأسمالية العالمية واضطهاد الإنسان! لقد كانت آرنت دوما مع قيام دولة إسرائيل ، دولة قومية لليهود وتعتبر ذلك « أمرا واقعا « على الجميع قبوله وعدم التشكيك في مشروعيته بأي وجه من الوجوه. غير أنها قيام دولة إسرائيل لا على أساس تاريخي ولا ثقافي بل « بقرار سياسي» لا يتعارض لديها مع الدعوة إلى «حسن الجوار مع الدول العربية فتقول:» إنّ التصرّف الواقعي الوحيد يتمثّل في سياسة تحالف مع شعوب متوسطية أخرى يدعمّ التموقع المحلّي في فلسطين ويضمن تعاطفا حقيقيّا مع الجيران». تعبّر آرنت عن « حلم» بالتوافق بين العرب وإسرائيل ، توافقا يكاد يكون مستحيلا لغياب شروط تحقّقه فعليا بالنظر إلى سياسة «إسرائيل الصهيونية « العنصرية وسعيها الحثيث إلى إبادة « الشعب الفلسطيني» ، فعن أي توافق نتحدّث والحال هذه؟!!

يعبّر جاك دريدا عن « هذا الحلم» في موقف « خجول» يترجم عن التزام إيتيقي غير حاسم بالقضايا الإنسانية . إذ يحرص داريدا على « الصداقة» للجميع ويساوي الضحية والجلاّد. داعيا بعبارته الشهيرة « اعتبار « المقاومة « إرهابا».منكرا « الحق» في الدفاع عن النفس « ورفض الفلسطينيين الاحتلال الإسرائيلي» فيقول زاعما ضرورة « الحكم بإنصاف على واقع الصراع» وتجميل المسؤولية لكلا الطرفين المتنازعين:» الحكم بإنصاف على المسؤوليات المتبادلة والمتباينة وغير القابلة للمقارنة: فمن جهة النشأة العنيفة لدولة إسرائيل مع تواطؤ عديد الدول القوية، وفي الأثناء تمديد وتطوّر قمع من نوع استعماري وتقليدي(...) وفي المقابل، الإرهاب، وسياسة آثمة لعديد الدول العربية في المنطقة، لدول قليلة الديمقراطية، وسلطة فلسطينية أثقلتها الأحداث، وبالكاد ديمقراطية، وتغريها وتكرهها المزايدات. يمكننا ولا بد لنا من الاستمرار في هذا النهج، التشديد ومزيد تكثيف الدعوات(إلى التعايش والسلم..)». يكتفي جاك داريدا في النهاية مثلما حال سارتر وغيرهما بالدعوة المتكرّرة إلى «السلام» والتعايش بضرب من الأمل في

النفاق

يجب فعلا أن نعيش معا « فليس هناك خيار ، في التعايش ، فيقول :» لا يمكن للإسرائيليين والفلسطينيين أن يعيشوا معا حقا إلا يوم يكون السلم (وليس إيقاف الحرب،أو مسار السلام) يصبح قائما في الأجساد والقلوب ، حينما ينجز الضروري من أولئك الذين يملكون سلطة اتخاذ المبادرة بطريقة حكيمة أفقية أولا «. وحيث أن دراديا لا يطرح بوضوح « نشأة إسرائيل « إلا على نحو تلميح إلى مفارقات النشأة ، فسيظلّ موقفه على صعيد الواقع الفعلي مجردّ « حلم يقظة» لمفكّر لم يستطع أن يحسم بشكل قاطع حتى على صعيد « الفكر» في «الانحياز « إلى « صاحب الحقّ. « إذ يقول بأسلوب « حذر» خجول:» هل حدث فعلا هذا الاختراع السياسي في إسرائيل؟ أنا من الذين ينتظرونه، هذا « الحدث السياسي» في إسرائيل، ومن أولئك يطلبونه في الأمل، واليوم أكثر من أي وقت مضى وبيأس من الأحداث الأخيرة، حتى لا نتحدّث عن سواها، لا تأتي إلاّ لتكثيف (على سبيل المثال (...) استمرار « الاستيطان» الاستعماري أو قرار كهذا للمحكمة العليا تجيز التعذيب ، و، بوجه عام ، كلّ المبادرات التي توقف ، وتحوّل وجهة أو تقطع ما نستمرّ في تسميته ، كطريقة في التعبير « مسار السلام». وبالرغم من انتقاد داريدا « أحيانا وبالمناسبة « سياسة « دولة إسرائيل»، بل ونشأتها « العنيفة « ، فإنه لا يتردّد في « مستقبل أفضل « ، مع القفز على « واقع الهيمنة والاحتلال والتعذيب والاستيطان بل والإبادة الجماعية التي ينتهجها الكيان الإسرائيلي فيقول بتفاؤل « الحالم» :» ربما هو الوقت قد حان لصنع المستقبل مع ألم غير قابل أن يصلح، إذا ما أردنا أن نفقد أيضا ، مع أرواحنا حياتنا.(...)ودون سابقية إضمار ، لابد من أن نجبر الضرر قدر الإمكان حيثما يوجد إمكان لذلك ، ولابد أن نعيد المهجّرين قدر الإمكان ويجب أن نقوم بعمليات التطعيم الأكثر مشروعية ، ولابد بالخصوص مشاركة الأرض». هكذا إذن يكون من الضروري خاصّة في نظر داريدا « مشاركة الأرض» بين الفلسطينيين « وهم أصحابها» وبين « الإسرائيليين وهم « غاصبوها» ومفتكّوها عنوة من « أصحابها . يتساوي عند داريدا « صاحب الحقّ وغاصبه . ولا يرى أيّ حرج أخلاقي بالمرّة في أن يقبل « صاحب الحق» واقع « الاحتلال « في وقت يسلّم فيه داريدا « بما يسمّيه « النشأة العنيفة « (عبارة لطيفة خجولة للدلالة على الاحتلال الإسرائيلي) «لدولة إسرائيل»؛ بل نجده كما سارتر وآرنت يعتبر وجود أو قيام "دولة إسرائيل» « حدثا بارزا يبعث على الأمل» في نهاية معاناة « اليهود» . ودون تقدير لمعاناة « الفلسطينيين وقد اغتصبت أرضهم، يدعو بكل « حياد» هؤلاء إلى القبول « بالأمر الواقع» بوجود « الكيان الإسرائيلي « والتعامل معه بما هو كذلك بل والجهد في التصالح معه « ونسيان» كل الآلام والعذابات...بل والتطلع إلى مستقبل أفضل «لتعايش» يظلّ في نظرهم ممكنا مع كلّ ما يشهده الواقع من استمرار « الكيان الصهيوني» في سياسة « الإبادة الجماعية « لشعب فلسطين، فأي تعايش يمكن مع هذه الإبادة؟! يغمض داريدا عينيه عن هذا الواقع الصارخ ويسلك مسلك «النفاق» والتمترس وراء « إنسانية « كونية وخطاب إيتيقي حول « التعايش والصداقة والسلم الخ» وهو يعلم أن « الواقع « السياسي يكذّبه ويجعله خطاب « حالم» يأبى أن يفتح عينيه على هذا الواقع المأساوي الذي لا يترك أي طريق إلى الحلم . كيف يمكن « الحلم « بالسلام مع « استمرار الاستيطان» والتعذيب اليومي والتهجير والإبادة وافتكاك الحقوق الخ ؟! وبضرب من « السلوك الدبلوماسي» السياسي ، يعبّر داريدا عن انشغاله بوضع الفلسطينيين والإسرائيليين على حد السواء، انشغالا « منصفا» وجدانيا وملائما سياسيا، حتى لا يتهم بالعداء « للسامية»، تهمة يخشاها المثقفون حينما يتحدثون عن «اليهود « ، وحتى لا يتهم بالانحياز إلى « الظلم» فيما يتعلق بالفلسطينيين فيقول:» أفكّر فيهم دائما، بكل صداقة ومواساة:... في الفلسطينيين الذين ، وفي الوقت الذي يكافحون فيه من أجل استقلالهم الشرعي وتأسيس دولتهم ،لا يدينون مع ذلك الهجمات الانتحارية، لكن أيضا في الإسرائيليين الذين يكافحون ضدّ (السلطة) ويرفضون أحيانا بعض المهامّ التي توكل إليهم». (داريدا من مقابلة سنة 2004). ولابد لنا بالمناسبة لفهم هذا « الحياد الكاذب» أن نطّلع على كتاب داريدا عن «الصفح» وموافقته جانكليتفيتش الفيلسوف اليهودي الذي يرى أن الجرائم التي ارتكبت ضد اليهود لا تغتفر وغير قابلة للصفح. وداريدا هو الآخر من أولئك» المثقفين الغربيين» الذين يحملون « إثم» اليهود المضطهدين والشاعرين بمسؤولية ما عانوهم تاريخيا في أوروبا من « النازية» لوصفها « اختراعا أوربيّا» ، وهو من هؤلاء الذين يساندون « اليهود» مساندة مطلقة ويرون في نشأة دولة « إسرائيل» « مكافأة سعيدة» لمعاناتهم الطويلة وتكفيرا أوروبيا غربيا « عن ذنب اضطهادهم. أما اعترافه بالحقّ الفلسطيني فيأتي « محتشما» خجولا من باب « الحياد» الزائف والإلزام «الإيتيقي» الكاذب حتى لا يتهّم بالتناقض وازدواجية الخطاب الخ ...

إنّ مواجهة هؤلاء الفلاسفة بالقضية الفلسطينية سرعان ما يكشف عن «زيف» إدعاءاتهم بالدفاع عن « المضطهدين» والمستضعفين في العالم ، وعن الإنسان أينما كان ...ويجعل من « التزامهم الأخلاقي والإيتيقي « الذي يدّعوه ويكرّسوه في خطابهم الفلسفي أضعف ما يكون في مجابهة « الواقع السياسي» أو بالأحرى « التزامهم السياسي» تجاه « إسرائيل « والسياسات الداعمة لها بالنصرة لها بل ودعمها « سياسيّا» فعليا حينما يلزم ذلك.

ولم يكن الفيلسوف اليهودي الأصل « لوفيناس» خارجا عن هذا الموقف العام بل كان أكثر وضوحا في التزامه به . فبالرغم من دعواه الفلسفية إلى « الانفتاح على الغيرية « والالتقاء بالآخر المغاير وجها لوجه الخ ، فإنّه - حينما يتعلّق الأمر «بالمسألة اليهودية «، يكون حاسما في الإقرار بحق اليهود في بناء دولتهم والإقامة في أرض « فلسطين»

أرض « الميعاد». يقول لوفيناس:»لا يتمثل المهمّ لدولة إسرائيل في تحقيق وعد قديم، ولا في بداية عهد أمن فعليّ - إشكالية مع الأسف- بل في الفرص التي أتيحت أخيرا لإتمام القانون الاجتماعي لليهودية. لقد كان الشعب اليهودي متعطّشا إلى أرضه ودولته، لا بموجب استقلال دون محتوى ينتظره، بل بسبب إنجاز حياته الذي يمكن له أن يبدأه في النهاية».(لوفيناس «الحرية الصعبة. (1984). يعتبر لوفيناس نشأة « دولة إسرائيل» عملا خالدا رائعا « فيقول» لقد حانت في النهاية ساعة العمل الخالد. إنه لشيء فظيع مع ذلك أن نكون الشعب الوحيد الذي يعرّف بمذهبه في العدالة والوحيد الذي لا يستطيع تطبيقه». ويعتبر لوفيناس وهو» اليهودي» أن اليهود « شعب الله المختار» في معنى للاختيار بأنّه :» وعي بالواجبات الاستثنائية». يستند لوفيناس إلى التاريخ التلمودي ليبرّر وجود « الكيان الصهيوني» ، معتبرا إياه مشروعا وليس» احتلالا» بالمرّة، إذ يقول:»إنه لمشكل حادّ، أنه ومنذ إنشاء دولة إسرائيل على قطعة من أرض قاحلة كان ملكية أبناء إسرائيل منذ أكثر من ثلاثين قرنا، وبالرغم من هدم يهودا سنة 70، لم تخل المجموعات اليهودية المكان، وأنه في الشتات أو التيه لم تكفّ عن المطالبة ومنذ بداية القرن قاموا بإعادة إعمارها بعملهم؛ لكن، وفي قطعة الأرض التي توجد أيضا منذ قرون يسكنها أولئك الذين، محاطين من كلّ جانب على مساحات كبرى، هم الشعب العربي الكبير الذين هو جزء منها ويسمون فلسطينيين». يريد لوفيناس كما هو بيّن أن يقرّ بأن قيام « دولة إسرائيل لم يكن بالعنف بل على أساس «التاريخ والثقافة». ومن هنا فليس وجودها استعماريا. ومن هنا أيضا فلا مناص للعرب وللفلسطينيين أن يقروا لها بالحقّ في الوجود بل لابد من التوافق والتصالح وقبول هذا الوجود «الشرعيّ». وان أصل النزاع في هذا الرفض الذي يكاد يكون غير «مبرّر» خاصة على أساس تاريخي. فالإسرائيليون « هم أصحاب الأرض» كما الفلسطينيين وهذا ما قامت عليه « الصهيونية « بوصفها بعبارة لوفيناس «أحد أهم الأحداث الكبرى للتاريخ البشري». وإذا كان وجود : الكيان الصهيوني» في المنطقة العربية يجعله محاطا «بأعداء» فذاك أمر يؤسف له في نظر لوفيناس ، ولكنه واقع لابد من أخذه بعين الاعتبار في تحقيق « السلام» , ويمتدح لوفيناس بالمناسبة «خطوة السادات في تحقيق السلام بين مصر وإسرائيل. ويذهب لوفيناس إلى الاعتقاد انه لا مناص من التعايش، على معنى «داريدا» كاضطرار، بين العرب وإسرائيل فيقول:» ليس ليهودي من حاجة أن يكون « نبيّا ولا ابن نبيّ» حتى يرجو و يأمل في مصالحة يهودية -عربية، وكي يرى فيه ، من وراء التجاور السلمي، بمثل جماعة أخوية». هكذا كان أيضا حلم « ريمون آرون» الفيلسوف وعالم الاجتماع اليهودي الأصل ، تحقيق المصالحة بين « العرب وإسرائيل» ؛ مصالحة، لئن كانت صعبة وعسيرة جدا، فإنها مع ذلك ممكنة لو اعترف « العرب « بإسرائيل أمرا وقعا لا مجال لرفضه آو إنكاره أو التشكيك في شرعيته. يقول آرون :» سيستمرّ النزاع طويلا قائما بقدر ما لم يعترف جيران إسرائيل بها (...) فلا يمكن لإسرائيل ، وحي متفوقة عسكريا أن تحلّ مشكل وجودها بالقوّة. وفي المقابل فإنه يوم يصبح جيرانها أكثر قوة منها فسيكون لهؤلاء فرصة خلق الأمر الواقع». لم يخفي آرون انتماءه « اليهودي» حتى وإن لم يكن متدينا لكنه كان شديد الصلة وجوديا، وهو المقيم في فرنسا، بدولة إسرائيل. فقد كان متنصرا لها معترفا في الآن نفسه مع ذلك بمأزق « الصهيونية « التي زادت الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية تعقيدا بسياسة اللامبالاة بالعرب. غير انه لا يخفي تعاطفه إنسانيا مع اليهود في معاناتهم فيقول :» أتألم مثلهم ، ومعهم مهما قالوا وفعلوا، لا لكوننا أصبحنا صهيونيين أو إسرائيليين، بل لتنامي المدّ التضامني فينا. وأي كان مصدره. وإذا كنت القوى لكبرى بموجب حسابها الرياضي لمنافعها، تترك هذه الدولة الصغير للهدم لكونها ليست دولتها، فإنّ هذه الجريمة، والمتواضعة قياسا بالعدد، فأنها تنزع عنّي الرغبة في الحياة واعتقد أنّ ملايين الملايين من البشر سيخجلون من الإنسانية». إنّ علاقة آرون بالـ» الكيان الإسرائيلي» ليست وجودية فحسب كما يبدو بل وجدانية إذ يقول:» أعرف بوضوح أكثر من الماضي بأنّ إمكانية تدمير إسرائيل يجرحني في أعماق نفسي . كثير من مثقفي اليسار قاموا بنفس تجربتي : ينسون لفترة « الإمبريالية « و» الواقع الاستعماري»، ويتذكّرون أصولهم ويجدون أنفسهم لدهشتهم يهودا».

على هذا النحو تضع « السياسة» كثيرا من المثقفين والفلاسفة الغربيين أمام : امتحان» عسير» لآرائهم حول « الحرية والعدالة وحقوق الإنسان وسائر القيم الأخلاقية وحول الإنسان قيمة كونية وغاية قصوى الخ .. . فينسون كل ذلك أو يتغيّر الخطاب الفلسفي ، وقد كان من قبل، على صعيد النظرية، « حاسما « إيتيقيا « ليصبح « بفعل السياسة» وتأثير السلطة ، وهيمنة الأقوى (اللوبي الصهيوني) خطابا « ناعما» محايدا خجولا غير قادر على الحسم . فحينما يتعلّق الأمر بالقضية الفلسطينية بالذات « قضية القضايا «» حتى للإسرائيليين كما يقر بذلك من ذكرنا من الفلاسفة، ينكشف الزيف وازدواجية الخطاب والكيل بمكيالين والنفاق و» الديبلوماسية « الخ ...ليطرح « الفيلسوف نفسه» « صديقا للخصوم فيساوي بقصد منه وبشكل « وقح» بين الضحية والجلاّد زاعما « الحياد» فيما لا يستقيم فيه الحياد لو كان التزام الفيلسوف «حقيقيا» تجاه الإنسان، صاحب الحقّ. فكأنما « الفلسطينيّ» ليس إنسانا أو إنسانا من» درجة ثانية» بالنظر إلى الإنسان « اليهودي». من الثابت أن المثقف عموما ، والفيلسوف خصوصا لا ينكشف « حقيقيّا» إلى في مواجهة « لحظة الحسم» ، خارج « الحياد» . فالحياد كما يقول بارط « أملس وفارغ وغير ملتحم « . هو كذلك دوما وخاصّة حينما يتعلق الأمر بالقضية الفلسطينية بالذات. يكتب « الفلاسفة « بكل أشكال الحياد ، ليرتحلوا في « اليوتيوبيا» وفي الحلم ، هروبا من مسؤولية « اتخاذ القرار « : الانحياز إلى الحقّ . يكتبون بكلّ أشكال الكتابة المحايدة بعبارات رولان بارط، بـ « الكتابة البيضاء، المعفاة من كلّ مسرح أدبي، اللغة الآدمية - التفاهة المستساغة- الأملس، والفارغ وغير الملتحم، والكلام المنثور (صنف سياسي وصفه ميشليه)- التكتّم و شغور «الشخص»، إمّا ملغى أو على الأقلّ قد صار غير قابل للإصلاح- غياب الصورة الهوامية وتعليق الحكم ، والمحاكمة، - التنقّل - رفض « أن نعطي لأنفسنا احتواء» (رفض كلّ احتواء) - مبدأ الرقّة- الانسياق - الاستمتاع: كل ما يراوغ أو يحبط أو يجعل الكلام تافها، التحكّم والتبكيت.» ليس المحايد أمرا للغة. وَلْنَقُلْهْا (تقريبا) مثله: هو الإرتحال في يوتيوبيا.»

« الوعد بالسلام»

وإذا كان الغالب على « المثقفين، حتى مثقفي اليسار، ومنهم فلاسفة لا يملكون الجرأة والشجاعة على قول الحقّ في وجه هيمنة «اللوبي الصهيوني « ، فإنّ من الفلاسفة الغربيين من لا يتردّد في ذلك. ليفضح واقع « الخوف» والانحياز الفاضح والتناقض حتى بين « الخطاب الإيتيقي والأخلاقي لكثير من الفلاسفة الغربيين وبين مواقفهم « السياسية» تجاه واقع الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين على وجه الخصوص. هذا جيل دولوز أحد الفلاسفة القلائل الذين لم يتردّدوا في فضح ظلم الصهاينة وأوهامهم الكثيرة التي حملوا الكثير على « تصديقها» عنوة، بسيطرتهم على وسائل الإعلام. يقول جيل دولوز:» سوف تطالب الصهيونية ثم دولة إسرائيل الفلسطينيّين بأن يقرّوا لهما بالحقّ. في حين لا تكفّ دولة إسرائيل ذاتها عن إنكار حتّى واقع وجود شعب فلسطينيّ. لا نتحدّث مطلقا عن الفلسطينيين، بل عن عرب فلسطين، كما لو كانوا هناك بالصدفة أو على وجه الخطأ. وسنتصرّف فيما بعد كما لو أنّ الفلسطينيين المهجّرين قد أتوا من خارج، وسوف لن نتحدّث عن حرب المقاومة الأولى التي خاضوها لوحدهم. سنجعلهم أحفاد هتلر بما أنهم لم يعترفوا بحقّ إسرائيل. لكن إسرائيل تحتفظ بحقّ إنكار وجودهم الفعلي. هنا يولد توهّم لابدّ أن يتوسّع أكثر فأكثر، ويرمي بثقله على كل أولئك الذين يدافعون عن القضية الفلسطينيّة. يتمثّل هذا التوهّم وهذا الرهان لإسرائيل ، في اعتبار أنّ كل من يعترض على الظروف الواقعية وأفعال الدولة الصهيونيّة، هو معاد للسامية . تجد هذه العملية منبعها في السياسة اللامبالية لإسرائيل تجاه الفلسطينيين.

لم تخف إسرائيل مطلقا هدفها منذ البداية: إخلاء الأرض الفلسطينيّة. بل أكثر من ذلك ، التصرّف كما لو كانت الأرض الفلسطينية خالية، وكونها موعودة دوما للصهيونيين. يتعلّق الأمر طبعا بالاستعمار، لكن لا بالمعنى الأوروبي للقرن 19م: لا نستغلّ سكان البلد ، بل نهجّرهم. ومن يتبقّى منهم ، فلن نجعل منه يدا عاملة مرتبطة بالمنطقة ، بل بالأحرى يد ا عاملة متنقّلة ومنفصلة، كما لو كانوا مهاجرين وضعوا في غيتو.

يتعلّق الأمر منذ البداية بشراء الأراضي وفق شرط وهو خلوّها من السكان أو قابلية إخلاءها منهم. إنها إبادة جماعية، لكن تظلّ التصفية الجسدية فيها لاحقة للإخلاء الجغرافي: يجب على الفلسطينيين باعتبارهم عربا على وجه العموم ، أن ينصهروا مع العرب الآخرين. إنّ التصفية الجسدية ، سواء أوكلت للمرتزقة أو لا، هي حاضرة. لكنها ليست إبادة جماعية في زعمهم ، بما أنّها ليست « الهدف النهائيّ»: وبالفعل فهي وسيلة من بين وسائل أخرى.

إنّ تواطؤ الولايات المتّحدة مع إسرائيل لا يعود فحسب إلى هيمنة اللوبي الصهيونيّ. فقد بيّن إلياس سانبار بوضوح كيف أن الولايات المتّحدة تجد في إسرائيل مظهرا من مظاهر تاريخها: القضاء على الهنود الحمر، الذي ليس ، هنا أيضا ، سوى جزء فيزيائيّ مباشر. يتعلّق الأمر بالإخلاء، وبما أنّه لم يحدث أن وجد هنود حمر في أرض فلسطين، اللهمّ في الجيتوات، حيث كثيرا من المهاجرين من الداخل. إنّ الفلسطينيين ومن نواحي كثيرة هم الهنود الحمر الجدد، الهنود الحمر لإسرائيل. يشير التحليل الماركسي إلى حركتين متكاملتين للرأسمالية: فرض حدود باستمرار، داخلها تنظّم الرأسمالية وتستغل نسقه الذاتي؛ والدفع باستمرار إلى أبعد ما يكون حدودها، وتجاوزها لإعادة بناءها الخاص على نحو أكبر أو أكثر كثافة. إنّ دفع حدودها ، هو حركة الرأسمالية الأمريكية ، للحلم الأمريكي ، الذي استعادته إسرائيل وحلم إسرائيل الكبرى على الأرض العربيّة، وعلى كاهل العرب.»جيل دولوز»نظامي حكم للمجانين «، مينوي 1983).

- هامش: - وقع الاعتماد في هذا المقال بالخصوص على ملف (في 5 مقالات) في « المجلة الفلسفية « الفرنسية مقالات متسلسلة بعنوان:» الفلاسفة في مواجهة النزاع الإسرائيلي الفلسطيني» (أكتوبر 2023)

بلاد فلسطين في التاريخ القديم:

إطلالة على المجال والسكّان والممالك القديمة

فـريد زمـالي محافظ مستشار بالمعهد الوطني للتراث

لا ريب في أنّ الـميزات الجغرافية التي كانت لبلاد لفلسطين، قد جعلتها مؤهّلة لاستقرار الإنسان منذ عصور الزمن الغابر. فقد كانت هذه البلاد أرض حضارة منذ العصر الآشولي ((Acheuléen أي منذ ما يزيد عن 150.000 سنة. ولذلك بقيت قبلة للشعوب طوال العصور القديمة حتّى أنّنا حين نضع أقدامنا على أرضها، فإنّنا نمشي على التاريخ.

فلسطين القديمة أو بـلاد كنعان: التسمية والحدود والمجال

تطلق تسمية فلسطين قديمًا على الأرض الواقعة جنوب سوريا وشرق البحر الأبيض المتوسّط. لكن هذه التسمية ليست الوحيدة، فقد أطلقت شعوب كثيرة على هذه الأرض عدّة أسماء لعلّ أقدمها تسميتي خارو (Kharu) بالنسبة للجزء الجنوبي ورتينو (Retenu) التي أطلقها قدماء المصريين على الجزء الشمالي من بلاد فلسطين. كما سميت هذه الأرض فيما بعد بـ « أرض كنعان» أو « كنعان»، ويقصد بها البلاد الواقعة غرب نهر الأردن بما فيها سوريا. وهذا الاسم الذي ورد ذكره في التوراة، معروف كذلك في مصر القديمة وعُثر عليه مكتوب في مآثر تل العمارنة (القرن XV. ق.م) بصيغة « كيناهي» أو « كيناهنا» التي تخفي الصيغة الأصلية لاسم « كنعان». وقد بدأ الانزياح عن هذه التسمية بعد الغزو اليهودي لتصبح في لغتهم « أرض إسرائيل» وسموا شرق الأردن باسم « عبر الأردن» أي أنّهم اعتبروا هذا الجزء منفصلًا عن مجال « أرض إسرائيل».

كانت بلاد كنعان تضمّ مجالي «فلسطيا» و«فينيقيا» الممتدّة على ساحل البحر. وهي تمتد غربًا حتى البحر ونهر الأردن وشرقًا حتى بحيرة طبرية، ثمّ شمالًا عبر خطّ يمتد من تلك البحيرة وصولا إلى حدودها الشمالية التي كانت تضمّ كامل مجال فينيقيا القديمة (لبنان) وتنتهي حسب التوراة على ساحل البحر عند مدخل حماه ثم حدودها الجنوبية عند عين قادش ومنها إلى نهر مصر (وادي العريش حاليًا). وهذا ما يؤكّد أنّ مجالها أكبر بكثير من حدود البلاد الواقعة تحت هيمنة الإسرائيليين والتي لا تتعدّى موضع تلّ القاضي الواقع على السفح الجنوبي بجبل حرمون حسب ما تؤكّده الإشارات الواردة بالتوراة مثل سفر القضاء وغيره. حيث يقع مجالها بين دان» في الشمال و« بئر سبع» في الجنوب وهو الموضع الذي تنازع فيه الفلسطينيون والإسرائليون على نبع الماء وبسببه جاءت عبارة «من دان إلى بئر سبع» التي تواترت في التوراة للدلالة على أرض بني إسرائيل.

فلسطين في العصور القديمة: السكان والممالك

كان اسم «بالستين « (Palestine) الذي نطقه العرب « فلسطين»، يُطلق على الشعب الذي سكن السهول الشمالية والجنوبية من فلسطين وهم « الفلسطينيون». ولعلّ أوّل إشارة إلى هذا الاسم كانت في عصر الملك الأشوري « شلمنصر الرابع « (-783 773 ق.م) حيث ورد بصيغة « بلاستو» (Plastu) وشملت التسمية ساحل «فلسطيا» أي ساحل الشام الجنوبي وموطن الفلسطينيين. وقد كشفت الحفريات والأبحاث الأثرية التي تمّت بمنطقة «جازر أبو شوشة» بين سنتي 1902 و1905، أنّ الاستقرار البشري بهذه المنطقة يرقى إلى حدود منتصف القرن IV . ق.م. وكان هؤلاء السكان القدامى من المهاجرين الذين قدموا من وسط الجزيرة العربية والعراق في أواخر العصر الحجري الحديث قبل أن تلتحق بهم شعوب أخرى في فترات مختلفة مثل الكنعانيين والعبرانيين والحثيين وأنشأوا هنالك ممالك عديدة.

الكنعانيون

تنحدر قبيلة كنعان من العموريين الذين كان موطنهم بجزيرة العرب وقد سُميت بهذا الاسم لاستقرارها بأرض منخفضة. والتحقت هذه القبيلة بأرض فلسطين واستقرّت هناك وكانت بلادها واسعة الأطراف منفتحة على البحر، فعكف أهلها على الزراعة واشتغلوا بالملاحة والتجارة البحرية لقرون طويلة، حتى احتلّ اليهود أجزاء من بلادهم واستباحوا مدنهم. وقد ورد في التوراة ذكر حروبهم مع اليهود في أريحا وجبعون وبيت أيل ومع ذلك صمد الكنعانيون رغم نزوح بعضهم ناحية الشمال. كما عثر في الكرنك على أسماء 119 مدينة كنعانية احتلها ملوك مصر حين غزوا البلاد ممّا يدلّ على درجة الرخاء وأهمية المجال الذي كانت تحتلّه بلاد كنعان.

ومن هؤلاء الكنعانيين، ينحدر اليبوسيون وهم أوّل من بنى القدس على مرتفع « تلّ الضهور» وعرفت آنذاك باسم «يبوس»، ثمّ حصّنوها وجعلوا عليها أسوارًا من اللبن واستقروا فيها. وكان هذا الموقع الذي يعرف كذلك بـاسم « تلّ أوفل»، محاطًا بثلاثة أودية وهو قريب من عين ماء جيحون (أم الدرج) ويقع مباشرة على الطريق التجارية الرابطة بين مصر وبلاد الشام. وقد أقام اليبوسيون حكومة ذات نظام سياسي وإداري وشيّدوا القلاع والحصون وازدهر معهم عمران المدينة وكان أوّل ملوكهم وأشهرهم ملكي صادق الذي عاش في عصر سيّدنا إبراهيم في أوائل الألف الثانية قبل الميلاد.

مسار رحلة النبي إبراهيم عليه السلام من أور إلى بلاد كنعان

تنازع رعاة المواشي على آبار المياه (سفر تكوين 26: 21-19)

العبرانيون ومملكة بني إسرائيل

العبرانيون هم أتباع سيدنا إبراهيم عليه السلام الذين هاجروا معه من مدينة (أور) الكلدانية/ الأكادية في جنوب العراق إلى فلسطين في عهد النمرود (حوالي سنة 1950ق.م) أين استقبلهم ملك القدس ملكي صادق. وقد استقر العبرانيون، الذين يعتقد بأنّ تسميتهم جاءت بسبب عبورهم نهر الفرات، في فلسطين بفضل الصداقة التي كانت تجمع ملكها بالنبي إبراهيم عليه السلام. لكن العلاقات بينهم سرعان ما ساءت عندما حاول العبرانيون الاستيلاء على القدس في أكثر من مرّة، حتى اضطر الملك عبد خيبيا إلى الاستنجاد بالمصريين في عهد أخناتون (1353 1336- ق.م) فوضعوا حامية عسكرية في يبوس وكانت تلك بوابة لدخول القدس تحت هيمنة ملوك مصر.

و من هؤلاء العبرانيين، خرج بنو إسرائيل (يعقوب) الذين التحقوا بمصر في عصر النبي يوسف عليه السلام واستقرّوا هناك حتى عصر النبي موسى عليه السلام. ليخرجوا منها مجدّدًا هاربين من جور فرعون يريدون أرض فلسطين لكنّهم لم ينجحوا في بلوغها خوفًا من سكانها (الجبارين) واضطروا إلى اللجوء إلى الأردن أين توفي النبي موسى هناك بواد يعرف بـ «وادي موسى». ودخل العبرانيون بعده في حالة من الاضطراب والانقسام حتى تولى أمرهم يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب الذي احتلّ أريحا وانتصر على اليبوسيين. وفيما أورده ابن الأثير في كتاب الكامل في التاريخ أنّ « جماعة من ملوك الشام [اجتمعوا]، وقصدوا يوشع، فقاتلهم وهزمهم، وهرب الملوك إلى غار، فأمر بهم يوشع بن نون فقُتلوا وصُلبوا. ثمّ ملك الشام جميعه، فصار لبني إسرائيل، فرّق عماله فيه. ثمّ توفّاه الله فاستخلف على بني إسرائيل كالب بن يوفنّا». وحين توفي يوشع، حكم بني إسرائيل القضاة وهم كبار شيوخهم وقد بلغ عددهم 14 قاضيا امتدّ حكمهم إلى حدود سنة 1021 ق.م. وفي هذه المدّة اختلط بنو إسرائيل بمن حولهم وأخذوا عنهم علوم الزراعة والصناعة وبناء الهياكل، إلّا أنّهم ظلوا قبائل متفرّقة ولم يقدر أي قاض على جمعهم رغم ظهور عديد الأنبياء فيهم واستشرى عندهم الفساد حتى أخضعهم الفلسطينيون لسلطتهم طيلة 40 عامًا ونزعوا منهم تابوت العهد.

في عام 1021 ق.م، تمّ تنصيب شاؤول (طالوت) ملكًا على بني إسرائيل في زمن

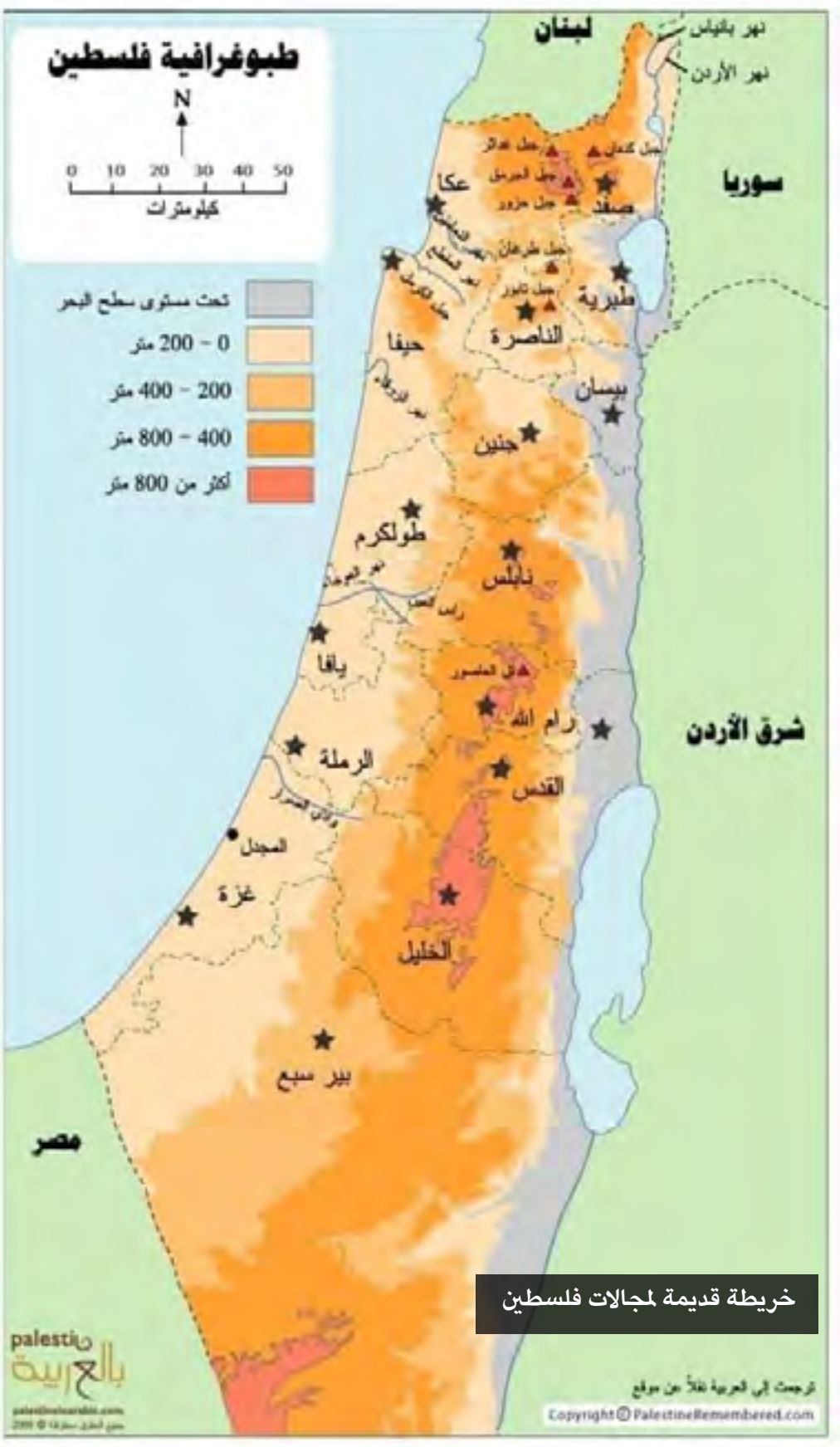

كانت فيه الحرب على أشدّها بينهم وبين الفلسطينيين. وانتهت الوقائع بانتصار بني إسرائيل وتمكّن داوود (النبي) من قتل جالوت ملك الفلسطينيين. ولمّا توفي شاؤول، تولّى الحكم بعده النبي داوود سنة 1004 ق.م ونجح في توحيد الأطراف المتنازعة بعد حروب دامت 07 سنوات وجمع الأسباط تحت قيادته وقاد جيشًا قوامه 30.000 مقاتل استولى به على القدس خلال سنة 997 ق.م واتخذ من حصن صهيون اليبوسي مقرًا لحكمه وشرع في بناء الهيكل (المسجد الأقصى) واستمرّ حكمه إلى حدود سنة 963 ق.م. وتولّى الحكم بعده ابنه نبي الله سليمان، فتوسّعت دولته وآتاه الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وسخّر له الجن والريح تجري بأمره حيث يشاء وعلّمه لغة الطير والحيوان واستمرّ حكمه إلى حدود سنة 923 ق.م.

بعد وفاة النبي سليمان، تولى حكم بني إسرائيل رحبعام بن سليمان إلّا أنّ أسباطهم ثاروا عليه وانتهت الانتفاضة بانقسام المملكة إلى دولتين واحدة لإسرائيل والثانية ليهوذا. وقد استمّرت الدولة الأولى إلى حدود سنة 722 ق.م وانتقلت عاصمتها بين شكيم (نابلس) وتزرة والسامرة وسبسطية وتعاقب على حكمها 19 ملكًا. وكانت طوال هذه الفترة في حروب مستمرّة مع مملكة يهوذا ومع الممالك الأخرى، فقد تمكّن الملك الآشوري شلمنصر الثالث (858 – 824 ق.م) من الاستيلاء على بلاد الشام ومصر وهدم كيان مملكة إسرائيل ممّا أدّى إلى إضعافها، ثم زحف عليها ملك آشوري آخر هو سرجون الثاني (722- 705 ق.م) في سنة 721 ق.م فدمّرها وسبى أهلها.

أمّا مملكة يهوذا، فقد كانت عاصمتها القدس وتتألف من سبطي بنيامين ويهوذا. وتولّى حكمها بعد الملك سليمان ولده يهوذا كما تداول على حكمها 20 ملكًا من 923 إلى 586 ق.م. وكان سبب سقوطها التمرّد الذي قام به آخر ملوكها صدقيا ابن يوشيا (597- 586 ق.م) ضد الملك البابلي نبوخذ نصر (605- 562 ق.م). فقد نجح هذا الملك البابلي في ضمّ الأراضي التي كانت تحت هيمنة الآشوريين ومنها أراضي بلاد الشام وفينيقيا وبلغ غزة على الحدود المصرية لكنّه هزم سنة601 ق.م وحالت هزيمته دون التوغّل إلى مصر. ولم يقم نبوخذ نصر بتدمير المدن التي سيطر عليها وإنّما فرض عليها الجزية، إلّا أنّ المصريين قاموا بتحريض الممالك الكنعانية ضدّ البابلين، فثارت عسقلان ورفضت يهوذا دفع الجزية وما كان من البابلين إلّا أن قادوا حملة تأديبية أدّت إلى السيطرة على مملكة يهوذا وإحراق هيكل سليمان وسبي سكانها بعد حصارهم لمدينة أورشليم سنة كاملة حتى أنّه لم يبق في القدس سوى الضعفاء والفقراء فجعل عليه نبوخذ نصر رجلًا يدعى جدليا بن آخيقام بن شافان وترك فيها حامية عسكرية لحفظ الأمن بالمدينة.

الحثيون

ينتسب الحثيون إلى قبيلة انفصلت عن تركستان واستوطنت أرض فلسطين وأسّست فيها مملكة عاصمتها «خـتـي» التي تتطابق مع موقع « بوغاز كوي». واستمر وجودهم هناك لعدّة قرون حتى اندمجوا مع السكان الأصليين وتعايشوا معهم، فقد جاء في التوراة والإسرائيليات، أنّ إبراهيم عليه السلام اشترى من عفرون الحثي المغارة المضاعفة واتخذها مدفنًا لزوجته سارة، كما تزوج عيسو (شقيق نبي الله يعقوب) بامرأتين حثيتين وكذلك تزوج الرسول داود بامرأة أوريا الحثي واشترى ولده النبي سليمان الخيول لـملوك الحثيين.

كان الحثيون في صراعات مستمرّة خصوصًا مع ملوك مصر القديمة، فقد كشفت الآثار المصرية أنّ الملك تحتمس الأول (1506 – 1493 ق.م) أحد فراعنة الأسرة (18) أخضع سوريا في القرن XVII ق.م وانتصر على الحثيين، كما غزاها تحتمس الثالث (1479 – 1425 ق.م) عدّة مرات، وبعد غزوته لها في السنة 33 من ملكه نقش على جدران

الكرنك ذكرى غزواته والشعوب التي غزاها ودانت لسلطته وكان من ضمنها «بلاد الحاتاس الفسيحة» (الحثيين). وفي عهد تحتمس الرابع أيضًا، غزا المصريون بلاد الحثيين، ووجِدت صحيفة في هيكل آمون كتب عليها «غزوة تحتمس الرابع (-1401 1388 ق.م) لبلاد الحثيين». وفي عصر الأسرة (19)، غزا رعمسيس الأول (-1292/1290 1294/1295 ق.م) بلاد الحثيين ودخل فلسطين دون مقاومة تذكر، لكنه ما كاد يبلغ نهر العاصي حتى فاجأته جيوشٌ يقودها سابالت ملك الحثيين، انهزم فيها رعمسيس وأرغم على إبرام معاهدة صلح.

و في عصر ابنه سيتي الأوّل (-1290 1279 ق.م)، عادت الحروب بين الفريقين دون أن تسفر عن نتائج تذكر للشق المصري الذي التزم بالصلح مع الحثيين وخيّر المحافظة على مصالحه بفلسطين وفينيقيا. لكن النزاعات عاد مجدّدًا في عهد خلفه رعمسيس الثاني (1279 – 1213 ق.م) واستمرّت قرابة 15 سنة، نجح خلالها المصريون في قتل ملك الحثيين واسترجاع عسقلان وأورشليم والكرمل وعقد الصلح على أن تكون أرض المصريين من جبيل نحو الغرب والجنوب وتكون أرض الحثيين نحو الشمال والشرق. وتزوج رعمسيس ابنة كيتامار ملك الحثيين ودعاه لزيارة مصر.

كما كانت للحثيين وقائع مع ملوك آشور، فقد اكتشف نقش لآشورنسير بال (883 – 858 ق.م) جاء فيه وصف لهذا الملك بأنّه « ملك البلاد من ضفة دجلة إلى بلاد لبنان وأخضع لسطوته البحار الكبيرة، وكل البلاد من مشرق الشمس إلى مغربها «. وجاء في نقش آخر يخلّد حملته على الحثيين قوله: «غادرت كالح وعبرت دجلة قاصدًا مدينة كركميش في بلاد الحثيين، واجتزت الفرات على قطع من أديم، واقتربت من كركميش ... وفرضت على سنغار ملك بلاد الحثيين عشرين وزنة من فضة وحلي كثيرة من الذهب، ومائة وزنة من النحاس، ومائتين وخمسين وزنة من الحديد والقصدير، وآلات من حديدٍ ونحاس، وغنائم بلاطه وأثاثه شيئًا كثيرًا لا مثيل لظرافته، وأثاثًا من أبنوس وأعراشًا من خشب السنديان، ومائتي امرأة رقيقة وأنسجة من صوفٍ وبرفير، ومركبات مرصعة بالعاج وتماثيل من ذهب». وفي عصر شلمنصر الثالث، كانت له حروب مع الحثيين الذين قاد ضدّهم عدّة حملات منها حملته الثالثة في سنة 854 ق.م التي وصلتنا بعض أصدائها وذكر منها « أنّ سنغار ملك كركميش وغيره من الملوك وثقوا بقوتهم، وهبوا لمناوأتي، فتوكلت على قوة فركال السامية وعلى الجيوش المظفرة، فحاربتهم وشتت شملهم وبسلت خيولهم، وأمطرت عليهم طوفان نبال وأفعمت البرية من قتلاهم، وذريت جثثهم كالغبار في الصحراء، وأخذت كثيرًا من مركباتهم وخيولهم، وأقمت رابية من رءوس قتلاهم على مدخل المدينة، ودمرت مدينتهم ودفعتها للنهب». كما جاء في نقوش أخرى أنّ هذا الملك قد فتح خلال سنة 846 ق.م، 87 مدينة من بلاد الحثيين وبلغ بلاد كنعان ومع أنّه اصطدم بحلف مكوّن من 12 ملكا ومن بينهم «أخاب» ملك بني إسرائيل، إلّا أنه انتصر في النهاية.

و في عهد أدد نيـراري الثالث (810 – 783 ق.م) حفيد شلمنصر الثالث، حمل على بلاد الحثيين مجددًا وبلغ فينيقيا حتى صيدا وصور وبلاد عمري أي مملكة إسرائيل وبلاد أدوم وفلسطين ودخل دمشق وأسر ملكها مرياه (مرياح). وفي عهد الملك تجلات بلاسر الثالث (-745 727 ق.م)، غزا الآشوريون بلاد كنعان سنة 743 ق.م وأكره ملك الحثيين بيـزيريس على الخضوع إلى سلطته. وفي السنة الموالية، أعدّ حملة أوسع أخضع بها كلّ الممالك واستولى على المدن الفينيقية لكنّه ترك بعض الملوك في مناصبهم فعادوا إلى صراعاتهم واتسع الشرخ فيما بينهم وآل مصيرهم في النهاية إلى أن قاد ضدّهم ملك الآشوريين حملة جديدة في سنة 734 ق.م بلغ بها أطراف فلسطين الجنوبية وأخضع إلى سلطانه 25 ملكًا. وفي عصر سرجون الثاني، كانت الحملة الأخيرة في سنة 721 ق.م التي سقطت فيها بلاد الحثيين كما سقطت مملكة بني إسرائيل.

اليهود من الاحتلال الفارسي إلى الغزو الروماني

بدأ الانتشار الفارسي من بلاد الرافدين حين احتلّ ملكهم قورش الكبير (550 – 529 ق.م) مدينة بابل سنة 539 ق.م ونجح في القضاء على مملكة الكلدانيين ومن هناك امتدّت سيطرة الفرس على بلاد . وقد كانت تلك فرصة جديدة لعودة اليهود إلى الاستقرار بالقدس بعد وساطة من زوجة ملك الفرس أستير التي تنحدر من بني إسرائيل. فاجتمعت فلولهم حتى صار عددهم فيما تذكره المصادر بين 37.000 و42.000 رغم بقاء الأغنياء منهم في بابل. وتولى زعامتهم زربابل شقيق زوجة ملك الفرس، فأعادوا بناء الهيكل في عهد الملك داريوس الأول خلال سنة 515 ق.م واستمرّ خضوعهم للملوك الأخمينيين حتى سنة 332 ق.م تاريخ سقوط الإمبراطورية الأخمينية في عصر الإسكندر الأكبر.

مدينة القدس كما تبدو خلال القرن XVI م

أدّى الاجتياح اليوناني للمجالات التي كانت خاضعة لسلطة ملوك الفرس بما في ذلك أراضي فلسطين ومصر إلى نشأة بلدات أقيمت على غرار المدن الدويلات اليونانية. وبدأ توافد شتات اليهود إليها وانتشارهم على نطاق واسع كما اعترف يهود أورشليم بسلطة الإسكندر وفتحوا له أبواب المدينة فسمح لهم بإقامة شعائرهم وأعفاهم من الضرائب. إلّا أنّه بمجرّد وفاة الإسكندر الأكبر،بدأت الصراعات بين قادته سلوقس الأوّل وبطليموس الأوّل على حكم الإمبراطورية المترامية الأطراف ودارت بينهما معارك طاحنة، تعرّضت خلالها فلسطين كغيرها من بلدان الشرق الأدنى إلى الغزو واستشعر أهلها بأنّ الهلينية القادمة إليهم من الغرب تؤذن بالخراب وتحمل معها العنف والدمار.

انتهت الصراعات بتقسيم الإمبراطورية، فكانت مصر من نصيب بطليموس الأوّل (-323 283 ق.م) الذي استولى على فينيقيا وجوفي سوريا ثم زحف على أورشليم بعدما تمرّد عليه أهلها فاستولى عليها وأسر من أهلها أعداد كبيرة. ومع أنّ العلاقات تحسّنت في عصر بطليموس الثاني (283 – 245 ق.م)، إلّا أنّها ظلّت تتأرجح حسب المصالح طيلة عصر البطالمة وخلال الفترة السلوقية إلى أن أحتل الرومان سوريا وأرض فلسطين ودخلوا القدس خلال سنة 63 ق.م.

حافظ الرومان في البداية على استقرار اليهود وعيّنوا هركانس كبيرًا للكهنة وأبقوا في القدس حامية عسكرية ولتسهيل السيطرة على الوضع قاموا بتقسيم المنطقة إلى 05 أقاليم تضم القدس وأريحا وجازر والجليل الأعلى وشرق الأردن. وظلّت هذه الأقاليم تحت هيمنة الرومان حتى سنة 70 م ولم تخرج عن سيطرتهم سوى القدس عندما احتلّها الفرس بين 40 و37 ق.م. لكنّ الفتن والاضطرابات سرعان ما ظهرت في القدس ضدّ السلطات الرومانية منذ سنة 52 م وكان اليهود خلالها منساقين وراء حلم إحياء دولة يهودية جديدة. وقد انتهت الأحداث باغتنام الرومان للانقسامات التي كانت في صفوف اليهود وقادوا حملة ضدّهم وحاصروا القدس في سنة 70 م طيلة 04 أشهر قبل أن يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة وتدمير الهيكل وإحراق جميع منازل اليهود وأمر قائد الحملة بحرث الأرض ومسح آثار اليهود وحمل ما تبقى من حجارة الهيكل ورميها بعيدًا في الأودية ثمّ رفعت أمام مدخل المدينة لوحة تحمل كتابة مسطورة باللاتينة واليونانية والأرامية جاء فيها: ((حُرّم على الجنس اليهودي الذي نبذه التاريخ، السكن في هذه المدينة أورشليم)).

خاتمة

ما من شكّ في أنّ أرض فلسطين التي اجتمعت فيها الهوية المشتركة لمعظم شعوب الشرق القديم (مصر وبابل وبلاد فارس والشام ...)، وفيها أكرم الله اليهود كما جاء في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾. وما كان منهم إلّا أن نكثوا بالعهود وانقلبوا على أعقابهم فكانت فلسطين مزبلة لتاريخهم.

فُسحة لغويّة مع عبارةٍ عاميّةٍ شائعةٍ 27

فقرة «فسحة لغويّة مع عبارة شعبيّة» هي فقرة تأتي على العبارة من مختلف جوانبها، كأصل استعمالها وعلاقتها باللّغة الفصحى نحوًا وبلاغةً وما تكتسبه من معنى حسب المقام الّذي قيلت فيه. كلّ ذلك يرد بأسلوب طريف ظريف بعيدًا عن التّقعيد النّحويّ والتّنظير البلاغيّ أو الإطالة المُملّة، ليجد القارئُ نفسَه في فسحةٍ لغويّة جديرة بالاهتمام، يتذكّر خلالَها مقولةً شعبيّةً أو عبارةً متداولةً ويغوص أحيانا في بعض المدلولات دون أن يبتعد كثيرا عن شاطئ واقعه بكلّ تفاصيله ورهاناته.

"كثر الهمّ يضحّك"

هشام الهرّابي (كاتب)

عبارة تدور على ألسنة الكثيرين من العوامّ وغيرهم تعبيرًا منهم عن موقفٍ مِنْ شخصٍ مّا أو سُلوكٍ غريب مُفارق أو غيرها من الانطباعات إزاء ما يجدّ من أحداث. ولهذه العبارة ما يُقابلها في اللّسان الفصيح "شَرُّ البَليّة ما يُضحِك" مثلٌ يُضرَبُ للشِّدَّة أو المُصيبة الّتي تأتي في غير حينها أو على غير وجهها، فيتعجّب منها المُبتلَى ويَضحك ساخرًا مِن الدّهر وتقلّباتِه.

ورغم التّواشج الدّلاليّ خاصّة، فإنّنا سنكتفي بتحليل العبارة العامّيّة بدل المثل الفصيح. والسّببُ، ببساطةٍ، هو اشتغالُنا على الأمثلة الشّعبيّة والعبارات العاميّة فحسب.

نحويًّا

"كثر الهمّ يضحّك" هي جملة اسميّة:

ولو جعلناها ذات صياغة فصيحة لكانت على النّحو الآتي: "أكثرُ الهمّ يُضحك" أو "كثرةُ الهمّ تُضحِكُ" والثانية أقرب إلى الصحّة من حيث نطق العاميّ بها.

- كثرة الهمّ: مبتدأ، مركّب إضافيّ

و"تُضحك" خبر، مركّب إسناديّ فعليّ.

والجملةُ مركّبة لاحتوائها على أكثر من نواة إسناديّة.

صرفيًّا

• كُثْرٌ: جمع على وزن "فُعْلٌ" مفردها كثير وهي مشتقّة من فعل ثلاثيّ مجرّد مادّته [ك،ث،ر] وهو صحيح سالم.

• الهمّ: اسم مشتقّ من فعل ثلاثيّ مجرّد. مادّته [ه،م،م] وهو فعل مضاعف.

• يضحك: فعل مزيد ورد في صيغة المضارع المرفوع، وماضيه أَضْحَكَ على وزن أفعل يُفْعِلُ. والمجرّد منه ضَحِكَ يَضْحَك ويدلّ على حالة، ومادّته [ض،ح،ك] وهو فعل صحيح سالم.

لغويًّا

• كَثُرَ: يكثُر كُثْرًا وكَثْرَةً، فهو كَثْرٌ وكثيرٌ وكُثارٌ. وكَثُرَ مَالُه أيْ وفُرَ مالُه وزاد عَدَدُه. والكَثرةُ هي الوفرةُ أي نقيضُ القلّة.

• الهَمّ: هَمَّ، يَهُمّ، هَمًّا وهَمِيمًا، فهو هامٌّ، كأنْ نقول: أمرٌ هامّ أي شاغلٌ البالَ ومُضْجِرٌ ومُقْلِقٌ صَاحِبَهُ وللتّقوية نقول مُهِمّ وكلّها بمعنى الهمّ... والمفعولُ مَهْمُومٌ بمعنى مَشْغُولٌ ومُنْزَعَجٌ، فالهَمُّ هو القلق أو الانشغال بالأمر حدّ الغمّ والحزن والانزعاج...

• يضحك: أضحكَ يُضحِك إضحاكًا، فهو مُضْحِكٌ والمَفعولُ مُضْحَكٌ. وأضحكه بمعنى جعله يَشعُر بالسُّرور والسَّعادة حتّى انبسط وجهُه وانفرجتْ شفتاه وأصدر أصواتًا مُتقطّعةً للتّعبير عن الانشراح والسّرور. وأضحكه أيْ حمله على الضّحك. وأضحك ضدّ أبكى.

لسانيًّا

كما قلنا، دائمًا ما يُخالف المتكلّمُ قواعدَ الإعراب، فنجده، مثلا، في هذه العبارة ينطق "كَثْرَةُ" => كُثْرُ" إذ يحذف تاء التأنيث تخفيفا للنّطق. كما نجده أيضًا يقف على السّكون في لفظة "الْهَمْ" بدل جرّها "الهمِّ" لأنّه يفكّر في النّطق الأيسر. وكذلك تغييره لنطق فعل يُضحك وجعله مضّعفًا مع الانطلاق بساكن وهو أمر غير ممكن في اللّسان الفصيح "يْضَحِّكْ" ولعلّ في نطق الفعل مضعّفًا قصديّةً لغويّةً مَردُّها تقوية الفعل بسبب الأثر الّذي تخلّفه كثرة الهمّ.

بلاغيًّا

عبارة "كثر الهمّ يضحّك" هي جملة خبريّة في ظاهرها غير أنّها مبطّنة بِدَلالاتٍ عميقةٍ تتخطّى كونها للإخبار بشيء ينطوي على مفارقة (كثرة الهمّ تُساوي أو تعادل فعل الضحك) وتثير أيضًا في المتلقّي حالة من الاستهجان والاستنفار ليبدوَ له الأمر بمثابة اللّغز الّذي يدعوه إلى فكّ طلاسمه، إذ كيف لِكثرة الهمّ أن تثير الضّحك!!؟؟ فالهَمُّ، عادةً، ما يدعو إلى الحُزن والغَمّ والبُكاء وما إلى ذلك من ألوان التّعبير عن الأحزان والمحن... فما بالك بكثرتِه. ولكنّ المتكلّم -في هذه العبارة- انزاحَ عن الدّلالة الأصليّة إلى دَلالة أخرى مُحايثة، بل لنقل هي دلالة مُغايرة ومُفارقة في آنٍ، إذ كثرةُ الهمّ صارت تؤدّي إلى الضّحك (ولعلّه الإفراط فيه) كتعبيرٍ ساخِرٍ مِن قِبَلِ المُبتلَى بكثرة الهُموم عمّا يحدث له أو يحدث أمام ناظريْه. وما أشدّ ضحكنا ونحن غارقون في الهُموم حتّى آذاننا.. إنّها الكوميديا السّوداء أو القاتمة، وما أكثر استعمالها على ألسنتنا نحن -التّونسيّين- تعبيرًا منّا عن مواقفنا من الأشياء المفارقة الغريبة الّتي تحدث أمام أعيننا كلّ يوم، مِن تجاوزات وخروقات ومحاباة وظلم وتنكيل وغير ذلك من أفعال دنيئة وسلبيّة... فالتّونسيّ قد اتّخذ هذه العبارةَ سِلاحًا له كلّما دعت الحاجة للتّعبير عمّا يَعْتَوِرُ زَمَانَهُ؛ فمن يَشعُرُ بالإهانة والأحرى به التّوقيرُ والتّبجيل والاحترامُ يُردّد عبارة "كُثر الهمّ يضحّك"، ومن رأى أمرًا فيه مُغالطة تَحدُث أمام ناظريه -مهما كان مضمونُها- فإنّك تجده مضطرًّا لقول عبارة "كثر الهمّ يضحّك" ومن تعرّض إلى مظلمة ولا يجد سبيلا إلى الدّفاع عن نفسه، فإنّه يستعين بعبارة "كثر الهمّ يضحّك"..

وقد تُقال العبارةُ في سياق الذّمّ والازدراء وغيرها من المعاني دون أن يَشعر الآخرُ أنّك تذمّه، خاصّة إذا لم تعبّر بملامحك أو لم تشر بإشارة منك إلى أنّه هو المقصود. نستطيع أن نقول هي عبارةٌ بمثابة السلاح ذي الحدّين..

إنّها إذن عبارة يتكّئ عليها كُلُّ إنسان شهد أو شاهد بأمّ عينيه مفارقة جدّتْ أمامه. وما أعظم المفارقات في البلدان التي يموت أهلُها آلاف المرّات من التّجاوزات وقساوة العيش.. باختصار إنّها الصّرخة ممّا هو عجيبٌ مُفارق في رصانة وهدوء.

قراءة أولى في ديوان «أهازيج الفرح والترح» لمحمد الحمدي

د. عُمَر بن بوجليدة - جامعة تونس

«ما أصعب أن يكون المرء مبصرا في مجتمع أعمى»
خوزيه ساراماغو

«الكتابة ضرب من الصلاة» كافكا.

ولأن للشاعر من القدرة ما به يستطيع أن يجعل الحياة ممكنة، يملأ وجدانك ويفعم حياتك بهجة وفضولا لذيذا، يلغي الشعر احتمال أن تكون الحياة غلطة وهو يحوّل رعب الوجود وعبثيته إلى مظاهر فنية، يستحيل بمقتضاها الألم انتشاء وارتعاشات الهلع التذاذات ناعمة... وإطلالات على المدهش الآسر. وعلى وميض الصور تراءى اندفاعات واحتجاجات وجماليات، فـإذا «الوجود الراقص» من هذه الحيرة يحيا بين الكلام والكتابة، وإنه ما من شأنه أن يكشف قوة المعاني والدلالات، التي ما تفتأ تخاطبنا على الدوام، والتي تفترض انتباه أولئك الذين أوتوا سعة قصوى في التبصّر.

«أهازيج الفرح والترح» نصّ كثيف رشيق وجميل، يعيد لـ «وجود» نسّاء ذاكرته وكلما أوغلت في قراءته وفهمه تصدّعت الحصون وتساءلت : ألم يأن للذين اعتقدوا أن التاريخ اكتمل وصار مقدسا، أن يغادروا روح «البداوة»، المدمّر . إنها لحظات مسكونة بالقلق المرهف، ومرصودة بالأسئلة اللجوجة، ومنذورة للترحال الأبدي في كينونة الذات . في هذا المنجز الضخم، هذا الشأن العظيم، يبرز الشاعر ما كان ينكتب في ركن قصي من قلبه ويسترد ذاكرته وماضيه ويستدعي ما كان لديه من احتياطي القوة والإرادة لاجتراح ما كان مدرجا في خانة المستحيل.

إنه نص ضخم وشيق،يمنحك فرصة التدرّب على التمتّع بملكة النظر المزدوج في القراءة من جهة ما هي ضرب من الصلاة، هجس وتساؤل، لا يفتأ يلح، بين التدفق اللغوي الناعم و الجارح .

فيه يستأنف الشاعر «محمد الحمدي» صوغ «الإنية» من الذات التي تصوغ من كون كونها كينونتها، وتنسف التطابق الكائن بين ثناياها، وتنفتح وجودا ووجدانا على تجربة الاختلاف، يخترق الهوية، فيخلخل تماسكها، حتى لكأنه الكون برمته تهتز أركانه، ليستبين أنه على الأفراد ممارسة حقوقهم من جهة ما هم ذوات إنسانية لا من جهة كونهم كائنات قومية فـ «أنا مواطن عالميّ».

سيلان هادر، مهاد لتكثير المعاني، ومعرض لقراءات شتى، عطف وانعطاف، يعلمنا التفوق على الحقد والكراهية، عبور وتعبير، مرارة وسخرية وخيبة أمل، حسرة في نفسه وألما في قلبه، وكانت ترددات النص الشيق الجميل وإيقاعات الرؤية . وفيض الكلام والإحساس ، بل قل النظم والسرد الأتي من الأقاصي يعيد ترتيب علاقتنا بالوجود، ويرسخ انتماء جذريا للنوع الإنساني.

قصد تحصيل الاستبصار، رأيت حقيقا عليّ

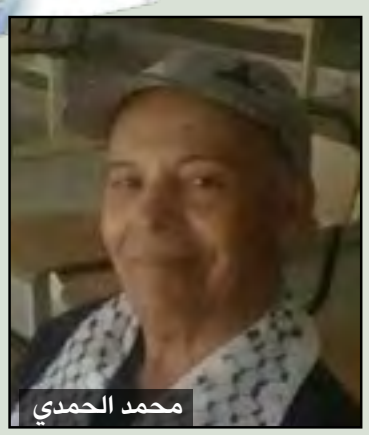
محمد الحمدي

تبيان أنّ حرقة الرّاهن تستفزّ فينا الشاعر والفيلسوف ولايخفى على نبيه ،أنّ إيقاع الثورة الذي كان على جرس «إذا الشعب يوما أراد الحياة ،» قد انزاح بها عمّا هو كلّ خصوصيّ و محلّي إلى ما هو كونيّ، فاتستحالت الأسماء، في هذا العالم و قد أضاع حدوده التقليديّة، رمزا جليلا للنبل الإنساني العابر لحدود الأمم والأديان.

«ديوان أهازيج الفرح والترح» قُدّ من حمم الشعر و انغرس في ثرى السؤال ما يجعله لائطا بالقلوب ،مثيرا للتفكر باعثا على ضرب من القول، شديد ...مسرحا لقوة الكلمات وجلال الحقيقة.

تفجّرْ أيا أيّها المتنبّي ..
وحرِّكْ لنا هذه الأرضْ..
فالأرضُ دوما تدورُ
ولكن لقد ثبّتوها هنا ...

نصّ ينطوي في بعض نفسه على رغبة في الحياة، تحس في مستواه بصدق ما تقرأ، وبعمق وقوة ما لا تفهمه، احتماء من هواجس هذا الواقع الذي يمضي، و الملوث بشيخوختهم المتوجة بالإثم لا بالحكمة، وإرادة الاستيلاء والاستحواذ على الآتي...

لقد نامت وفي عينيها أحلام
..
لقد ودّت حياة كلّها فرح .
ولكن أينها الآن؟
لقد ماتت ولم تفرح ولم تنعم ...

يجدر بنا إذن الانتباه إلى أنه متى ما أغفلنا واقع الإذلال والانسحاق والغبن الذي تعيش عليه مجتمعات لم تشف بعد من تحقير الكائن البشري، والذات الإنسانية، القابع في جراحات متخيل ممجد، منخرط في معارك وصراعات الماضي لزمنا من وقوع المكروه بنا وبلوغ المحذورات إلينا، ما لا ينتظر.

و خلّاني لقد قضّوا ربيع العمر في السّجنِ.
و في المنفى..
و خلّاني لقد ثاروا لأجل الشمس والعزّ..
..
و لكن كلّهم رحلوا ..!؟..

ويهمس النص بتطابق مريع، بين ما يقوله الشاعر، وما انكتب على صفحات خياله، وانطمر في ذاكرته وإحساسه وجسده، وشما لا يمحي، وعلامات غيظ كظيم، وحزن دفين يمزق نياط قلبه .فيداهمك صداع شديد ودوار غري...

ووحدي بقِيتُ برغم النّوازلِ شامخة صامدهْ..

أنا «فاطمهْ «..
و هذا المُسجَّى رفيقي
وما كان يوما أبي

في لحظات وحشية، يصدمك في مستواها الحرمان والطغيان والقاسية قلوبهم وبشاعة الإجرام البشري, جرى تدريجيا استفظاع وإنكار وإخفاء عري الأسئلة والجسد، وانطمس واندرس وتوارى الجميل عن الأعين، فظلوا أسارى مألوف يتلامح، يفيض هذا النص الممتع خارج حدود ذاته، وليستبين سبيل المبدعين .

واقع أنت لا محالة في تأويلية، تفتح الأحداث على فيوضات المعنى، وما الفهم حالتئذ إلا ضرب من ضروب إعادة بناء النص المعطى، من أجل تعقّل اللامعقول، ولتطمئن القلوب، في أزمنة الصراع والانسداد والالتباسات .

أيا بحر ..
حدّثني عن حبّةِ القلبِ..
عن قرّة العينِ
وهو يودّع دنياه كيف انتهى ؟

إنعام النظر في هذه الأسطر الشعرية ، - والتي لو خطب بها الصم الصلاب، لأنبجست مأساتهم وما ينطوي تحت الضلوع عجلى -، إنما يدفعنا إلى استشفاف التدرب المضني على ألا نفارق مربعات النبالة، وأن نكون من أولئك القادرين على التقدير والمحبة، والشوق البديع، وإن انطفأ نور كان يضيء حضورنا . ..وإن كنا نأكل حنظلا لا كحنظل الناس ... فيه مرارة وحموضة...

ترى هل بكى؟
ترى هل شكا..؟
ترى هل تبسّمَ..؟
أوصاح في وجهك.؟
أو زها.

وهاأنتذا تعايش شخوصا يقصر فهمك عن بلوغ نعتها، حيران لا تهتدي لصواب، تصارع في صمت ألما داخليا مضنيا... يدمي القلب، إنه ضياع إنساني مروّع ,إلا أن من يريد الابتهاج حتى السماء، يجب أن يتهيأ لكي يكون حزينا حتى الموت وإنه لباطل ما كانوا يعملون...

أيا- أبتاه-..
لماذا أراك كسيرا..
كطير القطا أرهقته اليبابْ..؟
لماذا أراك حزينا

وتتالى هذه اللوحات / القصائد، آيات من البيان والبلاغة، تعبيرات رهيفة بليغة رقيقة دقيقة، تربطها وشائج قربى بأزمنة سحيقة، بزمان بعيد، حياة لم تكن له ألفة بها ،(= فهو من هؤلاء المتوغلين في المحبة)، تبرز شاعريته وحساسيته اللغوية، يرتل عصف هذا الزمان وتصاريفه. وإلماعاته وإشاراته إلى «سراب» بحنو بالغ، مخافة زمن طويل تال، تحيل على هذا الذي لم يأت .

« سرابْ ..»
أبوك يحبُّ الحياةَ..
و شوقَ الحياة

مهين ومهان وهين إلى آخر المدى، ولكنه يؤمن شديدا أن هذا الهم عن روحه سينزاح، فقد وعذابات، وتعتصره الذكريات وهو من عاين أهوالا وفواجع ولكن قد لمعت «سراب» ولن ينطفئ لمعانها.

وهذه الأرض آلة عمياء تطحن وتسحق النجباء والأذكياء والنبلاء والأتقياء والأولياء والأصفياء والأجلاء فيأوي «محمد الحمدي» إلى الشعر ركنا شديدا يرمق مزايدات «الثقفوت» الذين لهم في مسالكهم وتخريجاتهم وتقليعاتهم، شأن عجيب، يصوغون السطحية والانتهازية والتفاهة، ويبررون المألوف من عوائدهم، ويعيدون إنتاج السائد، بشكل ممسوخ ...

إنه جهد مضن يروم معرفة الذات بواسطة الذات، آت إليك منك. تنقيبا في ثنايا وحنايا وزوايا الذاكرة وأعطافها، بحبّ قاس ومرارة تحفر في الروح أخاديد عميقة، مرارة لا تجد مثيلا لها، إلا في معاناة وجودية ومكابدة حقيقيّة.,يصفها الشاعر فيقول:»كانت علاقتي متوتّرة مع المكان منذ كنت شابّا يافعا و قد عشت حتّى هذه اللّحظة ما قاله الشّاعر الوجوديّ أبو العتاهية : طلبت المستقرّ بكلّ أرض : فلم أر لي بأرض مستقرّا« فهو المنفي في وطنه، وفي لغته، غربة مفروضة ،فهو يشكو ضياعه وتشرده وقسوة الأيام عليه، نار تشتعل في صدره وقلق يحرق أحشاءه، وهو ما ليس يقدر أن ينفك عنه... في إهابه المهيب، يعلن بزوغ الضياء .

أبي لن تهون
سنقتلع الموت من أرضنا .
و لو مزقتنا سياط الكلاب

كلمات كل ما فيها، أبهى من كل ما فيها، رقة وجلالا ... استحداث ينطوي في نفسه على رغبة في الحياة، تطلعا إلى الأقصى، ذلك أن «التدبير الذاتي» هو السبيل الذي يؤسس أساليبا في الحياة وأنماطا في الوجود، جمالية، ومن ثمة تصير للمعرفة قدرة على الخلق والابتكار،إنه عين امتياز الاهتمام الذاتي بالذات، وعلى قدر العين، يكون مدى بحرها.

أيا بحرُ..
إنّي أحبّك رغم الحنينِ..

و رغم الأنينِ..
و رغم الشّجا
الراجح عندي ... أن الكتابة إنما تذكرنا، بعظمة الحياة ومن شأنها أن تعيد لحن الوجود ترتيلا، وهو ما ليس يمكن أن يكون، إلا مع أولئك الذين نحترم و نحب، بوّابة، مسربا، يقوم مني عندك مقام نفسي إذ لا يخفين ما للقراءة التفاعلية من مزايا المنقذ من الصعوبات والارغامات والمعين على هشاشة الوجود الانساني، فمطلوب منا أن نصرف جهدا غير يسير لإعادة تركيب المشهد، وإلا مات الإنسان كمدا، و هو تواشج و تساوق، عميق لابد منه، كلما عجزنا عن أن نصير ما نريد ...
أيا بحرُ..
يا قبرَ طفلي..
سلاما..
سلاما
سلاما إلى لحظة المنتهى
سلام يعلنه الشاعر، ضد هذا الإجرام البشري، والوحشية، هذا الطغيان، والشناعة، والدموية، وصمة عار على جبين المذاهب والأديان و الإنسانية ،سلام، ضد، مشاهد تتكرر، من أولئك الذين انحرفوا عن طريق الله، ويعتقدون إمكانية إنقاذنا من الشر والخطيئة، سلام على الحزانى، والمفقرين والحيارى والمنقهرين، على من سار على درب كل إنسان رفض أن يتملّق الأجلاف والجهلة، ههنا يتجلى أن شاعرنا إنما يسكب «تأملاته» وأحاسيسه سكبا في سلاسة وعفوية ويبث الورق لواعج نفسه وشكواها فيبدع بعذوبة نورانية ... وتلك علاقة بالكتابة باعثة على القلق الأبدي ...
إنّ طرح الأسئلة الجذرية، وافتراع آفاقا للتسآل، والتظنن، لا يقدر عليها إلا «الكبار»، أماراتها بحث الثنايا، وإعادة النظر في المسالك المرتادة، والانهمام في كل مرة بعلاقتنا بأنفسنا القديمة، وذواتنا العميقة ... تمارين قيّمة، جيدة بكل المقاييس ...
و عرفت أنّنا كنا عطاشى..
و عرايا..
و جياعِ..
حُلمنا شربةُ ماءٍ..
إنّنا نعيش الاحساس بالدفء في الأشياء الباردة، نتحمل الألم رغما عن عجزنا وسرعة عطبنا لأننا نحيا البؤس ... إنّ الكتابة بأسلوب جيد تعني التفكير بشكل جيد، الشاعر يحاول أن يستبدل البؤس ويستعيض عن المأساة بتأملات عنوانها التأصيل النظري والعمق الفكري في مقاربة قضايانا، ووحده الإنسان النبيل، من يفيض بالمرارة، نكاية في القدر، - ولا أراك إلا كذلك - فأولئك يحتقرون أفراحه ويستهزئون من بريق تأملاته، وهو الساعي إلى تجاوز أشكال الشر والتقوى القديمة ... ولأننا ندرك أن طرائق التفكير ليست «قدرا»، بات واضحا أن المقاصد والغايات، إنما هي نتاج، رهان كان مطلوبه التنوير، وتلك نصوص تستحق إجلال المعاصرين، واعتراف الأجيال المقبلة بالجميل.
و لكنّ حقدي على حاكم قد طغى..
أنا كلُّ حقدي على حاكم باع ما باع من وطنٍ واشترى
أشاح بوجهه عما في نفسه وأجال بصره فيما حوله فلاحظ أن العباد مسكونون بهلع، مصدومون، يفاجؤون بنسيان لعذاباتهم، يذهبون إلى أمجادهم حاملين معهم موتهم وانقهارهم ،إحساسهم باللاجدوى، إحساسهم برعب من مواجهة الحياة، أطلقوا صرخات احتجاج، من عظامهم،انحدرت، ومن عروقهم وعقولهم، نحتت، وقد أصبح «الواجب» فيهم يستعصي عن الاقتلاع ظلوا يحترمون أنفسهم، هبوا يبحثون عن موطئ قدم في ثنايا التاريخ، يؤسسون للأفضل، يلاحقون عالما ضاع عن نفسه... ورغم «الانجازات» المضيئة، كانت الردود لئيمة، فعاشوا النزف و الرعب المقهور وظل في القلوب النبيلة ما فيها من إباء، وليخسأ الحاقدون أولئك الذين يستضيؤون بأمجاد غيرهم الذين احترفوا الضغينة وإلحاق الأذى بال آخرين...
كنتُ حتّى الموتِ محزونا عليكِ..
غير أنّ الدّمعَ لم يجرِ من الطّرْف الحزينِ..!
من اقتضاءات الانتماء الجذري إلى الذات والشوق البديع إلى القراءات المشبعة بفيوضات معانيها و غزارة حقائقها وتعدد دلالاتها ،قراءات إنسانية، تقبل الناس أجمعين، ولا ترفض منهم أحدا، وهم في ذلك مع ذلك طرائق عددا... فلقت هذه «الأهازيج» ليل الصمت...
جميعُ البحارِ ملوّثةٌ..
و الشِّعابُ ملغّمةٌ..
و الفلاة الحبيبةُ.
ضاجعها الأمْرِكانْ.
فما أحوجنا اليوم ونحن نصارع الدكتاتوريات إلى رؤية إستيتيقية جمالية تجتث الخوف والرعب والألم والحزن من القلوب وتستنبت الحب، غرسا، جنونا مطلقا في أقصى حدود العقلانية وما كان كذلك لا يمارس في الخفاء وتلك لحظات غير مستوفاة مغروزة ومركوزة في ذاكرة الروح، تلك التي جُبِلت على الإيثار والعطاء.تحاول التطهّر من عفن اليقين، «المنطق والعقل»، واستعاض عنهما بالشعر والاستعارة والتشبيه وشهوة النور، واللذة المؤلمة، والفيض الظافر بالانتشاء .
و لكنّهُ العصرُ عادى رسالته الخالدهْ..
«محمّدُ» كان رغيف الجياعِ..
و بُرنُسَهم في ليالي الشّتاءِ..
و كان اليقينِ..
و كان الدّليلَ إذا جنّت اللّيلةُ الحالكهْ..
و وحدنا كنّا..
و كنتَ لنا النّجمة الهاديهْ..
ومن صدور الأطفال مثقوبة بالرصاص تنبعث إيقاعات الرعب في غمرة الألم والرداءة وفي مفاوز السياسة الملغومة بالكيد تحولت دموع ودماء أولائك الذين يقاسون الجوع والحرمان والاضطهاد إلى أرصدة في البنوك وشركات النفط، إلا أنهم ظلوا يقاومون ضد اليأس والمحو والنسيان، إنه التعلق الخرافي بأقاليم الكرامة ... على هذا النحو تنهض - أهازيج - «محمد الحمدي» مضادة تقيم أودها من عيون الثكالى والمنجرحين والحيارى والحزانى.
جُننتُ..
و لكنْ أفقتُ على الصّرخةِ الرّاعبهْ.. :
« محمّدُ « ماتَ..
و زُلزلت الأرضُ زلزالها..
« محمّدُ « ماتَ..
و أخرجت الأرضُ أثقالها..
« محمّدٌ «مات..

ذوات جعلت من الموت بوابة حياة، تحب شعبها حدّ الاستشهاد، نواحها انتفاض مضمّخ بالرفض وتلاوة لفعل الثورة يتأجج صداها انتماء مبادئ و مواقف إنه فعل نوعي يملا خلايا المقاومة بأشعة الحلم والنصر...
ما آل زماننا إلى خط الزوال ولكن إنطفأ نور كان يضيء حضورنا، ولمجاوزة هذا الغياب لابد لنا أن نفكر في ذواتنا العميقة داخل أفق الإنسانية الحديثة فنحن أفراد إلى الموت سائرون في مغامرة على الفهم عصية، إلا أننا نملك الحنين لأننا نعاني الفردية ونحاول تخطي سلطان العقل وقيم المدينة ... والتفاعل «بيننا» و»بينهم» هو ما ليس يمكن انكاره، ولكن تناقضهم الرهيب في شأن التعايش ونزعة الإقصاء يضيق الآفاق، ويدمّر نسيجا نصيا، كان مأمولا...
و ها أنا أموتُ غيرَ آسفٍ..
لأنّني تركتُ بعدي أجمل البلابل و أجملَ الورودْ..
فأنتما سترسمان عالما جديدْ..
ستنحتان عالما لا يعرف التّجويعَ و التّقتيلَ و السّجونَ و القيودْ..!
والحب انفتاح على العجيب والمفارق ومواجهة الكائن لهشاشته ولعزلته . فكلّما أحبّ الإنسان أبدع نوعا لا يتذوقه غيره، لكنّه عتبات على فكرة الموت والعدم مفتوحة، و ما حياة المرء سوى طريقه إلى نفسه منحجبة تحت آزار المطلق و تخطيا لهشاشته و ضعفه ... ارتقاء إلى مصاف الخارق وارتيادا للأقاصي وانخطافا بالمقدّس والحبّ أيضا سيلان أبديّ من المشاعر و رشح للوجود لا ينمو إلاّ بالتضحية - لذلك قلّ المحبّون - إنّه مشروع النخبة... يعتصم به الشعراء و يعتصم به المجانين مجاوزة للتموضع و التشيؤ ونسيان الكينونة و تصحّر الوجود فالحبّ لا متناه مليء بالمتناهيات .ولقد كان السلف يخوضون فيما لا نخوض فيه إلاّ سرّا، أو من وراء حجاب تشوّقا و اشتياقا ولا ارتواء، ولقد نعلم أنهم كانوا في ذلك طرائق عددا... وركعتان في العشق لا يصح وضوءهما إلا بالدم . وهو كذلك ما دام طريق الشخص إلى ذاته، يقطع مع أولئك الذين لا يرتدّون ضدّ أنفسهم، فالتعدد إنما يكون من اجل اختراع أدوات تفكير، توضح المواقف التي لا تنتهي...
أنا ثرتُ على من جوّعوا الفلّاحَ و العامل...
على من حاصروا الثوريَّ و الغاضبْ...
أنسجة ومساحات نصية، يتشعّب القول فيها ... جدلية متينة لا يمكن أن نحصر معناها في أفق واحد ... جدلية خصبة بين النصوص والعقل والواقع ...
و إنْ لم يكن ما أرادوا ..؟
يريدون صمتا جميلَا
و إن لم يكن ما أرادوا..
يريدون قتلا جليلَا..
و إن لم يكن ما أرادوا..
يريدون منّا الرّحيلَا
حنين مرعب، مزلزل، جميل، ارتفع بالنبض، والإيقاع، صدقا، إلى مصاف الحلم، فأنظر كيف ينساب نهر الوجدان، في دفق لا ينقطع، تعابير تقول ما ليس في وسعنا أن ننساه، وما لا نملك إلا أن نهفو إليه، من دون إنابة نفسها، عنا، ثم انظر إلى الذاكرة التي لا تخاتل ولا تراوغ ولا تخادع، وما ينبغي لها، وما تستطيع، تعيد التوازن، المفقود، تنبئ عن التاريخ المأزوم وإملاءاته وإكراهاته
وما يكون من أمره .
و لكنّنا لن نخونَ..
و لن نصمُتَ أو نهونَ..
و نرفُضُ أن نُقتلَ أو نُهاجرْ
سطور تتعمد أن تظل قولا ناقصا، قولا لا يكتمل إلا إذا أضاف القارئ عليه موقفا أو فعلا، فلا تحسبن قراءة ذلك الضرب من «النصوص» بالأمر اليسير أو الهين، بل لا يقدر عليه إلا من كان له قدرة على التأصيل النظري، والعمق الفكري، ليدرك كيف لنا أن نساكن هذا الرعب، أولئك الذين مستهم البأساء والضراء، في إنسانيتهم، في حضورهم داخل العالم، بل قل في علاقتهم بذواتهم وبالآخرين وزلزلوا شديدا ...
أحبّكِ جدّا..
أحبُّكِ شمسا شعاعُها يُبهِرُ كلَّ الخفافيشِ حين تُحدّقُ فيها
ولا يخفى أنّ أسلوب الكتابة يعكس بالضرورة ثراء الشخصية في أبعادها الفكرية والروحيّة، ويؤشر إلى تعدد وتقاطع بل قل تداخل الاهتمامات والمسالك والطموحات ففي «الأهازيج» توكيد صريح على أهمية إعادة قراءة تراثنا، وسيرة النبي، و علاقته بالمرأة والإسلام، والنبض والعشق والوجدان، ومقتضيات حضور الإنسان، وكيفيات التعامل مع هذا الكائن اللطيف الذي لا تحتمل خفته، فجماعات النكوص الاجتماعي غيّبت جمالية النص، وطرافة الواقعات، فكان الانحطاط، وكان ما كان ...
أحبُّكِ سيفا..
أحبُّكِ فصلا لكلِّ الجياعِ رخِيّا، خصيبا
إنّ هذا الذي تذهب إليه تلك الطروحات التي تحاول إقصاء وتهميش كل ما له علاقة بالحب، من شأنه أن يكون علامة دالّة على التحول التاريخي من مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع والذي يمثل في تاريخ الإنسانية أكبر حدث صادم، أمارة التحول من السرور إلى النجاعة إنما هو تحول من الارتواء المباشر إلى الارتواء المؤجّل، من اللذة إلى تقييد اللذة في حزمة من الخطابات القمعية الهائلة والمضمرة باقتصاديات الندرة ومبادئ عقلانية : المردودية، وكل ما عداها ،مطرود محذوف ومحكوم عليه بالصمت، فليس هو غير موجود بل عليه ألا يوجد.
حنانيْكِ « تُونِسُ «يا أروعَ الفاتنات.
عرفتُ أنّ حبّي لكِ أعتى من دياجير اللّيالي الكالحاتِ..
و العواصفْ
وعرفتُ أنّني أهواكِ حتّى الكفرِ أو حتّى النّمالهْ..
فمن المعقول أن يكون دور «المثقف» بعامة الانطلاق بالفكر إلى المدى الأقصى، أن يتفلت من دغمائية التفكير وسلطة الوحي وعنف الخطاب، وأن لا ينخرط في صراعات الماضي ولا أن يعيد إنتاج المألوف والسائد، ذلك أنه مطالب أن يتفاعل مع أنماط الفكر ومذاهب الحياة بما يخدم قضاياه انتصارا للمظلومين والمنقهرين والمنجرحين والحيارى والمفقرين والمستبعدين والمهمشين.
بقدرة فائقة على فعل الخلق و تبصر باشتباك النصوص، إنولدت الفكرة وانبجس الحدث يتلألأ بجماليات المستحيل، حوار بين أهل النظر، حوار «أوداء» و «أخلاء» و «أصفياء» تقصّيا في طلب المعنى إلى ما وراء تخوم الدنيا من السّر المكنون . «و كنت دائما مؤمنا بأنّ المثقّف تعميما و الفنّان تخصيصا يجب عليه أن يظلّ وفيّا لحلمه الجميل المتمثّل في بناء واقع أرقى وأجما مما هو سائد «.
فهل من من قول يعلو في قوله على هذا القول ؟
لا ريب أنّ من يصغي لهمس النص ومن يتفرس فيما تنطوي عليه من أحاسيس يزداد يقينا من أنّ الناس لا يعرفون من المبدعين و الصادقين سوى نهاياتهم ... أن الثوريين لا يتعبون، ينتمون دائما إلى ذواتهم بجذرية رهيبة، يمتلكون فائضا من السموّ والنبل والمحبة واقتضاءاتها، يسكنكهم شوق وظن بديع، وتلك أمارات «الشرفاء الطاهرين»، إيمانا بالتنزيل، وخوفا من الجليل، والرضى بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل. ويبقى حقل الممكن مفتوحا، انزياحا من المتخيل الى الواقع، و يا ليت قومي من عمق إبداعاتهم يعلمون ولو قليلا ...

---

1) محمد الحمدي، أهازيج الفرح والترح، الطبعة الأولى، 2016 ، الناشر، رسلان للطباعة والنشر، سوسة – تونس .

قراءة في رواية «تفصيل ثانوي» لعدنية شبلي... حياة أخرى، موت آخر

فتحية دبش

تصدير:

فجأة يغمرني ما يشبه الحريق في يدي ثم صدري يليه أصوات إطلاق نار بعيدة»
رواية تفصيل ثانوي،
عدنية شبلي، ص 114

في رواية قصيرة تلج عدنية شبلي عوالم الأدب المقاوم وتقدمه للقارئ في ثوب سردي متعدد الأصوات والزوايا فيبدو النص على هندسة لا تغفل الحساسيات الروائية الحداثية.

تنبني الرواية على صوتين إضافة إلى صوت مضمر هو صوت القارئ الذي تدعوه الكاتبة إلى ملء فراغات النص وتجميع خيوط السرد من أجل تقديم هذا التفصيل الثانوي الذي يعكس موقفا شديد اللهجة في التعاطي مع الواقع الفلسطيني وتحويله إلى التفصيل المركزي.

في الجزء الأول من الرواية تعتمد الكاتبة صوت الراوي العليم الذي يتضح أنه صوت صحفي اسرائيلي. في هذا الجزء هناك هيمنة للسردية الاسرائيلية من خلال متابعة العملية الاستقصائية التي كان الجنود يقومون بها من أجل « بناء هذا الشق من دولتنا اليافعة» كما كان يقول الجندي في الصفحة 36.

تم بناء هذه السردية على فكرة استرجاع أرض الأجداد كما يرد في الصفحة 37: «هذا المكان الذي يبدو بورا الآن لا شيء فيه عدا المتسللين وبعض البدو والبعير قد مر به أجدادنا منذ آلاف السنين». هذا الهدف الأسمى كان يعيد الجنود إلى مهامهم ويمنعهم من التفكير بكل عذابات الذات التي تمثلت في جملة من المصاعب منها المادية كمواجهة صحراء بكل ما تمثله من معطى يقوم على طرفي نقيض مع ما اعتاده الجنود القادمون من جغرافية الترف وسهولة العيش. ومنها النفسي، ففيها خبر الجنود هلوسات وأصوات ولدغات تنبئ عن واقع نفسي متدهور يعي حجم المفارقة. غير أن كل تلك المصاعب تمثل بالنسبة لهم تحديات يبررها القول في ص37 :» من ينوي قتلك عاجله بالقتل» طالما أن الواجب كما جاء في ص37 هو : « طردهم نهائيا.»

هذه السردية تنتهي بالوصول إلى مجمع البدو الذين قتلهم الجنود فردا فردا ولم يتبق منهم سوى فتاة وكلب قاموا باقتيادهما نحو

عدنية شلبي

المعسكر. أما الكلب فسوف يبقى كما في كل سرديات الحيوان عنوانا للوفاء الذي جسده ببقائه الدائم غير بعيد عن مكان الفتاة من جهة وعوائه المستمر كلما شعر أن صاحبته في خطر.

أما الفتاة فهي الآخر النجس الذي لا يمكن للحضارة [الصابون] أن تجهز على رائحته النتنة مما تسبب في استغناء الجنود عنها. فبعد اغتصابها من طرف الجميع يقررون رميها برصاصة أولى ثم أخريات متتاليات ودفنها في ميتة مادية وأما الميتة المعنوية فسوف تكشف عنها ساردة النصف الثاني من الرواية بقول حارس المتحف في ص94 « إن العرب حين يشكون في سلوك فتاة يقتلونها ثم يرمون بجثتها في بئر» وبذلك تتم السردية الأولى مهمتها في تبرئة الجنود وتجريم الفتاة وأهلها.

واما في الجزء الثاني من الرواية فإن فتاة فلسطينية من رام الله تقدمها الكاتبة دون اسم من أجل التأكيد على أن كل ما يخص فلسطين والفلسطيني بصفة عامة والنساء بصفة خاصة لم يعد يرقى في أنظار العالم إلى المركزية، بل صار مجرد تفصيل ثانوي تماما كما تفصيل توافق يوم ميلاد البطلة الساردة بيوم قتل الفتاة البدوية مع فارق ربع قرن. فلا تلك البدوية كانت تحمل اسما ولا هذه الفتاة تحمل اسما ولا مدة الربع قرن من الزمن غيرت من مصائر فلسطين والفلسطينيات. ذلك أن قتلهن لم يتوقف فما ولدت الثانية بعد ربع قرن وفي نفس تاريخ قتل الأولى منذ 1949 إلا امتداد لتواريخ الميلاد والموت الذي تتعرض له فلسطين الأرض، ذلك أن الرصاص الذي قتل الأولى قتل الثانية أيضا ولعل فتاة أخرى ولدت في نفس تاريخ قتل الثانية.

في هذا الجزء تقدم عدنية سردية فلسطين وتقوم تماما على نقيض السردية الأولى حيث أن إرث الأجداد ضارب في القدم وقد برهنت على ذلك باعتمادها خارطة أولى لفلسطين قبل ان تأتي الثانية وتسميها الخارطة الاسرائيلية في رحلة البحث عن قصة الفتاة البدوية التي أضحت قصة موتها مجرد تفصيل ثانوي لا يرقى حتى ليكون خبرا هامشيا في الصحف.

غير أن الكاتبة على لسان ساردتها البطلة ما تفتأ تشير إلى أن الحقيقة تكمن في التفاصيل الثانوية، بل هي :» الدليل القاطع عليها» ص 63.

تتسلل الساردة إلى الخارطة الاسرائيلية وتقدم جملة من المعطيات التي تبرهن على المحو الذي طال فلسطين والهوية الفلسطينية. فهي لتتحول من مدينة إلى مدينة على أرض أجدادها تحتاج إلى استعارة هوية اسرائيلية وسيارة اسرائيلية ولغة انجليزية وتضطر إلى استخدام خارطتين واحدة أصلية تعرفها وأخرى على أنقاض الأولى يغرفونها هم و يبدو فبها كل شيء غريبا كما تصفه الكاتبة في الصفحة 77، نظرا للمحو الذي طال المدن والأحياء والطرقات إلى درجة أنه « لم يبق هناك الكثير ممن هم على قيد الحياة قادرين على تذكر التفاصيل» ص60.

تبني البطلة الساردة سرديتها على الدقة والتفاصيل فتصف الجدار العازل وتمدده بين المناطق وتصف المدن الجديدة التي تغيرت أسماؤها وخريطتها بل وتؤكد أن الأمر يصل إلى حد محو الوجه الفلسطيني فحتى الجنود على البوابة « بالكاد ينظرون إلى الشخص لشدة ازدرائهم له» ص67.

هكذا تنتشل عدنية شبلي فلسطين والقضية الفلسطينية من تفصيل ثانوي إلى قضية مركزية بعدما خبت في السرديات العربية في السنوات الأخيرة.

شعرية صوت المربي في مجموعة «من... إلى...» لمعمّر الماجري

كوثر بلعابي

من خلال ما استمعت إليه من قصائد القاها الشاعر معمّر الماجري في الأمسيات الأدبية التي حضرناها معا وكذلك من خلال ما قرأت من كتاباته على صفحته الفايسبوكية وما تضمنت مجموعته « من... إلى...» التي قرأتها برويّة منذ أهداني إياها مشكورا شدّني واشِج خفيّ جليّ بين كتاباته على تنوعها وتغير مراحلها وظروف كتابتها وهذا الواشج نفسه هو الذي دفع الأستاذ معمر إلى البحث عن تجلّيات التّناصّ بين كتاباته وكتاباتي لما كتب عن كوثر الصّباح..

في المستهل

هذا الواشج او الخيط الواصل هو أنّ كلينا يكتب بصوت المربّي الذي لازمنا حتى غدا ركنا من أركان شخصيّتنا يلازمنا لحظة الكتابة فتتسرّب اصداؤه في كتابات نا فيدفعنا الي الحرص دوما علي المساهمة مدى الحياة بما أمكن في بناء نشء بشخصية متوازنة وعلى درجة معقولة من نضج الوعي ورقيّ السلوك..

فدُفِعتُ من هنا إلى إيثار هذا المدخل في تناول مجموعة : « من... إلى « الشعرية رغم صعوبة الفصل بين الشعري والتّربوي في أدبية الأثر بما أنه خطاب لغويّ مخصوص وما في ذلك من مطبّات.. ورغم ما قد يؤدي اليه من التّقصير في إبراز عدة جوانب جمالية أخرى عسى بعض الأصدقاء يتكفّل بها في قراءات قادمة للإصدار ..

يتجلى صوت المربّي متداخلا مع صوت الشاعر في هذه المجموعة الشعرية من خلال كلّ محتوياتها قلبا وقالبا لذلك حاولت أن اتناول أبرز تفاصيلها بسمتٍ مرحلي منطلقه العتبات وطريقة تنظيم الكتاب ومنتهاه الأساليب ذات الصبغة البيداغوجية التي أنشأت القصائد ومحتوياتها القيمية..

في العتبات

_ ورد العنوان جملة اسمية مبنيّة على تقنية التقدير او الاضمار التي تفتح المجال على تعدد الأبعاد والتأويلات إلا أنها حافظت في ذات الآن على سياق الخطاب الرّسالة وهذا يوكّده خاصة تعمّد وضع اسم الشاعر على الغلاف بين» مِن «و «إلى» (من معمر الماجري الي تلاميذه.. قرائه.. مُتابعيه. ... او حتى الاجيال اللاحقة...)

أليس التعليم رسالة؟؟ ألم يُنزّل المعلّم منزلة الرسول حتى في الشّعر؟؟ اليس المربى اليوم في حاجة إلى استعادة هذه المنزلة التي بدأ يشوب الصّدأ وهجها؟ ؟ والأشمل من ذلك والأجمل.. أليس الشعر في أصله الأول رسالة؟؟

مع الملاحظ ان البناء للعنوان على تقنية التقدير له وجهات أخرى نجلوها لاحقا من طريقة تبويب قصائد الكتاب..

_ يَبِين صوتُ المربى ايضا في ظهر الغلاف من خلال

معمر الماجري

تركيز الشاعر في ملخّص سيرته على انتمائه الي عائلته وبلده ومهنته وخلفيته الفكرية التي سُجن من أجلها بنفس الدرجة مع هويته الأدبية ممّا يفصح عن تجذّر قيمة الوفاء إلى هذا الكل في ذاته وهي القيمة التربوية الأساسيّة التي دارت حولها رسالته الأدبية في هذا المنجز..

أمّا الومضة الشعرية التي صاحبت صورة الشاعر والتعريف الموجز به (وهي ايضا وُضِعت كتصدير للمجموعة) فقد اختزلت في تركيب تلازميّ وصياغة حكميّة تعليمية القيمة الثانية التي دارت حولها القصائد والمتمثّلة في أنّ الحياة المثلى هي سعي دؤوب وحركة مستمرّة.. أليست الدعوة إلى الحركة هي دعوة الى الفعل والإنجاز وهي من أؤكد الأهداف المنشودة للنهوض بالحضارة وبالتالي من أؤكد التعلّمات في مسيرة المربّي ومن أؤكد الرسائل في خطاب الأديب؟؟

_ الدّقّة والتّنظيم والتبويب هي الأسس المنهجية في عمل المربى وهو مطالب سواء معرفيا أو بيداغوجيّا بنقلها إلى تلاميذه وصدى ذلك جليّ في بناء شاعرنا لمحتويات الكتاب :

1 من ناحية التقديم (الذي كرّس في الاهداء منتهى الوفاء للأهل الراحلين منهم رحمهم الله والاحياء حفظهم الله خاصة يسر وتيسير.... والذي كرّس في التعريف بالكتاب ضمن مراحل التجربة الشعرية للشاعر حرصه على الدّقة والتنظيم وهو يوجه القارئ على طريقة المدرّس الي نهجه ومبرّراته في ترتيب القصائد وتبويبها.... والذي كرّس في التّصدير نظرته القيمية الي الحياة وربيبتها الكتابة باعتبار كلّ منهما تأبى الرتابة وأسن المياه الراكدة..)

2 من ناحية الجوهر الذي وزّعه إلى فضاءات او «أفضية» كما سمّاها وفق تنوّع رؤى القصائد ومضامينها وليس وفق شكلها او زمكان كتابتها (حسب قراءتي). جاعلا لكلّ فضاء عنوانا متماهيا في تركيبه مع عنوان الكتاب إلا أنه مختلف في منطلقه (الشاعر) ومنتهاه (المتقبل عامة) ليخرج بالخطاب الأدبي الي ثنائيات أخرى مداها ووجهتها يتداخل فيهما الفكري مع الوجداني (فضاء الشعر : من القول الشعري إلي الوعي بالشعر أو فضاء المعنى : من ضيق الحس إلى سعة المعنى) والذاتي مع الموضوعي وحتى السياسي (فضاء الذات والوطن: من الأنا إلى الوطن) وأكثر ما استوقفني هنا هو إيثار شاعرنا للفضاء التربوي وجعله في قُدُم الكتاب بعنوان : من المهد إلى اللّحد معلنا انه يظلّ وفيّا لذاته كمربّ حتى وهو متقاعد وشاعر له مكانته..

3. من ناحية الخاتمة الشعرية الموجزة والمجملة في طابعها التأمليّ الذي يأخذنا إلى زهديات « أبي العتاهية «المنسجم مع ومضة التصدير الي حد بعيد في التسليم بحتمية الرحيل وبحماقة الانشغال بالمادّة الزائلة التي تجرّ المرء الي الخطايا والحال انّ الكتابة الراقية والعملَ الصّالحَ والإيجابيّ المترتّبَ عنها أجلّ وأبقى..

هكذا أقام الشّاعر كتابه على النظام الثلاثي لمنهجية الكتابة التي ندرّسها للتلاميذ

4 من ناحية دقة وضع الفهرس.. في الحقيقة اول مرة يقع بين يدي إصدار شعري يحدّد وزن القصيدة او تصنيفها ضمن قصيد النثر في الفهرس مما حقق فائدة معرفية تيسّر على القرّاء البحث في خصائص الكتاب سواء كانوا من التّلاميذ او حتى النقاد (دقة بيداغوجية)

مع الملاحظ ان الكتاب يضمّ بين دفّتيه سبعين نصّا متوسطا وقصيرا اغلبها من الشعر العمودي الموقّع غالبًا على بحور المتقارب والكامل والرجز.. منها 18 نصّا من الشعر الحرّ و5 نصوص من الشعر النثري (بعضها في أدب الومضة).

في بيت القصيد

شخصية المُربّي تُرافق شخصية الشاعر ليس فقط في هذه الهيكلة المحكمة منهجيا للكتاب؛ إنما نرى هذا التّرافق بيّنًا في النّصوص قلبا وقالبا والتي نلاحظ انّ شاعرنا رغم انحيازه الي القصيد العمودي إيمانا منه بأن أصالةَ هذا النوع من الكتابة الشعرية وهَيبتَه صالحةٌ لكلّ زمان فإنّه لا يمنع نفسه عن تجريب سائر أنماط الكتابة الأخرى إيمانا منه بأن جودة الكتابة هي المحدّد الأول والأساسي لقيمتها الأدبية..

_و قد كانت نصوصه على تنوعها مبنية على نظام تعبيريّ بعيد عن التّعجيب والإيغال في الرّمز محافِظة على حدّ أدنى من مواربة المعنى لا سيما وهو

من شعراء المعنى فانعقدت صوره الشعرية أساسا على التّشكيل البلاغي الذي لم يخرج في مجمله عن برنامج التدريس في الثانوي من حسن التصرّف في المرواحة بين الانشاء والخبر التي أضفت ذاك الطابع الخطابي التوجيهي الواسم للمدرس نجد في قصيدة : «حيٍّ المعلم» ص 13 قوله مخاطبا المعلّم:

(حيّ المعلّم وفّه التبجيل
كان المعلّم ما يزال رسولا...
سنظلّ نقطف من فسيح جنانك
وردا تلوّن كالحِسان خجولا
حتّى متى يا قوم ننصب فاعلا
ونظلّ نرفع في الورى مفعولا)

فتتجلّى شخصية المربى حتى في ابجديات النحو العربي المستعملة في التركيب.. كما اعتمدت صروف المناجاة في الشكوى التي أضفت نزعة مأساوية مؤثرة على قصائده في رثاء أحبّته الراحلين من العائلة والأصدقاء إذ كتب في رثاء زوجته مفيدة رحمها الله ص 56 :

(كانت بقربي في الصّروف جميعها
واليوم ألقت في يدي أحمالها
هذي المفيدة غادرت في برهة
لكن قلبا ماسك أحبالها
يا ربّ عونا إن قلبي ضائق
مالي فرار مِن قضائك ما لها)

وهنا لا يفوتنا ان نثني على نزاهة الشاعر وموضوعيته وهو يدرج مراثى أصدقائه في أخته وزوجته والتي لا تقلّ جودة وعمقا عن مراثيه معبرة عن مشاركة نبيلة ووفية للأصدقاء أحزان بعضهم بعضا إحساسا وموقفا وكتابة..

وحتى الشاعر مظفّر النّوّاب أبى شاعرنا إلا أن يخصّه بمرثية دافقة الإحساس بما تضمّنته من المراوحة بين الإنشاء والخبر وجودة انتقاء للمعجم في قصيدة «لن أقول وداعا مظفّر» ص112 :

((وصوتك ذاك الحزين الشّجيّ
تمدّد فينا قضاء مقدّر
ستذكر أمّ المدائن يوما
نزفت دماءً وسَعرك أغبر
ويوما فررت من الأغبياء
ويوما وقعت بذئب تنمّر...))

هي ذات صدقيّة حماسته الغاضبة في قصيدة يا أيها الوطن ص 91 :

(يا آل أوس كفانا من حروبكم
إنّ الحروب تصيب الشعب بالعلل
فلا المعرّي كفى ولا ابن قارحه
ما فاز محتمِل من ظهر محتمَل
والنار باسطة الكفين في شغف
كيف الخلاص ترى يا صاحب الملل؟؟)

وهنا نتبين تضمين الموروث الأدبي والفكريّ في إثراء المراوحة الحماسية بين الخبر والإنشاء. علما وأنّ الخطاب الانشائي والخبري كليهما وبنزعتيهما الحماسية او المأساوية منثور هنا وهناك في مقاطع أو ابيات من كل القصائد حسب مقتضى السياق مثلا في قوله في قصيدة «راكب الريح» ص 128 وهو يُحذّر من حوادث الطريق :

(يا راكب الريح قد بتنا على سفر
في كلّ ثانية يزداد مفقود
يا راكب الريح هل في العقل من أمل
فالنّفس ضائقة والأفق)

ثمّ أن الشّاعر معمر الماجري أجاد استثمار مختلف الأساليب البلاغية خاصة منها ذات الصلة بما ندرّسه في الثانوي ضمن برنامج العربية في إحاطة المعنى بهالة من المراوغة المقصود عبر الإيماء الخفيف أو الخيال الشفيف أو الغلوّ اللطيف.. وأكثر قصائد المجموعة تجسيدا لذلك تلك التي ضمّنها صوفيّة عالية تستوجب أناقة عالية في انتقاء العبارة وتشكيلها منها قصيدة «صفيّ الحِجا» ص 141 التي زخرت بالمعجم القرآني

(فنحن الذين هحرنا الكتاب
ونحن الذين خذلنا الرسول.....
و نبحث في الأرض عن معجزات
ونحن النّيام نوما ثقيلا
فلا الحقّ قام بكلّ الديار.
ولا العلم أضحى منالا جليلا)

وفي ظل تحاشي التعجيب و»فانتازيا « الإدهاش حتى في قصائد النثرية آثر شاعرنا التعويل على أناقة اللفظة الى جانب أناقة التركيب والأسلوب فاختار لقصائده وبعنايةٍ فائقة معجما في غاية العراقة والفصاحة حينا دون إلغاز أو حوشيّ.. وفي غاية البساطة حينا آخر دون ابتذال أو سطحيّة حقّقت جودة الخطاب الشعريّ بقدر ما زوّدت المتقبل بمعجم منوّع متعدّد الاستعمالات يضيف إلى غَنائه اللغوي وله في ذلك مثلا قصيدة «لا ينفع الصمت» ص 94 :

(الحُرّ يقسو إذا مُسّت كرامتُه
والعبد يزهو مع الخفّاش والورل
ما أنفق المرء شيئا من كرامته
إلّا وكان عديم الشّأن في الملل)

وقوله ايضا في قصيدة «الورود والتحدّي» ص 118

(جرّدونا من عناد من خصام ليس يُجدي
من قتال الإنس يوما من حروب دون عدّ
إنّنا في اللون شتّى إنّنا جمعٌ كفرد)

هكذا كان الشاعر ملتبسا بالمربِي وهو يصطفي الألفاظ ويرصّف الجمل ويطرّز الأساليب صورا شعرية مثيرة ومؤثّرة خاصّة في هذه الحكم ذات المقاصد القيميّة والحياتيّة المطلقة والشاملة التي تضعنا أمام مربّ محنّك يجيد مخاطبة العقل بخلاصة التجارب الحياتيّة كما يجيد صياغة الحكمة صياغات متنوّعة على غرار أدباء الحجاج وبشاعرية ممتازة.. فنجد في قصائده الحكمة ذات الصياغة التقريرية القائمة على يقينية الإثبات مثل قوله في ص64

(وإن الحياة لدار العبور وإنّ الممات كماء بكأس
سيشرب منه العليل المُعنّى
ويشرب منه سليم الجواسّ)

والحكمة المبنية على الإثبات بالخلف مثل قوله ص 104

(ما كلّ من حمل السّلاح مجاهِد
ما كلّ من قرأ الكتاب بماجد)

والحكمة ذات الصياغة التلازمية مثل ما ورد ص 95:

(الحرّ يقسو إذا مُسّت كرامته
والعبد يزهو مع الخفّاش والورل
لا يجرمنّك شأن النّاس إن سقطوا
يبغونها عوجا قُدّت من الزّلل)

فضلا عن الحكم التي صاغها الإنشاء استفهاما ونهيا وأمرا قصيدة يا راكب الرّيح ص 127 أو قوله ص 131:

(أسرج خيولك ما حييتَ
فالعمر بعض من ثوانٍ)

وأكثر الحكم نفاذا وقوّة حجاج تلك التي جاءت في صيغة مَثَليّة مثل قصيدة «قطتي والحداثة» ص 149 التي جاءت على طريقة الخبر المجسّد للحكمة تجسيدا حكائيا رمزيا على غرار أمثال « بن المفقع في كليلة ودمنة» مؤكّدة ما ذكرته سلفا من أهمية الحكمة بمختلف صياغاتها في تكريس البعد التعليمي وخاصّة التربوي الموجّه للأنظار إلى جملة من القيم السلوكية أو المعرفيّة أو الفكريّة شفّت عنها الرسائل المقاصدية التي ادّتها مختلف الأدوات والاستخدامات اللغوية المذكورة سلفا..

هذا وقد تبيّنا حرص الشاعر على توثيق فصائده من حيث الزمان والمكان وخاصة من حيث مناسبات القول الشعري التي ارتبطت بأحداث الواقع فبدا شاعرا ملتزما بواقعه مواكبا لوقائعه الذاتية (من خلال رثائه لذويه وبعض أصدقاءه وحديثة عن المعلم والإحالة على شرف المهنة...).

والموضوعية (من خلال توثيقه شعرا العديد الأحداث الوطنية والعالمية شعرا مثل استشهاد محمد الزواري وولدَيْ زعرة السّلطاني وكذلك حصار غزّة في 2014 وفلسطين والأسري وإنفجار بيروت والجزائر وعوة رفات شهدائها والحرب في بورما....) فأضفى على الكتابة طابعا تسجيليّا كان حكرا على مذهب من مذاهب كتابة الرّواية استطاع شاعرنا اني يفتح باب اسثماره في الشعر ليكون بدوره وسيلة بيداغوجية في التذكير بالمعلومة شعريّا..

ويتداخل التربويّة المعرفي ايضا في هذه العناية من قِبل شاعرنا بإنسانية الجانب الروحي والعقائدي من خلال سلك القصائد المحيطة بصلة المسلم بالله وبالقرآن معبّرة عن وفاء عميق لهويتنا العقائديّة فنجد في قصيدة كتاب الله ص 135 :

(ولي في آيه أمل تنير الدّرب آياه
حروفه نور أعيننا وأجر إن قرأناه...)

... وغير ذلك من الوقائع التي أحاطها بنظرته الي الشعر وماهيته خاصة على تلك النبرة الصُوفطة التى اقفلت عليها المجموعة.. كل ذلك مداره اساسا قيمتان : الوفاء بكل أبعاده للذات وللمبدإ وللانتماء الاجتماعي والفكري والوطني وفاءً يحقق توازننا النفسي والوجداني والذهني بشكل يفضي إلى القيمة الثانية المتمثّلة في اكتساب مقوّمات الحياة المثلى التي تنبني عليها شخصية الإنسان المتوازن القادر على تحمّل مسؤولية نفسه وغيره بنجاح والفاعل ايجابيا في ذاته وفي مجتمعه وتلك هي المعاني التربوية الموكل إلى المدرّس نقلها للناشئة.. وهي نفسها معاني الرسالة الأدبية الموكلة إلى معشر الشعراء..

في المنتهى

استطاع الشاعر معمر الماجري عن قصد او عن غير قصد ان يحقّق التوازن في ذاته بين الشاعر والمربّي بنفس القدر الذي حقّقته قصائده من توازن بين الرسالة التربوية والرسالة الأدبية الملتزمة بقضايا واقعنا المأزوم حتى أنّ أكثر القصائد جلاء لهذا التوازن بناها شاعرنا على بلاغة الإيجاز : في قصيدة : «عيون الشّعر» ص 30 :

(وأصل الجرح يحمله الفدائي
وخير الشعر ما كتب الشهيد
بخير الحبر قد رسمت يداه
شعار النّصر مرفوعا يميد)

في هذين البيتين وبمنتهى البلاغة صورة للحياة المثلى للانسان الوفي لقضيّته يكتبها الشاعر الوفيّ لهويّته كتب شاعرنا تفاصيلها وتجلّياتها متوسّلا بخطاب لم تغلب على شعريته طرق البيان والوعظ والحماسة والتأمّل فجاء رسالة أدبية منحرطة في تيّار الالتزام بـ»كتابة الواقع بالقلم الحلم وكتابة الحلم بقلم الواقع» على حدّ قول استاذنا « مصطفى الكيلاني» .. فهل تفصح مداخل أخرى غير هذا التواشج بين الشعري والتربوي عن جوانب أخرى من جماليات الكتابة الشعرية في : «من... إلى» لمعمّر الماجري ؟

قراءة في رواية «عقول نابغة» للكاتب فاخر بن سعيد

د. نجلاء بن عمّار

عقول نابغة قصّة نصنّفها ضمن أدب الطّفل. وهذا الأدب لا يكتبه الأطفال، بل يكتبه الكبار للصّغار، مؤكّدين على الابتعاد على الغموض والتّعقيد المفرط. لأنّ كاتبه يتّجه إلى مرحلة عمريّة مخصوصة. لذا على الكتاب الموجّه للطّفل أن يكون ذا مواصفات تتطابق مع حاجات الطّفل النّفسيّة، وتُناسب مدركاته. فإلى أيّ مدى وفّق كاتب «عقول نابغة» في الاستجابة إلى هذه المواصفات وما هي الأساليب التي عمد إليه حتّى يكون من الطّفل أقرب؟

عقول نابغة

نقف بدءا عند عتبة الكتاب ومقصدنا العنوان. «عقول نابغة»مركّب نعتي كان النّعت فيه من مادّة ن/ب/غ ويُقال نبغ الرّجل يَنْبَغُ ويَنْبُغُ ويَنْبِغُ نَبْغاً لم يكن في إرْثِه الشِّعْرُ ثم قال وأَجادَ. ومنه سُمّي النَّوابِغ من الشّعراء. فقولهم نَبَغَ منه شاعِرٌ خَرَجَ ونَبَغَ الشيءُ ظهر. والنّابغ عظيم الشّأن، ، وهو المبرّز في علمه وفنّه. ويطالعنا هنا قول المؤلّف»سأكُونُ يومًا أنا، هكذا وعدني عقْلِي الصَّغِير حِينَهَا «. بمعنى أنّه سينبغ ويظهر.

أمّا العقول فمفردها عقل. والعقل هو ما يتميّز به الإنسان من سائر الحيوان. وعقل الشّيء يعقله عقلا، فهمه. ولذلك فالعقل ما يكون به التّفكير والاستدلال. وما يميّز به الحسن والقبيح، والخير والشرّ، والحقّ من الباطل. فمع عقول نابغة تتقاطع الدّلالات لنكون أمام ذاك التّفكير والتّمييز يعقبه التّميّز، وذاك الظّهور والبروز في طريق العظمة.

نصنّف هذا الأثر تصنيفا يحيلنا على جنس مخصوص من الكتابة، ومقصدنا القصّة الطفليّة إن جاز التّعبير أو القصّة الموجّهة للطّفل. الأحداث التي نقف عندها هي أحداث مستوحاة من الواقع ومن الخيال وفي اجتماع العنصريْن تجاوز للسّائد. وعادة ما تضفي هذه الأحداث إلى عبرٍ وقيم إنسانيّة ثابتة. ولذلك سيكون آخر ما سوف نقف عنده في تقديمنا لقصّة «لعقول نابغة»هو تلك الرّسائل التي يمكن أن يكون الكاتب قد بعثها أو قصد إرسالها إلى الطّفل. ومن هنا تتحوّل الكتابة إلى إحدى الوسائل التربويّة التي ترشد الطّفل إلى السبل السليمة ليتابع حلمه، يحلم ولكنّه يفكّر في البناء. يقف مستشرفا مستقبلا من

فاخر بن سعيد

خلال سلوك يكون إلى الإنسان والإنسانيّة أقرب، فيكون الرّقيّ أقرب الصّفات إليه.

بطل القصّة فارس. ومعنى فارس، الماهر في ركوب الخيل، والفارس، الأسد، والفارس، الحاذق بما يمارس من أشياء. فهل يمكن أن نسلّم أن الكاتب اعتمد دلالات الكلمة في انتقائه اسم الشّخصيّة الرئيسيّة التي ستكون محور الأحداث والخيط الرّابط بين الشّخصيّات؟

تعيش هذه الشّخصيّة مراحل مختلفة، تجارب ونجاحات، في الواقع كما في الحلم. تنطلق بفعل التحدّي وبعزيمة من شاء أن يتجاوز كلّ ما يمكن أن يقف حاجبا لحلمه. مانعا من تحقيقه. وهنا تبرز الفكرة الرّئيسّة التي تعتبر من أهمّ مكوّنات القصّة الموجّهة للطّفل. موضوعها كان مستمدّا من عالمه.

تحضر أيضا شخصيّات عديدة، اختلفت أدوارها وتأثيرها في الشّخصيّة الرّئيسة. أهمّها شخصيةّ الأخت، وهي أكثر الشّخصيّات أهمّية لأنّ خطابها كان خطابا محفّزا للطّفل فارس الذي ارتبطت به صفات الفارس بدءا من اسمه لتتحقّق بعد ذلك من خلال ما اتّصف به من عزيمة وإرادة تحقّق الرؤيا وتبني الأحلام على الأرض. لتكون شخصيّة الأمّ ذاك النّور الذي يضيء نفس فارس ويُرافقه، فيشرق كلّ ما فيه، ومن هنا يُرسم أمامه طريق ، هو في أصله طريق الآلام، لكنّ النجاحات تكلّله، الفشل فيه نقطة منها يتعلّم التّجاوز ويدرك معنى الحياة. يقول الكاتب في ذلك:» فَتحتُ عَينيَّ عَلى جَمَالَين، جَمَالُ صوت أمي فالصَّبَاحُ دُونَ صَوتِهَا هُو صَبَاحٌ مَنقُوصُ المَلامِح، وجَمَالُ الأحْلَامِ فَهِي نبْرَاسٌ للتَائِهِين وَزَورَقٌ لنَجَاةِ الغَارقِينَ. »

تحيل الأحداث في «عقول نابغة»وطريقة سردها على بعض ما في جنس السيرة الذّاتيّة التي عادة ما تقوم على رواية أحداث شخصيّة. ويأخذ كاتبها من حياة الذّات المتمثّلة في الذّكريات الخاصّة فتجيء الكتابة مغرقة في الأنا، تتتابع فيها المرويّات بانتظام. فيكون فعل السرد فعل تذكّر، و زمن القصّة زمن مستعاد.

تخلّل الأحداث عنصر الحوار الذي خلق حيويّة في النصّ كما قرّب الأحداث من القارئ الطّفل ليعبّر هذا الحوار على قضايا اجتماعيّة اختلفت فتعدّدت. ومن خلال هذا الحوار أيضا، تعرّف القارئ على الشّخصيّة الرّئيسة، وعلى تفاصيل حياتها.

الزّمان والمكان هما البنيتان اللّتان تجري فيهما الأحداث وتتحرّك الشّخصيّات. فكانت البنية الزمنيّة في النصّ استعراضا للحياة المرويّة حسب أطوار زمنيّة منتظمة. تبدأ بمرحلة النشأة والطفولة، والتّأكيد على هذه المرحلة من أهمّ المراحل التي تميّز بها الأدب السّرذاتي . كما كان الزّمان زمانيْن، زمن حاضر وآخر ماض. زمن واقعي وآخر إلى عالم الخيال انتماؤه.

أمّا البنية المكانيّة، فهي ذاك الإطار الجغرافي الذي تجري فيه أحداث القصّة، فكنّا بين البيت والحيّ بمنازله المختلفة وقاعة المحاضرات والمدرسة، والحافلة وأحداثها المميّزة التي مثّلت بمفردها رحلة يعمد الكاتب إلى تصويرها في أسلوب فيه من التّشويق ومن الصّور ما يقترب من واقع كلّ طفل وهو يمتطي الحافلة كلّ يوم. «هي حافلة من أحد كتب التّاريخ قدمت. لكنّنا تَعَودنَا عَليها. . وعَلى ضَوضَاءِ مُحَرِّكِهَا الّذِي يُوحي للسَامعِ بأنَّ هذَا المُحَرك يَشتَكي من أَلمٍ عُضَالٍ، هذا مَا ورد على لسان الكاتب.

والمعهد الثّانوي كان من الأطر المكانيّة الهامّة في القصّة، فقد احتوى أحداثا مختلفة، وشخصيّات كان لها الدّور الهام في تحفيز التّلاميذ كالأستاذ عمارة مثلا ، القائل»مَا أسعَدَني بأبنائي مَا أسعَدني بتَلاميذَ مِثلكم . . البابُ مفتوحٌ للجَميع من يرى فِي

قراءة في كتاب

نَفسِهِ المَقدرةَ على أن يُقدَمَ نَصًا بَاهِرًا، َهِيًّا، أَخَاذًا خَلاَّبًا، فَلهُ مَا قُلتُ لِصديقكُم وَسأجْعَلُهَا مُسَابَقَةً بعنوان « العقولُ المُتقِدة».

تعدّدت التّفاصيل أثرتها الصّفات المنتقاة، وصيغ المبالغة ذات الدّلالات العميقة، وأسماء الفاعل. ومن هناغلب عنصر الوصف. وكان الإطار الذي عُني الكاتب بوصفه هو الحيّ وكان تبئيره على عناصر دقيقة منه، كالمنازل وصفات وملامح ساكناتها (جَارتنَا المرأة الأَدميّة حَبيبة جَارَتُنَا حَليمَة وهي امرَأَةٌ جَدِيدَةٌ). »سَاعِي البَريد وبَائعُ الفَحم أيضًا». سَاعِي البَريد وبَائعُ الفَحم أيضًا هُمَا مِن مُكَمِلاتِ الحَيَّ فَلَا يُمكِن تَصورُ الحيِّ دُونهمَا، صوتُ العمُّ صَالح وهو يُنادي بأعلى صوتهِ.

فَحَامْ.. فْحَمْ زِيتُون..

رافقنا الكاتب وهو يعمد حينا إلى الصّفات الجسدية» كقوله َمليحَةُ العَينَين ذَاتُ وَجهٍ مُسْتَدِيرٍ أَبيضَ حُلو المَلَامِحِ وَأَسنَانٍ نَظِيفَةٍ مُتَرَاصَةٍ فِي انتِظَامٍ كَالبُنيَانِ ، وَابتِسَامَةٍ دَائِمَةٍ»، وفي أحايين أخرى إلى الصّفات المعنويّة» تقبلُ ضَجِيجنَا وَصَخَبَنَا بِصَدرٍ رَحِبٍ وتَرى في شَيطَنتنا وعَبثِنَا وَهَرَجِنَا وَمَرحِنَا عَلَامَة الصّحة والنُّبوغ والذَّكَاء». صور تصل إلى الطّفل في سلاسة لأنّها صور مألوفة عنده، هي صور تتواتر في محيطه كما تتواتر تلك الأحداث.

وأتى المعجم كذلك مستمدّا من لغة الطّفل واللّغة العربيّة الفصحى، كما يمكن أن نؤكّد على تواتر اللّهجة العاميّة في متن القصّة. ولعلّ الكاتب حاول أن ينتهج في ذلك نهج الدّوعاجي وبلهوان حمدي والعروسي المطوي، وخريّف أدباء تونسيّون كان لهم وقع في الأدب وخلّدت السّاحة الأدبيّة إبداعهم، إذ عبّروا عن واقعهم بكل ما فيه من طرافة وألم وحاولوا من خلال اعتمادهم على اللّغة العاميّة من حين إلى آخر جعل النصّ أكثر واقعيّة وأقرب إلى المتلقّي.

فَحَامْ.. فْحَمْ زِيتُون..

الحافلة أُنبان ENBANNE .

«إلّي ما قصّش يَهبط يقصّ»

تَنَاهَت إلى مَسمعِي العبارات التَقليديَّةُ لِتَجربة النّقلِ العُمومي التُّونسي الّتي دَائمًا أولهَا قدمّ « قدّم القدّام.. الوسط فارغ « ويكونُ حينهَا وسطُ الحافلة ممتلئا.. و» قدّم يرحم بوك.. خلّينا نركبو معاك» و» قدّم.. شنو تركبوا أنتم كهو « وعبارات آخر... وتعدّدت الأمثلة ليكون المعجم معجما تبسّط كلماته للطّفل، فيقبل على قراءة نصّ نأى عن الغموض والتّعقيد.

كانت إشارتنا في البدء إلى مميّزات القصص الموجّهة للطّفل، أنّها عادة ما تحمل رسائل تساعد كلّ من اللّغة المبسّطة وعنصر التّشويق على إيصالها إلى القارئ الطّفل. ولقد اخترنا منها الرّسائل التّالية.

- فَكُلُّ الأشياءِ العظيمةِ كَانت فِي بِدَايَتهَا أحلاما.

- وَقَفْتُ حِينَهَا وكَانَ لاَبُدَ لي أنْ أَقفَ.

يحيل الكاتب من خلال هذه العبارة، على أنّ وقفة التّأمّل هي التي تجعل الخطى أكثر ثباتا، ومنها تولد العزيمة ويُخلق النّجاح. ومن العبارات التي تحمل في دلالاتها رسائل إلى الطّفل، قول الكاتب:»جَمَالُ الأَحْلَامِ هِي نبْرَاسٌ للتَائِهِين وَزَورَقٌ لنَجَاةِ الغَارِقِينَ، هذه الرُؤيَا هِي حُلمٌ شَحَنَ نَفْسِي. فرُبَما تَتَحَقّقُ يومًا، فَكُلُّ الأشياءِ العظيمةِ كَانت فِي بِدَايَتهَا أحلاما. »ونقول الحلم هو رديف الرّؤيا وهو أساس الإبداع، فهل يمكن أن يعيش الإنسان دون حلم؟

ويقول الأستاذ على لسان السّارد طبعا «البابُ مفتوحٌ للجَميع من يرى فِي نَفسِهِ المَقدرةَ على أن يُقدَمَ نَصًا بَاهِرًا، بَهِيًّا، أَخَاذًا، خَلاَّبًا، فَلهُ مَا قُلتُ لِصديقكُم وَسأجْعَلُهَا مُسَابَقَةً بعنوان « العقولُ المُتقِدة « ولمن أرادَ المُشَاركة لهُ ذَلِكَ. » فالتّحفيز يخلق الخوارق. فأن تدفع الطّفل نحو الأفضل، تلك من أنبل الرسائل.

يقول الكاتب مؤكّدا ذلك:»الحَمَاسُ هُو الوَقُودُ الّذي يديرُ العُقولَ، ويَجبُ لِكي تَنجَحَ أنْ تَكُونَ رَغْبَتك فِي النَّجَاح أكبَرُ مِن خَوفِكَ مِنَ الفَشلِ»وأنَ العُظَمَاءِ مَهمَا عَلَا شَأنُهُم من كتّاب وغير ذلك كانوا صغارا مثلنا. اسمعُوا يا أولادي، إنّ المقصدِ ليس المسابقةُ في حدِّ ذاتِهَا وإنَّما شحذُ هِمَمِكم وأنَ تكونُوا شُعلَةً ثقافيَّةً عِلمية أدَبية يُستأنَسُ بِكُم أمَام كُلّ فِكرٍ عَنيدٍ مُتَيبس فَاقِدٍ للذَّائِقةِ الثقافية... وكمَا أُخِذَ بِأَيدكُم... يَجبُ عَلَيكُم لِزَامًا الأخذُ بأيدي غَيرِكُم. تِلكَ البَرَاعمُ القادمةُ الّتِي تَبحثُ عَن قَبَسِ نورٍ. هَذهِ هِي العُقُول النيّرةُ الّتي تضئ ظلاَم الطَريقِ وَوحشَة اللّيل البهيمِ... هؤلاءِ هم أولادُ وبناتُ الحياةِ.

مَنْ لَا يُحَاول لَا يَتَقَدم المُهِم هُو المُحَاوَلة، هَذِه العُقُولُ ذَاتُ نُبُوغٍ. »ونختم بعبارتين مثلتا شعاريْن أساسيّينِ في القصّة الأولى عي قول الكاتب»فالكتابُ يا أحبابي هو الحياة. » أمّ العبارة الثانية هي، عبارة الإنسان الأعلى. عبارة عرفناها في الفلسفة عند نيتشة. وهي عبارة تأخذ الإنسان نحو السموّ والقوّة.

هكذا شاء فاخر بن سعيد أن يرى الطّفل من خلال نصّه، مؤمنا بذاته يبحث عن سبيل للسموّ فيُدركه متسلّحا بالأحلام وبرؤيا إلى مستقبل يراه مشرقا ، يعرف فيه ولادة جديدة إطارها النّور، وجوهرها النّجاح والنّبوغ.

صورة تتحدّث

القلبة، الويبة، القفيز

مكاييل فلاحية تقليدية تعرّف عليها :

تعتبر المكاييل في القطاع الفلاحي هي أساس المعاملات ، فالأوزان لم تأخذ حظها في المعاملات رغم تطور الآلات و طرق الوزن، وسنتعرف في هذا المقال على أهم المكاييل في القطاع الفلاحي بتونس.

القلبة: "هي وسيلة كيل وهي عبارة عن وعاء من الحديد يتم ملأه على الآخر و يستعمل خاصة في كيل الزيتون أو الحبوب .

والقلبة من الزيتون تحتوي على ما يقارب 14 الى 15 كلغ من الزيتون اما قلبة القمح فتحتوي على ما يقارب 18 كلغ

الويبة : هي ضعف القلبة أي ويبة واحدة تساوي كيل قلبتين

القفيز: يختلف القفيز من الزيتون الى الحبوب ، فقفيز الزيتون يحتوي على 32 قلبة وما هو متعارف عليه أن =قفيز الزيتون يعادل 450 كلغ

أما قفيز الحبوب فهو كيل 64 قلبة من الحبوب.

نجد أيضا من المكاييل أجزاء القلبة فمثلا الربوعي هو ربع القلبة والعشورية هي عشر القلبة...

الصاع: هو وسيلة كيل أيضا وأغلب ما هو متداول فإنه يساوي سدس(6/1) القلبة.

عن أحلى ذكريات تونس

«ش»... سلسلة الشّعر العالمي تعلن عن إصداراتها الأولى

معز ماجد (شاعر)

أعلنت دار نقوش عربيّة ومهرجان سيدي بوسعيد للشّعر عن صدور العناوين الأولى لسلسلة «ش» للشّعر العالمي. وهي سلسلة تطمح لأن تكون مرفقا لنشر النّصوص الشّعريّة المتميّزة والتقدميّة وكذلك الدّراسات الجادّة المهتمّة بالشّعر، اختارت أن تكون العناوين الأولى الصّادرة عنها كالآتي:

• ديوان «في حضرة السّوء» للشّاعر التونسي المتميز محمد العربي

• ديوان «انس أنّها ليست هنا» للشّاعر المالطي الألمعي نوربيرت بوجاية (ترجمه إلى العربية كلّ من جمال الجلاصي ومعز ماجد).

واحتفاء بهذه الإصدارات التي تعتبر الانطلاقة الفعليّة لسلسلة «ش»، سوف تنظّم دار نقوش عربيّة يوم 1 ديسمبر 2023 على الساعة الرّابعة بعد الزّوال حفلا أدبيّا بالمقهى الثقافي «الرّيو» يتم خلاله تقديم الإصدارات بحضور الشّعراء كما يتم تقديم السلسلة وتوجهاتها العامة أمام جمهور من الصّحفيين والفاعلين في الساحة الثقافية التونسية.

ديوان «في حضرة السّوء» لمحمد العربي
العنوان: في حضرة السّوء (شعر)
المؤلف: محمد العربي
النّاشر: دار نقوش عربية
السّلسلة: «ش» سلسلة الشعر العالمي
صورة الغلاف: الفنان ثامر الماجري
عدد الصفحات : 84

«في حضرة السّوء» هو الديوان الخامس للشاعر التونسي محمد العربي الذي برز اسمه من بين جيل من الشعراء ظهروا على السّاحة الأدبية التونسية بعد ثورة 2011.

تحصّل على عدد من الجوائز الشعريّة في تونس وفي العالم العربي، أهمّها جائزة بلند الحيدري (الرّباط، 2018) وجائزة معرض الكتاب التونسي (تونس، 2022).

تقول النّاقدة وحيدة المي متحدّثة عن علاقة محمد العربي بالشّعر: «يغترف من ذاته ليكتب من «قراءة الحياة أساسا» ومن تجارب الآخرين... الشّعر في تصوّره «ينفلت من أيّ قالب جاهز» وهو كتابة خارج التنميط لكنّها موغلة في الغموض والتّرميز لاقتناعه أنّ النّص لا يحكي ولا يبوح بقدر ما يوحي ويقترح.

(الشروق، 16/02/2023)

«انس أنها ليست هنا»

ديوان للشاعر المالطي نوربرت بوجاية يصدر ضمن سلسلة «ش»
العنوان: انس أنها ليست هنا (شعر)
المؤلف: نوربرت بوجاية
المترجمين: جمال الجلاصي ومعز ماجد
تقديم: آمنة الوزير
النّاشر: دار نقوش عربية
السّلسلة: «ش» سلسلة الشعر العالمي
صورة الغلاف: الفنان زياد الأصرم
عدد الصفحات : 148

نوربرت بوجاية هو من دون شك أحد أهم الأصوات الشعرية في مالطا ويعتبر من بين النجوم الصاعدة في الساحة الأدبية المتوسطية.

هو أستاذ محاضر بكليّة ماطا ومدير مركز الدّراسات المتوسّطية بها.

ترجم شعره إلى الإنجليزية وإلى الفرنسية وهذا الكتاب هو أوّل ظهور له في اللغة العربية.

تقول الشاعرة آمنة الوزير في مقدّمتها لهذا الكتاب: «انس أنها ليست هنا» رحلة شعريّة في الأماكن المسكونة بالغياب عبر ذاكرة مشوّهة. هذا الدّيوان يغوص بنا في عوالم الذّات العميقة، ذات الشاعر وذوات كل قارئ ذاق ألم الفراق ولم يعبر إلى ضفّة النّسيان.

الرّؤية المؤسّسة لسلسلة «ش»

على الرغم من أن الشعر عماد الثقافة العربية ومشكاة لغتها، إلا أنّه اليوم أضحى يعاني من جفاء الناشرين وانحسار الفضاءات والمنصّات المحتفية به.

نحن نؤمن بأن أفول الشعر وتراجع عدد مُحبيه من شأنه أن يفقد الثقافة العربية أصواتا تحتاجها للعبور إلى ثقافات العالم والحضور الفاعل في رحابه.

بناء على هذه القناعات تتأسّس سلسلة «ش» للنشر كخطوة جديدة ومرحلة إضافية من مشروع كامل يسعى لإعطاء الشعر المكانة التي تليق به في مجتمعاتنا، وقد بدأ هذا المشروع مع بعث المهرجان العالمي للشعر بسيدي بوسعيد في 2013.

وقد تمكن هذا المهرجان من أن يصبح أهم موعد شعري في العالم العربي وحوّل تونس إلى محطة وازنة في جغرافيا الشعر العالمي وذلك باستقطابه كبار شعراء العالم من أمريكا اللاتينية وأوروبا وآسيا وإفريقيا.

يقول معز ماجد مؤسس المهرجان العالمي للشعربسيدي بوسعيد والمشرف على سلسلة «ش»:

« من التساؤل الاساسي وصولا إلى الكلمة المنعتقة من إكراهات المعنى، يبقى الشعر أرضا عصيّة عن التوافقات وعن كل محاولات التعريف.

قد لا يروق ذلك للبعض، بيد أن الشعر ليس من الكماليات وتحت قبته يتمرّد الجوهر الانساني غير القابل للترويض والتطويع على نواميس المسلّمات.

قال صديق المهرجان الشاعر الكوبي فكتورودريقاز نونيس الذي كان بيننا بسيدي بوسعيد عام 2019 :

«إن ما يهمني في الشعر هو أنه الشيء الوحيد تقريبا الذي عجز النظام الراسمالي عن تحويله إلى بضاعة... وهو في الآن ذاته الشيء الوحيد أيضا الذي فشل الثوريون، بما في ذلك أكثرهم صدقا، في احتوائه وترويضه».

وتتأسّس سلسلة « ش» ضمن نفس روحية المهرجان، إذ يطمحان إلى أن يكونا فضاء حرية ينبغي غزوه وحمايته وترسيخه في هذه الأرض التي شهدت ميلاد أناشيد هي من أجمل ما تغنت بها الإنسانية. وهما نافذة مفتوحة على العالم ، وفضاء يلتقي في حيزه الشعراء والنقاد ومحبو الشعر القادمون من كل القارات نحتفي بهم وتجمعنا بهم أخوّتنا في الشعر ، وتوقنا للحوار والتبادل .

قال طاغور « نحن أجلاف الشرق العراة، سوف نغزو يوما الحرية من أجل الإنسانية جمعاء.»

اليوم ونحن نفتتح هذه السلسلة لتعضد المهرجان مازلنا عاقدين العزم على الدفاع عن حلم ومساحة ضوء، يحضنان ماهو جوهري في كل ثقافات هذا العالم ونعني بذلك الشعر.»

ولن تقتصر السّلسلة على نشر الشعر التونسي فحسب، بل ستتسع للأصوات العربية الوازنة ولترجمات كبار شعراء العالم.

وفي رؤية المشرفين على هذا المشروع تخطيط لأن تكون تونس وجهة شعريّة كبرى توفر لشعراء العالم هياكل ومساحات تتكامل ضمن رؤية تنتصر للشعر، وذلك بوجود مهرجان عالمي للشعر، سلسلة رفيعة لنشر الشعر على نطاق واسع، بانتظار خطوات ومشاريع أخرى تستكمل لبنات المشروع يُعلن عنها لاحقا.

مخبر البحث «دراسات إنشائية» بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة

«خطاب العلامة البصرية»

مروى كرعاني (كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة)

لئن كان الخطاب تشكيلا باللغة وفعلا دائما فيها، فإنه يظلّ موصولا بعلامات أخرى لعلّ أبرزها العلامة البصريّة التي تنامى الاهتمام بها في عصر غزت فيه الصورة العالم، واستبدّت بالعقول والأذهان، وباتت أداة للتحكّم في المواقف وتوجيه الانفعالات. وإذا كانت العلامة اللغويّة قد حظيت بمنزلة مخصوصة في النّشاط الإنسانيّ التّواصليّ، وانصرفت إلى دراسة أبنيتها وأنحائها ووظائفها علومٌ ومعارفُ شتّى، فإنّ العلامة البصريّة قد اتّسع حضورها في العصر الحديث، وأضحت مدار اهتمام نظريّات ومناهج مختلفة كالإنشائيّة التي يصطلح عليها أيضا بالشعرية وفي ضوء السّيميولوجيا والفينومينولوجيا وعلم النّفس وعلم النفس التّحليليّ والسوسيولوجيا وعلوم التّواصل وفنون التّصوير الفوتوغرافيّ والتّصميم وغيرها من العلوم والفلسفات.

ولقد تزايد الاهتمام بهذه العلامة البصريّة في ظلّ المكاسب التكنولوجيّة والرقمية المعاصرة ونتيجة لتطوّر تقنيّات الطّباعة وانفتاح الخطاب الأدبيّ على فنون مجاورة وانتشار الوسائط

جانب من الندوة

والمحاميل الرّقمية. وإذا كان للحروف -الوسيط الأوّل بين المؤلّف والقارئ- دور في إنشاء الدّلالة وتحديد التلقّي، فإنّ للألوان والصّور والرّسوم وسائر العلامات البصريّة الّتي يوظّفها المؤلّف أو يختارها الناشر، أثرها وإنشائيّتها الخاصّة، سواء حلّت في المتون أو في العتبات ونصوصها المصاحبة.

ولمّا كانت الصّلة بين الخطابات على هذا النّحو من الانفتاح والتّفاعل، فإنّه لا يمكن تدبّر أمر نصّ أو خطاب إلاّ إذا تتبّعنا وجوه تفاعله مع سائر الخطابات، ورصدنا الحواريّة الخطابيّة بين العلامة اللّغويّة والعلامة البصريّة، وانطلقنا في قراءتنا من جدليّة الحضور والغياب. فالقارئ يدرك ضربا أوّل من العلاقات يُعقد بين مكوّنات نصّيّة تشترك في الحضور والتّعيين، في حين ينشأ الضّرب الثّاني من العلاقات بين مكوّنات نصّيّة ظاهرة وأخرى غائبة ثاوية. وقد تخرج هذه العناصر من طور الغياب إلى طور الحضور، ومن طور اللاّمرئيّ إلى طور المرئيّ في إطار لعبة تتبادل فيها العلامات المواقع والأدوار

في سياق دراسة مثل هذه الإشكاليات

نظّم مخبر البحث "دراسات إنشائية" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة ملتقى علميا دوليا بعنوان "خطاب العلامة البصرية" يومي 31 أكتوبر و1 نوفمبر 2023.

فكان لقاء علميّا جمع العديد من الباحثين في اللغة والآداب العربية والفرنسية من تونس والجزائر والمغرب وعمان، بل مثّل فرصة مهمّة للوقوف على جملة من المفاهيم ومن ثمّ متابعة مداخلات متنوعة جعلت من العلامة البصرية محور تحليل ونقاش ونقد جاء ليتجاوز المعنى الظاهر للنصّ وليبحث في المخفي والمضمر في فنون ومجالات كثيرة كالشعر والمسرح والسينما والرياضة. ولعلّ هذا التنوع زاد من شغف وانتباه الحضور الذي كان كثيفا وتابع بانتباه فعاليات الملتقى الذي انتهى بتكريم الرئيس السابق للمخبر، الأستاذ السيد بشير الوسلاتي وكذلك الأستاذ الكبير صلاح الدين الشريف، وقد عبّرا عن سعادتهما بنجاح الملتقى كمّا وكيفا وبالديناميكية الداخلية للمخبر.

صورة تتحدّث

حكاية الصبايحيه

الصبايحية (Spahis) وتتسمى زاده السبايسية هاذي اسامي فرق عسكرية خيالة أسستها فرنسا في معسكراتها السابقة في شمال أفريقيا كجيش عميل للمحتل الفرنسي

اما كلمة صبايحي (sipâhi) أصلها تركي وتعني الجندي وماخذينها من اللفظ الفارسي (سپاهي) وبعد الفرانسيس سماوها (Spahi)، كما تقول رواية أخرى إلّي هوما كانوا يستعملو في نفس كلمة السر («صباحكم بالخير») فيما بينهم حتّى لين فطنو بيهم وسمّاوهم «الصباحية».

وقت الحكم العثماني كانو الصبايحيّه يتوسطو بين الدايات والأهالي أما بعد الإحتلال الفرنسي مهمتهم إتطورت وولّات ولاء تام للمستعمر ولاّو هوما بيدهم يجندو في الشباب باش ينخرطو في الجيش الفرنسي ويهزوهم باش يحاربو بيهم أعداء فرانسا من المقاومين للإحتلال ويحاولو يفشلو أي محاوله لأي ثوره يقومو بيها الأهالي ضد الإستعمار بالقواده بيهم للمستعمر وبأي طريقه اخرى

برشا من الناس اختلفو في الحكم عليهم فمّه إلّي اعتبروهم خاينين الوطن وأذناب للمستعمر وفمّه البعض يقولو إلّي هوما مغرّر بيهم والسبب قلّة الوعي والجهل إلّي كان مستفحل في البلاد في الوقت هذاكه،،، وفمّه إلّي يقول إلّي هوما مغلوبين على أمرهم.وفرانسا هددتهم واستعملت عليهم بعض الضغوط

في الفضاء الثقافي فندق الحدادين بالمدينة العتيقة بصفاقس :

«عولتنا ومونتنا... أساس صحتنا»

محمد رضا البقلوطي

تشهد مدينة صفاقس هذه الفترة حركية ثقافية وتربوية وتنشيطية من خلال عديد التظاهرات ذات البعد التثقيفي والصحي والإجتماعي من ذلك الدورة الثالثة من تظاهرة:"الاكلة الصحية" تحت عنوان "عولتنا ومونتنا ....أساس في صحتنا"أقيمت في فندق الحدادين بالمدينة العتيقة بصفاقس بالشراكة بين: مندوبية الشؤون الثقافية بصفاقس ووداية أعوان واطارات المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بصفاقس والمندوبية الجهوية للصحة بصفاقس وجمعية حلمة الأجيال وجمعية "عائلة صحية " وبمساهمة أطراف أخرى من مكونات المجتمع المدني والمختصين .

هذه التظاهرة تعكس الموروث الغذائي بمدينة صفاقس نموذجا والتعريف بعديد العادات والتقاليد التي توارثها سكان المدينة منذ حقب من الزمن وحاولوا الحفاظ عليها وإعدادها إما في المناسبات أو بصورة مستمرة ، كذلك إعتماد العائلات على إعداد العولة من خلال جملة من مكونات الأكلات التقليدية وخزنها في جرار وأوعية توضع في مكان عادة ما يكون في طابق أسفل في المسكن له ميزة تساهم في حفظ مكونات "العولة"

ورشة صنع التلبينة ودورها في الوقاية من أمراض القلب والدورة الدموية

وقد جمعت التظاهرة جانبين مهمين من خلال معرض الأكلات الصحية تواصلت فعالياته طيلة أيام التظاهرة ومداخلات وورشات إضافة إلى زيارات ميدانية ، ومن بين الورشات، ورشة صنع التلبينة هي حساء من دقيق الشعير (عصيدة) بنخالته يضاف لهما كوب من الماء وتطهى على نار هادئة لمدة 5 دقائق ثم يضاف كوب من اللبن (حليب) وملعقة عسل ، وقد أوصى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالتداوي بها عند وقوع أحداث حزينة؛ لأنها تريح القلب وتهدئه وتعمل على تخفيف الحزن، وقد شاع استخدامها بين العرب لتخفيف الاكتئاب. كما أن العلاج بـ "التلبينة" يساعد على الوقاية من أمراض القلب والدورة الدموية؛ إذ تحمي الشرايين من التصلب - خاصة شرايين القلب التاجية - فتقي من التعرض لآلام الذبحة الصدرية وأعراض نقص التروية، واحتشاء عضلة القلب. وقد سميت تلبينة تشبيها لها باللبن في بياضها ورقتها.

ومن الورشات الأخرى بتظاهرة:"الاكلة الصحية" ورشة حول صحة الفم والأسنان وثانية لقياس ضغط الدم والسكري وورشات ذات طابع فني في الحلى والرسم والخط والبراعات اليدوية وتحريك الدمى ...

أهمية الطعام الصحي في الوقاية من ارتفاع ضغط الدم وعلاجه

ومن خلال مشاركة 12 عارضا وعارضة تم تقديم منتجات متنوعة من حلويات واكلات وعسل واعشاب (كل ماله علاقة بالاكل الصحي) كذلك عرض لبعض مواد التجميل المستخرجة من الزيوت الطبيعية (منتوج تونسي) بالإضافة إلى تمكين الزوار من تذوق أنواع الخبز التقليدي واللكلوكة، حلويات أساسها مواد صحية...ومن بين المداخلات قدمت الدكتورة سلمى كمون طبيب أول للصحة مداخلة حول ارتفاع ضغط الدم إذ أن ارتفاع ضغط الدم حالة شائعة تؤثر على شرايين الجسم، ويُطلَق عليها أيضًا فرط ضغط الدم. في حال الإصابة بارتفاع ضغط الدم، تكون قوة دفع الدم باتجاه جدران الشرايين عالية للغاية باستمرار. ويجعل هذا القلب يعمل بجهد أكبر لضخ الدم.ويُقاس ضغط الدم بوحدة المليمتر الزئبقي (ملم زئبقي). تُوصَف الحالة عمومًا بأنها ارتفاع في ضغط الدم عندما تكون قراءة ضغط الدم 80/130 ملم زئبقي أو أعلى وفي حال لم يُعالَج ارتفاع ضغط الدم، فإنه يزيد من احتمال التعرّض للإصابة بنوبة قلبية وسكتة دماغية ومشكلات صحية خطيرة أخرى. لذلك من الضروري قياس ضغط الدم مرة على الأقل كل عامين بدءًا من عمر 18 عامًا. وقد يتطلب بعض الأشخاص قياس ضغط دمهم بوتيرة أكبر.

هذا ويمكن أن يساعد اتباع عادات نمط الحياة الصحية مثل الامتناع عن التدخين وممارسة الرياضة وتناول طعام صحي في الوقاية من ارتفاع ضغط الدم وعلاجه. ولكن بعض الأشخاص يحتاجون إلى استخدام أدوية لعلاج ارتفاع ضغط الدم.

متحف للزيتونة ،حفظ لتراث الجهة المرتبط بإنتاج الزيت والزيتون

كما انتظمت خلال :"الاكلة الصحية" زيارات ميدانية لكل من متحف القصبة ومتحف الزيتونة بمقر جمعية تونس الزيتونة بالمدينة العتيقة بإعتبار أن شجرة الزيتون رمز ولاية صفاقس التي اعتنى بها الأجداد منذ القدم واتقنوا غراستها حتى أصبحت غابة الزيتون وأشجارها التي تمت غراستها وفق خطوط متوازية تمتد الكيلومترات محل اهتمام العديد من الفنانين والمصورين لإبرازها كإبداع نتيجة عمل جماعي

من بين أهم أهداف إنشاء متحف للزيتونة ،حفظ تراث الجهة المرتبط بإنتاج الزيت والزيتون مثل العادات والتقاليد الخاصة بموسم الجني و الآلات الفلاحية التقليدية المستعملة في الزراعة والجمع والتحويل إضافة لمختلف الأعمال الفنية والحرفية التي تبرز الزيتونة أو تستفيد من مخلفاتها و النصوص والأغاني والقصائد والدراسات العلمية التي اهتمت بها...

كما تم خلال الأنشطة الموازية لتظاهرة:"الاكلة الصحية" زيارة متحف العمارة التقليدية قصبة مدينة صفاقس،الذي يحقق معادلة طريفة بين الظرف والمظروف. فالقصبة هي معلم تاريخي كان في مبتدئه رباطا يحرس السواحل والأراضي المتاخمة، وربما يضم أقدم مسجد شيد بالجهة إذ يقترح المتحف على زائريه مجسمات في حجمها الطبيعي لأنساق الإنشاء ومعارف العمل ذات الصلة كبناء الجدران، ثم يقدم مختلف الأنماط المعمارية التي كانت رائجة بمدينة صفاقس وضواحيها، كالمسكن ذي الفناء المركزي والمساجد والزوايا والمقامات، والأسواق والقيصريات والحمامات والفنادق وكذلك أبراج الجنان، والكل مجسم بالصور والأمثلة ثلاثية الأبعاد والنصوص البيانية. في آخر الزيارة، يكتشف الزائر التجهيزات الحديدية المتعلقة بالأبواب والنوافذ على غرار الأقفال ومفاتيحها ومختلف أشكال المفصلات والمقارع وما يجهز الشبابيك ويحليها من مفردات مثل "الزلابية" و"الكركورية" والكل منظم بطريقة تبرز تنوع الأشكال ومقاساتها ووظائفها.

تمكين المرأة والملكية الفكرية حق من حقوق الانسان

تحت اشراف وزارة الشؤون الثقافية وفي إطار الاحتفاء بالذكرى 75 للاعلان العالمي لحقوق الإنسان، نظمت المؤسسة التونسية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة تظاهرة الأيام التونسية للملكية الأدبية والفنية في يومها الثاني 10 نوفمبر 2023 بمدينة الثقافة الشاذلي القليبي، تحت شعار "تمكين المرأة والملكية الفكرية حق من حقوق الانسان".

وقد قدّم عدد من الباحثين والمختصين مداخلاتهم حول محور التظاهرة وهم السادة والسيدات الشاذلي بن يونس ومنى قطاطة وهاجر الكريمي وعائدة قائد السبسي، تمحورت كلها حول علاقة حقوق الانسان بتمكين المرأة اقتصاديا واجتماعيا.

ومن أهم الأفكار التي تم طرحها، تسليط الضوء على السيرورة التاريخية لمسار حقوق الانسان من يونان القديمة إلى الاعلان العالمي لحقوق الانسان حيث أثبتت كل هذه الاتفاقيات والمعاهدات الدولية إفلاسها أمام وحشية الممارسات في الأراضي الفلسطينية وما نشهده من خرق لهذه الحقوق، كما تم التطرق لأهم مقومات حقوق الانسان من خلال ضمان حرية الابداع والتفكير والابتكار.

وتم أيضا التطرق لعلاقة حقوق الانسان

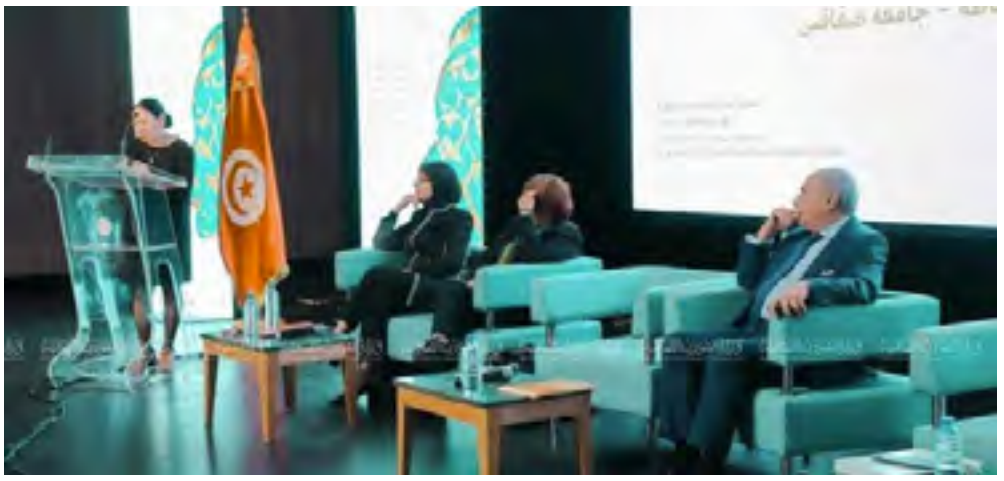

بالتمكين الاقتصادي والاجتماعي للنساء عبر مثال تسجيل عنصر "المعارف والمهارات المرتبطة بفخار سجنان" على لائحة التراث العالمي غير المادي بمنظمة اليونسكو إذ تمثل هذه الحرفة موردا ماديا لنساء سجنان فضلا عن كونها تضمن لهن مكانة اجتماعية، وتم التأكيد على ضرورة ايجاد مسالك توزيع خاصة بالتراث المادي وغير المادي من أجل المحافظة على العناصر المميزة لهويتنا.

وفي سياق متصل، تم التحدث عن علاقة حقوق المؤلف بمجال الابتكار الطبي والعلمي من خلال ما عاشه العالم في أزمة كوفيد، حيث شهدت الدول الاقل تطورا نوعا من الهيمنة والاستحواذ على الأدوية مع ما يتنافى وجوهر حقوق الانسان.

وتم استعراض عدد من التجارب الناجحة لشابات أقدموا على بعث مشاريع في مجالات تهم التعليم والتكنولوجيا وتثمين بعض المواد الغذائية التراثية مثل "البسيسة".

يذكر أنه انتظمت يوم 9 نوفمبر 2023 ورشة للمبدعات التونسيات شارك فيها 20 فنانة تشكيلية تونسية ليقدمن انتاجاتهن الفنية في معرض بعنوان "لأجلك، فلسطين" تعبيرا منهن على مساندتهن للقضية الفلسطينية.

صالون المبدعين والفنون الحرفيّة

د.ياسمين الحضري

ينتظم بفضاء برج القلال بصفاقس صالون المبدعين والفنون الحرفيّة أيّام 17/18/19 نوفمبر 2023 برعاية جمعيّة أحبّاء الفنون التّشكيليّة بالشّراكة مع الدّيوان الوطني للصّناعات التقليديّة و "ArTanit"، وإنّ ما يميّز هذه الدّورة تنوّع توجّهاتها بين التّجاري من ناحية والثقافي – الفنّي من ناحية أخرى حتّى تستقطب مختلف الشّرائح العمريّة والانتظارات كذلك الأذواق. بالنّسبة للطّابع التّجاري للصّالون فقد عزم فريق العمل على أن يكون العارضين مختصّين في المنتوجات التونسيّة تشجيعا على ترويج المنتوج المحلّي الوطني فنجد مختصّين في الموضة والإكساء والمفروشات والحقائب الجلديّة وغيرها من الحرف الأخرى. أمّا الإضافة في هذه الدّورة فهي تتمثّل في المراهنة على الشباب خرّيجي معاهد الفنون بتشجيعهم على العرض

لذلك سنجد شباب باعثين لمؤسّسات ناشئة "des startups" وشباب مبدعين في مجالات مختلفة نمنحهم فرصة العرض في هذا الصّالون.

أمّا بالنّسبة للطّابع الثقافيّ – الفنّي نجد تنوّعا على مستوى العرض والتّقديم حيث سيقام معرضا فنّيا جماعيّا يشرف على تنفيذه " قيّم فنّي " تحت عنوان " Identity Trace" أين سنجد أثرا لهويّتنا وهو ما يربط بين الطّابعين.

لعلّ الرّهان في هذه الدّورة هو " التّخاصص "l'interdisciplinarité" بين الفنّان، الحرفي والمصمّم وهو ما تقوم عليه المعاصرة اليوم.

لعلّ زائر هذه الدّورة سيجد آفاقا يرجوها يرضي جميع الانتظارات خاصّة مع إضافة الورشات "Workshop" حيث ستكون هناك ورشة الخزف الفنّي للاطّلاع على تقنية الرّاكو "Raku" مع الأستاذ منجي والي والفنّانة رحمة القلاّل. كذلك ورشة في الطّبخ مع حلويّات المصمودي دون أن ننسى نصيب الورشات في الفنّ التشكيلي الذي ستؤثّثه الفنّانة أمامة بو عصيدة " Ouma ".

إنّ ما يميّز هذه الدّورة ذلك النّسيج بين الاختصاصات حيث يكمّل الواحد الآخر بين ما سيُقدّم للزّائر ليجد نفسه يتسوّق ويطّلع ويشارك في الورشات لنكون أمام رهانات أخرى لهذه الدّورة كالتّشاركيّة والتفاعليّة.

صورة تتحدّث

سوق القماش أقدم سوق على الإطلاق في مدينة تونس والربطين

(سوق القماش) يرجع انشائه الي العهد الاغلبي في القرن التاسع ميلادي وهو أقدم سوق في مدينة تونس، و أعيد ترميمه و إعادته إلى نشاطه في عهد السلطان الحفصي (أبو عمر عثمان) في القرن الخامس عشر ميلادي، و يوجد سوقان أخران متحاديان، كانك خارج على سوق الربع في أعلي نهج تربه الباي و كان يوجد مسجد (الرمادين) بالمكان و (الرمادين) هم صناعيون كانو يعالجون الاقمشه الخشنه بالرماد حتي يقع ترطيبها و تصبح سهله الخياطه ثم يقع إعطاء الاقمشه التي وقع ترميدها الي (الكمادين) لاكمال العمل و هو كان بمثابه الكي و هي المرحله الاخيره لتهيئه الاقمشه شديده الخشونه، و كانت هذه الأسواق بمثابة سلسلة من بعض لإكمال المهمة من سوق إلى أخر حسب المراحل، أي سوق (لقماش) ثم سوق (الرمادين) ثم سوق (الكمادين)

وكان هذا السوق مشهور أيضا بتجارة القماش المحلي والمستورد خاصة من الهند كقماش القرماسود و الحرير أما اليوم فإنها سوق لتجارة منتوجات الصناعات التقليدية (أغطية، زرابي، مرقوم... ،و يتكون السوق من ثلاثة أروقة تفصله مجموعتان من الأعمدة. الرواق الأوسط مخصص للتنقل داخل السوق في حين خصصت الأروقة الجانبية للمتاجر، وتسمح الفتحات في السقف بمرور ضوء الشمس و توفير إنارة طبيعية للسوق و للمحلات قبل استعمال طرق الإنارة الحديثة، و من بين المعالم الموجودة في السوق كذلك الزاوية التي دفن بها العالم ابن العصفور. ونخليكم مع زوز رسومات لسوق نادرة جدا.

بقلم: صهيب لطرش - ذكريات تونس المنسية

مهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي يكرّم الفنانة دليلة المفتاحي

صالح سويسي

أعلنت إدارة مهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي في دورته الثامنة عن تكريم الفنانة والمخرجة التونسية دليلة مفتاحي بدرع سميحة أيوب التقديري، وذلك تقديرا لمشوارها الفني الكبير.

وتُعدُّ دليلة المفتاحي واحدة من أهم الممثلات في تونس، ومنذ بداياتها في الفرقة القارة بجندوبة نهاية السبعينات من القرن الماضي، أثْرَت الساحة المسرحية بعدد هام من الأعمال على مستوى التمثيل والإخراج كما كان لها بعض المشاركات السينمائية، لكن علاقتها بالجمهور العريض كانت عبر الأعمال الدرامية الكثيرة التي ساهمت في نجاحها وجعلتها واحدة من أكثر الممثلات حظوة ومحبة لدى التونسيين.

وفي ذات السياق، سيكون الفنان السوري أسعد فضة الشخصية العربية المكرمة لهذه الدورة، فيما يكرم المهرجان الفنانة ميمي جمال والفنان ياسر صادق والفنان العماني عماد الشنفري بدرع سميحة أيوب التقديري، كما سيتمّ تكريم الناقد والمخرج المصري عمرو دوارة والفنانة الإيطالية مارتسيا تيديسكي، والمخرج الكويتي عبد الله عبد الرسول، والفنان حمزة العيلي والفنان السعودي عبد الإله السناني، واختارت إدارة مهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي الفنان الشاب محمد فهيم كأفضل شخصية مسرحية شابة للعام المسرحي 2022 /2023 عن أدائه الفني المتميز عن مسرحية تشارلى شابلن.

لجان التحكيم

وتنتظم الدورة الثامنة من المهرجان بين الـ 25 وحتى الـ 30 من نوفمبر، وتحمل دورة هذا العام اسم الفنانة سميرة محسن.

وكانت إدارة المهرجان قد كشفت خلال ندوة صحفية عن أعضاء لجنة تحكيم مسابقة العروض الكبرى، والتي تشكلت من المخرج المصري خالد جلال رئيساً للجنة التحكيم، وعضوية كل من الدكتورة ماريجونا بيكتيشي من كوسوڤو، والفنان القدير ليفيو تشيليو من رومانيا، والفنانة القديرة نادية بوستة من تونس، والفنانة والكاتبة كارين وترفيلد من إنجلترا، ولأول مرة في تاريخ المهرجان يترأس لجنة تحكيم مسابقة المونودراما الكوري جونجوه سون.

فيما اختارت الهيئة ثلاثة مسرحيين شباب للجنة تحكيم مسابقة مسرح الشارع والفضاءات غير التقليدية بالدورة الثامنة، وهم المخرج عقباوي الشيخ من الجزائر، والمخرج فيصل الدرمكي من الامارات العربية المتحدة، والمخرجة ارليتا ريكسهبي من كوسوفو.

عروض أولى

ينفرد مهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي بعرض ثمانية أعمال مسرحية تعرض لأول مرة خلال الدورة الثامنة من المهرجان ويتنافس على جوائز المهرجان، ويُعرض خلال فعاليات المهرجان كعرض عالمي أول مسرحية Disappearing من بلغاريا و»طاهرة» من الكويت Baesogoji (A pond in the Memory) من كوريا الجنوبية و»الأول من تشرين الأول» من سلطنة عمان و Palunko`s Wife من منغوليا Phonix من كرواتيا و Aw-ThenticDeclanation من ليابان و»حجر صحي» من مصر.

يُذكر أن مهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي ينطلق يوم 25 نوفمبر ويستمر حتى 30 من نفس الشهر، وتترأسه شرفيا الفنانة القديرة سميحة أيوب ويرأس اللجنة العليا للمهرجان المايسترو نادر عباسي، فيما تحمل دورته الثامنة اسم الفنانة سميرة محسن، ويرأسه المخرج مازن الغرباوي، وتديره الدكتورة إنجي البستاوي، ويقام برعاية وزارة الثقافة المصرية.

جوائز المهرجان الوطني للفيلم بطنجة

عبد الله المتقي - طنجة

اسدل الستار مساء السبت 04 نونبر 2023 عن فعاليات الدورة 23 للمهرجان الوطني للفيلم بفضاء برج دار البارود بطنجة وأسفرا عن النتائج التالية :

فيلم «أبي لم يمت» لعادل الفاضلي وحصل على ست جاءت على الشكل التالي :

- الجائزة ائزة الكبرى
- -:جائزة الإنتاج
- -:جائزة الإخراج،
- جائزة الصورة،
- جائزة الصوت
- جائزة الموسيقى

فيلم «المحكور ماكيبكيش» لفيصل بوليفة حصل على أربع جوائز جاءت كالتالي :

- جائزة لجنة التحكيم الخاصة
- جائزة السيناريو
- جائزة الدور الأول بصيغة المؤنث (لعائشة التباع)،
- جائزة النقد.

فيلم «أزرق القفطان» لمريم التوزاني وحصل على :

- جائزة المونطاج
- جائزة بصيغة المذكر كانت من نصيب (صالح بكري).

فيلم «ملكات» لياسمين بن كيران وحصد :

- جائزة العمل الأول
- جائزة الدور الثاني بصيغة المؤنث (لنسرين بنشارة).
- فيلم «صيف في بجعد» لعمر مول الدويرة وحصل على جائزة الدور الثاني بصيغة المذكر (لحاتم الصديقي).
- فيلم «إيقاعات تامازغا» لطارق الإدريسي حصل على جائزة : - الأندية السينمائية.

قراءات مسرحية

مداخيلها للشعب الفلسطيني:

جليلة بكار تقدم اليوم «نظرات فلسطينية» بمدار قرطاج

وناس بن يوسف

تقدم الفنانة جليلة بكّار على ركح مدار قرطاج اليوم في الساعة السابعة والنصف مساء قراءة لنصوص مسرحيّة "البحث عن عايدة" و "بشر" وستعود جميع مداخيل العرض الى الهلال الأحمر التونسي مساندة للشعب الفلسطيني.

تعدّ جليلة بكار من أبرز وجوه المسرح التونسي. بدأت رحلتها مبكراً مع "المسرح الجديد" عام 1976. مع الفاضل الجعايبي، والفاضل الجزيري، ومحمد إدريس، والراحل الحبيب المسروقي، قدمت أعمالاً مسرحيّة مرجعيّة منها "العرس"، و"غسالة النوادر"... لتستقلّ لاحقاً مع الفاضل الجعايبي والحبيب بلهادي مطلع التسعينيات في تجربة جديدة، هي فرقة "فاميليا". قدّمت الأخيرة مجموعة من الأعمال الجماهيرية، "يحيى يعيش"الذي عرض في "مهرجان أفينيون" الفرنسي. وكذلك، راكمت الفرقة ريبرتواراً مهماً من الأعمال، مثل "كوميديا"، و"فاميليا"، و"سهرة خاصة"و"عشاق المقهى المهجور"، و"البحث عن عايدة"، و"جنون" ناضلت جليلة بكار طويلاً من أجل حريّة التعبير، وشاركت في التظاهرات العمالية والاحتجاجية، وإضرابات الجوع، منذ أن كانت طالبة في كليّة الآداب خلال السبعينيات. وقد عانت جليلة بكار ومسرح «فاميليا» من المنع، ولم تمرّ مسرحيّة واحدة من دون مواجهة مع أجهزة الرقابة، وصلت حد المنع في «خمسون» (2008). لهذا، لا يعدّ حصول بكّار على «جائزة محمود درويش للحرية والإبداع» تكريماً لها فحسب، بل تكريماً للمسرح التونسي بأكلمه، ذلك المسرح الذي حمل طويلاً هاجس فلسطين والحريّة.و"خمسون"...

ناضلت جليلة بكار طويلاً من أجل حريّة التعبير، وشاركت في التظاهرات العمالية والاحتجاجية، وإضرابات الجوع، منذ أن كانت طالبة في كليّة الآداب خلال السبعينيات. وقد عانت جليلة بكار ومسرح "فاميليا" من المنع، ولم تمرّ مسرحيّة واحدة من دون مواجهة مع أجهزة الرقابة، وصلت حد المنع في "خمسون" (2008). لهذا، لا يعدّ حصول بكّار على "جائزة محمود درويش للحرية والإبداع" تكريماً لها فحسب، بل تكريماً للمسرح التونسي بأكلمه، ذلك المسرح الذي حمل طويلاً هاجس فلسطين والحريّة.

ستقدم جليلة بكار اليوم قراءة لنص مسرحية " بشر" وهو عمل مسرحي لجليلة بكار وإخراج وسينوغرافيا آسيا الجعايبي يطرح قضايا سياسية واجتماعية وثقافية وإنسانية عبر صوت نسائي تدور حوله كل الأحداث.

وهذا العمل الذي عرض في كنيسة "Sacré-Cœur" بباب الخضراء يراوح بين المواقف الدرامية والكوميدية لينقد الواقع من جهة ويحفز الذاكرة الجماعية حتى لا تسقط منها الأحداث المفصلية.

واختيار الكنيسة فضاء لاحتضان هذا العمل ليس اعتباطيا فمن يسافر بين مسارات حياة الشخصية

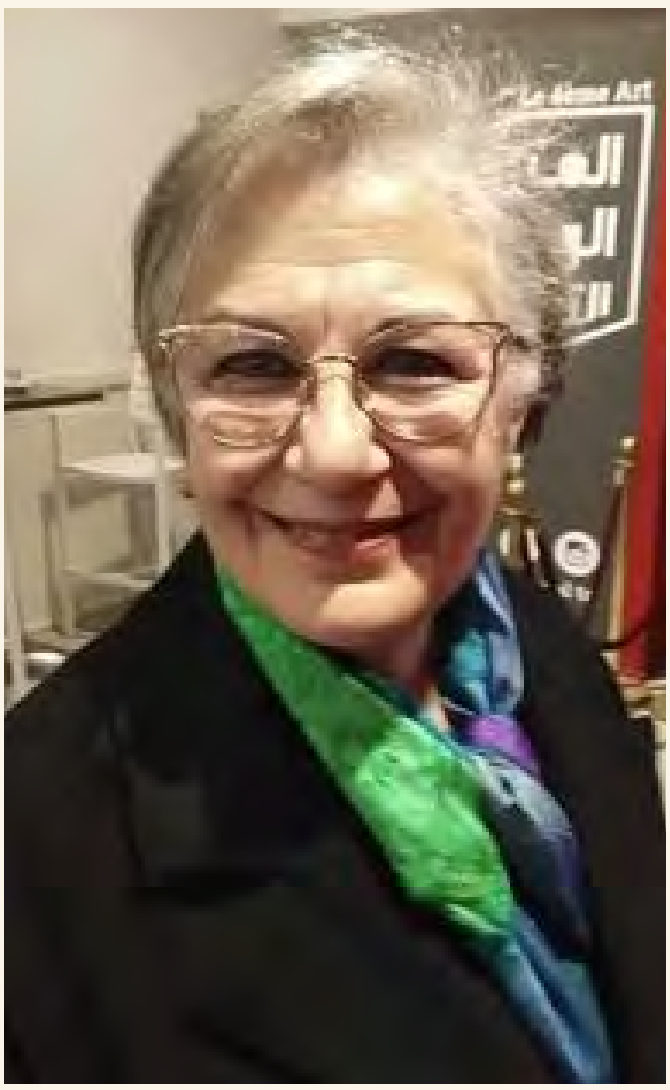

الرئيسية "نبيهة" (جليلة بكار) سيعرف سر اختيار هذا المكان الذي تكشفه في أول المسرحية.

و"بشر" عمل يسبر أغوار الإنسان دون مباشرتية انطلاقا من قصة ذاتية تتوسع وتتفرع لتأخذ بعدا موضوعيا يتقاطع مع سؤال "ماهو الوطن؟" ويتطرق إلى القضية الفلسطينية من زاوية مختلفة ومنها إلى كل القضايا الراهنة التي ترتبط بالبحث عن الأمان...

وفي لقاء اليوم ستقوم جليلة بكار بقراءة نص مسرحية "البحث عن عايدة" وهي مونودراما من إخراج الفاضل الجعايبي، احتلتها ممثلة وحيدة تبحث عن عايدة الفلسطينية لتجدها في داخلها. هذا التزاوج بين جليلة وعايدة، وبين العامية التونسية والفصحى، يعطي هذا النص بُعده الفني والسياسي والأخلاقي، وهو بُعدٌ متعدد المستويات يعلن أن فلسطين هي شعبها الذي يدافع عن حقه في الحياة، وهي مقاومة لم تتوقف منذ سبعين عاماً في مواجهة نكبة صنعتها الآلة الصهيونية العنصرية التي لا تشبع من التهام الأرض، ولا ترتوي من دماء الفلسطينيات والفلسطينيين.

يقول الناقد عبده وازن :"ربما كانت عايدة امرأة متوهّمة او شخصية حلمية وربما كانت ذريعة لاستعادة الحكاية الفلسطينية الأليمة انطلاقاً من بيروت. لكن الممثلة استطاعت ان تقنع نفسها ان الحلم قد يكون حقيقة وأن عايدة قد تكون امرأة واقعية ولكن ضائعة في بيروت. ولذلك راحت تبحث عنها بشغف كبير متوهّمة انها جالسة بين الجمهور في الصالة. ولم تتوقف عن مناداتها طوال العرض المسرحي الفريد الذي لم يكن عرضاً مسرحياً تقليدياً.

إلاّ ان المرأة التونسية التي جاءت تبحث عن عايدة الفلسطينية نجحت في رسم صورتها، صورة الصديقة المفقودة التي ولدت في يافا وكان لها من العمر ثلاث سنوات حين حلّت نكبة 1948. وفي سردها الداخلي لسيرة عايدة سردت جليلة بكّار بعض المعالم العامة للقضية الفلسطينية متوقفة عند بعض المحطات الرئيسية التي اجتازتها منذ النكبة: هزيمة 1967، ايلول سبتمبر الأسود، الإجتياح الإسرائيلي، خروج الفلسطينيين من بيروت، مجازر صبرا وشاتيلا، ثورة الحجارة ... ولم تتناسَ طبعاً بعض المحطات العربية التي رافقت القضية طوال خمسين عاماً ومنها: جيش الانقاذ، ظاهرة جمال عبدالناصر، الحرب اللبنانية التي تسمّيها حرب الجنون...

ليس النص الذي كتبته جليلة بكّار بنفسها نصاً وثائقياً صرفاً وليس هو نصاً مونودرامياً صرفاً كذلك. انه اقرب الى الشهادة الشخصية الحية تدلي بها ممثلة مثقفة عاشت الهمّ الفلسطيني كأي مثقف عربي. لكن النص الذي يشهد على القضية لم يخلُ من الطابع الدرامي ولا من الطابع الحلمي. بل هو اوجد للمدى السردي بُعداً شعرياً. انه نصّ مفتوح على كل الأنواع: نص يسرد ويؤرّخ ويتداعى ويوغل في الذاتية والحلمية والشعرية من دون ان يكون سردياً صرفاً وتأريخياً صرفاً وحلمياً صرفاً وذاتياً وشعرياً ... وربما هنا تكمن فرادة هذا النص الذي أرادته مؤلفته منطلقاً لا للتمثيل واللعب وإنما لتجسيد مأساة المرأة الفلسطينية المفقودة وهي ليست سوى القضية الفلسطينية المفقودة نفسها. وإن لم يأتِ النص بأي مضمون جديد فهو استطاع ان يشهد على القضية الفلسطينية ومن خلالها على الواقع العربي المأسوي الراهن من دون ان يدخل في الجدل السياسي الذي بات عقيماً. وبدا النص اولاً وآخراً منطلقاً للممثلة التي مثّلت مقدار ما تخطت التمثيل نازعة عن وجهها اقنعاع الممثلة، فهي المرأة التي جاءت لتشهد ضياع صديقتها ولتشهد على ذاك الضياع. وخلال شهادتها المزدوجة نجحت في أداء بعض الأدوار ومن خلالها ملامح مختصرة جداً: كدور الأم ودور الطفلة. وليس من المستغرب ألاّ تؤدّي جليلة بكّار دور المرأة التونسية، فالمرأة التونسية لم توجد كشخصية مقدار ما وجدت كشاهدة. ولم تنثنِ المرأة تلك عن أداء بعض ملامح المرأة الفلسطينية التي تبحث عنها. فالنص هو نص المرأة المفقودة وليس نص المرأة التي جاءت تبحث عنها. ولعل اجمل ما في العرض تلك العلاقة التي جمعت بين المرأتين: المرأة الحقيقية والمرأة المفقودة والمتوهّمة. اما المفارقة فهي في أداء جليلة بكّار البارع الذي جمع المرأتين في وجه واحد وملامح واحدة: هكذا بدت المرأة التونسية قريناً للمرأة الفلسطينية التي تبحث عنها.

"نُهب وأُخفي".. خطة اختطاف الأرشيف لمحو التاريخ الفلسطيني

أمير العمري (ناقد سينمائي مصر)

الصحفيان إبراهيم ناصر وعبد الحافظ الأسمر قتلتهما إسرائيل عام 1978 (من أرشيف وكالة وفا)

يُعتبر الفيلم الوثائقي "نُهب وأُخفي" (Looted and Hidden) الذي أخرجته الباحثة الإسرائيلية "رونا سيلا" المهتمة بالتاريخ البصري المصور واحدا من أهم الأفلام المُتعلقة بمحو الذاكرة الفلسطينية.

إنه عمل يدخل في صميم وظيفة الفيلم الوثائقي، أي أنه لا يعرض فقط لما وقع، وهو كثير ويتعين الوقوف أمامه بجدية وانتباه نظرا لخطورته، بل لأنه يكشف أيضا الأهمية الاستثنائية للذاكرة البصرية في تاريخ الشعوب، وخاصة تاريخ الشعب الفلسطيني.

لا تستخدم مخرجة الفيلم- كما هو متبع عادة- أسلوبا يقوم على المقابلات المباشرة مع الشخصيات المختلفة التي تأتي على ذكرها في الفيلم، بل تُقسّم فيلمها إلى ستة فصول تعرض في كل منها الكثير من اللقطات والصور ومقاطع الأفلام التي استطاعت العثور عليها في الأرشيف العسكري الإسرائيلي، ولم يكن مسموحا بالاطلاع عليها من قبل، إلا أنها تؤكد أن ما أتيح لها ما هو إلا جزء يسير من كثير من المواد التي نهبها الجيش الإسرائيلي من أرشيف منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت عام 1982.

كل فصل من الفصول الستة التي ينقسم إليها الفيلم يُروى من وجهة نظر إحدى الشخصيات، تبدأها "رونا سيلا" في الفصل الأول وتختمها في الفصل السادس، وما بين البداية والنهاية نشاهد القصة من وجهة نظر خديجة حباشنة مؤسسة الأرشيف الفلسطيني، ثم من منظور جندي إسرائيلي شارك في اقتحام بيروت عام 1982، ثم من وجهة نظر صبري جريس المدير السابق لمركز الأبحاث الفلسطينية، ثم خديجة حباشنة مؤسسة ومديرة قسم السينما الفلسطينية.

أفلام الدعاية الصهيونية للهجرة.. بداية صراع الصورة

الفيلم بأكمله مكون من مقاطع من الأفلام الوثائقية الفلسطينية التي صوّرها الفلسطينيون ووثقوا فيها لتاريخ فلسطين الحديث.

في الفصل الأول تروي "رونا سيلا" بصوتها كيف كانت بداية اهتمامها بالمواد المصورة التاريخية، وكيف تفتّح وعيها على الأفلام الدعائية الصهيونية التي كانت تحثّ الشباب الصهيوني على العمل، وتدعو اليهود للهجرة إلى فلسطين، ونشاهد هنا مقاطع من أفلام الدعاية الصهيونية التي أنتجتها الوكالة اليهودية في الأربعينيات والخمسينيات.

وهناك أيضا مقاطع من أفلام الجريدة السينمائية من الثلاثينيات، وكانت "رونا" -كما تقول- كثيرا ما تسأل والدتها عن ما وقع عام 1948، وهل حقا كان المنزل الذي كانوا يقيمون فيه في الأصل منزلا فلسطينيا تقطنه أسرة فلسطينية؟

لكنها لم تتلق إجابة شافية من أمها، ومن هنا بدأت البحث الطويل عن الوثائق الفلسطينية.

أستوديو خليل رعد.. نهب صهيوني للأرشيف الفلسطيني

في أواخر الستينيات قابلت "رونا" خديجة حباشنة التي كانت أول امرأة تهتم بتوثيق الصورة الفلسطينية. وهنا تستعيد المخرجة من خلال المقاطع المختارة من الأفلام الوثائقية القديمة كيف كانت تدمر بيوت الفلسطينيين، ثم يزال الحطام بالجرافات، وكيف أُرغمت الأسر الفلسطينية على مغادرة قراها وبلداتها واللجوء إلى المخيمات التي كانت عبارة عن خيام في الصحراء.

لكن "رونا" تتوقف أمام صورة فوتوغرافية ثابتة تقترب منها بالكاميرا، وهي صورة أستوديو التصوير الفوتوغرافي الأول الذي أسسه رائد التصوير الفلسطيني خليل رعد (1854-1957) في القدس. وتقول "رونا" في تعليقها على الصورة إنها علمت أن والدها كان أحد الذين شاركوا في نهب جميع محتويات هذا الأستوديو من صور تعود إلى العصر العثماني.

ومن هنا بدأت تبحث في فكرة اهتمام الصهاينة بمحو الذاكرة الفلسطينية، وخلق تاريخ جديد يقوم على وجهة نظر أحادية يريدون زرعها في ذاكرة الأجيال الجديدة.

"عزيزتي رونا.. كان لا بد من العمل على الاحتفاظ بالذاكرة الفلسطينية"

يمتد بحث المخرجة لتصل إلى الأرشيف الفلسطيني الذي نُهب فيما بعد، لكن إسرائيل- كما تقول المخرجة- تستخدم كلمة مخففة مثل "النشل" بدلا من "النهب" إمعانا في التضليل، تماما كما تستخدم "عرب إسرائيل" بدلا من "الفلسطينيين"، و"العصابات الفلسطينية" بدلا من "المقاتلين الفلسطينيين".

ومن داخل سيارة نشاهد لقطة متحركة طويلة بالألوان للخيام الفلسطينية الممتدة في الرمال، ومنها ننتقل إلى الفصل الثاني بعنوان "خديجة حباشنة- عمان الأردن- 1968، وبصوت خديجة نستمع إلى رسالة منها إلى المخرجة، تبدأها قائلة: عزيزتي "رونا".. كان لا بد من العمل على الاحتفاظ بالذاكرة الفلسطينية، لقد عملت مع سلافة جاد الله أول مخرجة فلسطينية، وهاني جوهرية مصور الثورة الفلسطينية.

نشاهد هنا لقطات نادرة للشباب الفلسطيني اليافع يتدفق على معسكرات التدريب للانضمام لحركة المقاومة في الستينيات، ونساء المخيمات والأطفال يتجمعون حول منفذ وكالة الغوث لاستلام المعونات الغذائية، ثم مشاهد من معركة الكرامة في الأردن، وننتقل إلى الحرب الأهلية اللبنانية، ثم لقطات نادرة من مخيم "تل الزعتر" عند اقتحامه من قبل القوات السورية عام 1976. وينتهي الفصل بصورة تجمع بين خديجة والمخرج العراقي سمير نمر الذي عمل في قسم السينما الفلسطينية.

اقتحام بيروت.. سرقة التاريخ المهرب إلى المهجر

في الفصل الثالث يروي جندي إسرائيلي غير محدد الهوية (بصوته فقط) كيف أنه يتذكر جيدا الصورة التي نشاهدها على الشاشة؛ مقر منظمة التحرير في بيروت، ومبنى كبير تطلّ من شرفه ونوافذه

مجموعات من الجنود الإسرائيليين، ويقول: كيف لا أتذكرها وقد كنت هناك، كنت أتمنى نسيان هذه الصورة لكنها ظلت تطاردني.

كان هذا بعد اقتحام بيروت من طرف قوات "شارون"، ويستمر تدفق الصور، حيث الجنود الإسرائيليون يسترخون على الشاطئ بملابس البحر، ويقول الجندي: كان هناك أيضا وقت للتفكير، لكنه لم يكن يشعر بالراحة قط، ثم يتذكر نهب وتجميع محتويات المبنى كله، ووضع الوثائق المنهوبة والصور داخل عدد كبير من الصناديق وشحنها.

في هذا الفصل تظهر لقطات كثيرة مأخوذة من فيلم "حصار مضاد" (1978) للمخرج العراقي قيس الزبيدي الذي عمل في قسم السينما التابع لمنظمة التحرير، وله دور بارز في عمل المونتاج وإخراج عشرات الأفلام التي أصبحت جزء من النضال الفلسطيني الطويل.

"الفلسطينيون.. الحق في الحياة".. أفلام الأجانب عن فلسطين

في الفصل الخامس تعود خديجة حباشنة مؤسسة الأرشيف السينمائي الفلسطيني في بيروت (1969-1982)، تروي بصوتها ظروف التحميض والطبع البدائية، ثم عرض الأفلام في المخيمات، ونشاهد لقطات للمخيمات، بينما تهب عواصف ورياح تعصف بالخيام، والرمال تتطاير، وصوت الريح يصم الآذان.

إنها لقطات نادرة باللونين الأبيض والأسود، تتلوها لقطات لمصب مائي، ثم تحية لمصطفى أبو علي وسلافة جاد الله وهاني جوهرية وعمر المختار، وهم أبرز السينمائيين المؤسسين للفيلم الوثائقي الفلسطيني في تلك الفترة.

ومن الأفلام التي نشاهد مقاطع منها هنا، الفيلم السوفياتي "الفلسطينيون.. الحق في الحياة" (1978) لـ"فلاديمير كوبلان"، وتروي خديجة أيضا قصة إعادة إنشاء الأرشيف وجمع الأفلام التي أخرجها الأجانب عن القضية الفلسطينية أو أفلام التلفزيون، واستعادة الأفلام الفلسطينية التي كانت قد أرسلت للعرض في العواصم الأوروبية.

صورة خديجة حباشنة ومصطفى أبو علي من أبرز السينمائيين المؤسسين للفيلم الوثائقي الفلسطيني

ويظل المرجع الأول البصري هنا هو فيلم قيس الزبيدي "حصار مضاد".

إسماعيل شموط.. لوحات في الأرشيف العسكري الإسرائيلي

في الفصل السادس تقول رونا سيلا إنها قابلت الفنان التشكيلي الفلسطيني إسماعيل شموط والفنانة تمام الأكحل من يافا عام 2005، وقد أطلعها شموط على لوحة لمنزل عائلته الأصلي من رسم والدته، وأطلعته هي على لقطات وصور ليافا صورها الإسرائيليون بعد حرب 1948، وتظهر فيها منازل الفلسطينيين المدمرة التي كانت تجري إزالتها.

هذه اللقطات هي التي نشاهدها في الفيلم، ومنها لقطة متحركة من سيارة تمر على المنازل المدمرة، وهي مأخوذة من الجريدة السينمائية الإسرائيلية التي صورت عام 1951. ونشاهد تفجير المنازل الفلسطينية التاريخية ذات العمارة الأصلية المميزة، وطفلين يهبطان سلما حجريا مهشما بصعوبة بالغة.

من بين هذه اللقطات -كما تقول المخرجة- استطاع شموط التعرف على منزل والدته، هنا نرى مزجا بين صورة المنزل التي رسمتها أمه، وصورة بقايا المنزل كما تظهر في الفيلم الإسرائيلي. وبعد ما تركه هذا اللقاء من أثر عليها قامت "رونا سيلا" بزيارة الأرشيف العسكري الإسرائيلي مجددا، ودهشت عندما عثرت على أفلام صوّرها وأخرجها إسماعيل شموط نفسه مع آخرين تتضمن صورا واسكتشات ولقطات حية، وكانت كلها تعتبر مفقودة.

من مقاطع هذه الأفلام لقطة نادرة لكمال ناصر وهو يقول إننا نريد أن يعرف العالم أن لدينا قضية ندافع عنها، وهدفنا ليس العنف، ثم تظهر لوحة تقول إن عملاء إسرائيليين قاموا باغتيال كمال ناصر في شقته في بيروت في 10 إبريل/نيسان 1973.

هذه الأفلام مُصنّفة تحت بند "أفلام عُثر عليها في الأرشيف الفلسطيني"، لكن الحقيقة خلاف ذلك كما تقول "رونا سيلا" التي وجدت أنها أُخذت من قسم الفنون والثقافة التابع لدائرة الإعلام والإرشاد الوطني بمنظمة التحرير الفلسطينية، ومؤسسها إسماعيل شموط في أوائل السبعينيات.

أفلام الأرشيف.. وعد استرجاع مواد التاريخ المنهوبة

في لقطة نادرة من أفلام إسماعيل شموط نشاهد مبنى مقر منظمة التحرير في بيروت، وتوجد أعلاه في المنتصف تماما صورة بورتريه رسمها شموط لجمال عبد الناصر بعد وفاته في سبتمبر/أيلول 1970، كما نشاهد صورة لـشموط نفسه داخل مرسمه عام 1966 (بالأبيض والأسود)، وعليها ختم منظمة التحرير.

وفي لقطة من فيلم "النداء العاجل" الذي أخرجه إسماعيل شموط نُشاهد مغنية شابة جميلة ذات صوت قوي عذب تغني بالإنجليزية إحدى الأغاني الثورية، وهي ترتدي الكوفية الفلسطينية، هذه المغنية هي زينب شعث، وكان يعتقد أن هذا الفيلم قد فقد إلى الأبد، وكذلك بالنسبة لفيلم "ذكريات ونيران" لشموط أيضا، وهو عبارة عن سرد زمني للتاريخ الفلسطيني عن طريق الرسوم الملونة.

توجه المخرجة الإسرائيلية الحديث إلى كل من زينب وتمام الأكحل في نهاية فيلمها، فتقول إنها أدركت أن هناك كثيرا من المواد التي ما زال ممنوعا الاطلاع عليها، فإسرائيل تشعر بأن هذه الوثائق والصور تمثل تهديدا لسياستها الخاصة في الإنكار، وتعتقد أنها بمصادرة مواد الأرشيف الفلسطيني يمكنها محو الهوية، لكن "رونا" تتعهد بمحاولة استرجاع كل المواد المنهوبة وإعادتها الى أصحابها، وهذا جيد، لكن من الذي سيعيد الأرض المنهوبة إلى أصحابها؟

سينمائيات تونسية

إعداد : منير الفلاح

"وراء الجبال" في مهرجان "البحر الأحمر السينمائي"

يشهد الفيلم التونسي "وراء الجبال" للمخرج محمد بن عطية عرضه الأول في العالم العربي ضمن فعاليات النسخة الثالثة من مهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي والتي تنطلق في الفترة ما بين 30 نوفمبر – 9 ديسمبر الحالي ، وبذلك يعود الفيلم إلى المهرجان إذ سبق وتلقى مشروعه تمويل من صندوق البحر الأحمر.

حصل "وراء الجبال" على عرضه العالمي الأول في مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي حيث شارك في قسم آفاق، وفاز الفيلم بجائزة الصحافة في مهرجان الفيلم العربي بفاماك، وشارك في مهرجان هامبورغ السينمائي ومهرجان بوسان السينمائي الدولي، ومهرجان لندن السينمائي، ومهرجان ساوباولو السينمائي الدولي، ومهرجان بينغياو السينمائي الدولي.

يتتبع الفيلم رحلة رفيق الذي خرج للتو من السجن بعدما قضى أربع سنوات، ولا يوجد أمامه سوى خطة واحدة، وهي أن يصطحب ابنه في رحلة إلى ما وراء الجبال حتى يريه اكتشافه المذهل.

"وراء الجبال" من تأليف وإخراج محمد بن عطية الحائز على جائزة أفضل عمل أول في مهرجان برلين عام 2016 عن فيلمه "نحبك هادي"، ويشكل "وراء الجبال" عودة لمثلث برلين الذهبي إذ يتعاون بن عطية مجددًا مع المنتجة درة بوشوشة والممثل مجد مستورة الحائز على جائزة الدب الفضي لأفضل ممثل عن دوره في "نحبك هادي". ويشارك أيضًا في بطولة الفيلم سامر بشارات ووليد بوشيوة، وسلمى الزغيدي وحلمي الدريدي.

الفيلم من إنتاج شركة Nomadis Images (درة بوشوشة ولينا شعبان) ويشارك في الإنتاج Les Films Du Fleuve (جان بيير ولوك داردان وديلفين تومسون) وTanit Films (نديم شيخ روحو) و010films (جيوفاني روبيانو ولورينزو رابيتي)، وتصوير فريدريك نويرهوم، ومونتاج لينكا فيلنيروفا، وتقوم بتوزيعه عالميًا شركة Luxbox، بينما تتولى MAD Solutions مهام توزيع ومبيعات الفيلم في العالم العربي.

ظافر العابدين يشارك في مهرجان البحر الأحمر السينمائي بفيلمين

يحضر النجم التونسي ظافر العابدين ضمن فعاليات النسخة الثالثة من مهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي، بمدينة جدة السعودية في فيلمين ، كممثل في "أنف وثلاثة عيون"، ومخرجا وممثلا في الثاني "إلى ابني".

وفيلم "أنف وثلاث عيون"، سيعرض عالميا لأول مرة ،ضمن برنامج روائع عربية في المهرجان السعودي، الذي تنطلق فعالياته بداية من الـ30 من نوفمبر الحالي وتستمرّ حتى التاسع من ديسمبر القادم.

وفيلم "أنف وثلاث عيون"، سيناريو وحوارا لوائل حمدي، وهو من إخراج أمير رمسيس، ويعتبر معالجة سينمائية مُعاصرة لرواية الأديب المصري الراحل إحسان عبدالقدوس، التي تم تقديمها في فيلم سينمائي بالعنوان ذاته عام 1972.

و يشارك النجم التونسي، بفليمه الثاني في رصيده "إلى ابني" ، كمخرجا وممثلا بعد فيلمه الأول "غدوة".

وتدور قصة الفليم التونسي "إلى ابني" حول عودة أب سعودي وابنه إلى المملكة العربية السعودية بعد فترة طويلة من العيش خارج البلاد، انتهت بحادث أليم.

"بنات ألفة" لكوثر بن هنية في مهرجان البحر الأحمر السينمائي

يشارك فيلم "بنات ألفة" للمخرجة كوثر بن هنية يشارك في مهرجان البحر الأحمر السينمائي 2023 في قسم " روائع عربية" .

"بنات ألفة " يروي قصة ألفة سيدة تونسية لها من البنات 4 اشتهرت قصتها عبر وسائل التواصل الاجتماعي مع موسم هجرة الشباب الذي التحق بالدواعش في سوريا والعراق، كانت حياة الفتيات الأربع حياة عادية وهنّ يعشن رغم حالة الفقر لكنهن سعيدات مع والدتهن ومن هذا الفقر دائما يدخل التطرف بكل مسميات فوقعت ابنتيها رحمة وغفران في قبضة التطرف وهنا أصبحت الأجواء العائلية كارثية وغابت الضحكات واللعب البريء وأصبح الهم الشاغل للأم كيف تستطيع تخليص بناتها من أنياب التطرف وإعادة الألفة إلى عائلتها، فكانت تتحدث بصوت عال عبر المحطات الفضائية وكانت صرخاتها أشبه بناقوس الخطر الذي يهدد جيل الشباب الباحث عن مخرج لأزمة بلاده السياسية.

ويذكر ان الفيلم التونسي "بنات ألفة" شارك ضمن المسابقة الرسمية لمهرجان كان السينمائي في دورته السادسة والسبعين التي أقيمت في شهر مايو/ أيار الماضي.

وقد استوحي الفيلم من قصة حقيقية لسيدة اسمها ألفة لديها أربع بنات ويعرض رؤية المخرجة والمؤلفة لحياة هذه السيدة سينمائيًا بطريقة تجمع بين الوثائقي والدراما.

فيلم " على طريق الموت" لعبد الستار رقم في مهرجان زنبابواي الدولي

تم اختيار فيلم " على طريق الموت" للمخرجة التونسي الشابي نصرالدين رقم بـالمهرجان الدولي للفيلم بـزيمبابوي الدورة 23 وهو من أهم وأقدم المهرجانات الأفريقية وإنطلقت فعاليات المهرجان يوم أمس وتتواصل إلى يوم 18 نوفمبر الحالي.

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

"بركة العروس" يحصد 3 جوائز في مهرجان فالنسيا لأفلام البحر المتوسط

حصد فيلم "بركة العروس" للمخرج اللبناني باسم بريش، والذي شاركت في إنتاجه شركة ميتافورا، ثلاث جوائز، من بينها أفضل فيلم، ضمن فعاليات مهرجان فالنسيا لأفلام البحر المتوسط، التي أقيمت بين 19 و29 أكتوبر الماضي في إسبانيا.

وإلى جانب جائزة أفضل فيلم في "فالنسيا"، حصل العمل على جائزتين أخريين هما أفضل تصوير وأفضل شريط صوتي.

على مدار ساعة و18 دقيقة، يحكي الفيلم قصّة سلمى، المرأة الستينية التي تعيش حياة منعزلة، ولكن مستقرة منذ سنوات، في قرية جبلية نائية. تبدو المرأة في حالةٍ من الاستقرار والسلام الداخلي، التي لا يعكرها سوى العودة المفاجئة لابنتها الحامل بعد طلاقها من زوجها. تفتح هذه العودة الباب أمام ماضٍ أليم، وتطلق العنان للفوضى في عالم سلمى، التي تبدأ مع ابنتها محاولة إيجاد معنى جديدٍ لحياتهما.

وكتب باسم بريش سيناريو "بركة العروس" برفقة غسان سلهب، فيما أدى دور البطولة كلّ من كارول عبود وأمية ملاعب وربيع الزهر.

وكان العرض الأوّل لـ"بركة العروس" قد أقيم، العام الماضي، ضمن مسابقة آفاق السينما العربية، في الدورة الـ44 من مهرجان القاهرة السينمائي الدولي، حيث فاز بجائزتين، الأولى هي جائزة صلاح أبو سيف (لجنة التحكيم الخاصة)، أمّا الثانية فذهبت لكارول عبود عن أفضل أداء تمثيلي.

"فرقة الموت" آخر أفلام أحمد عز ومنة شلبي

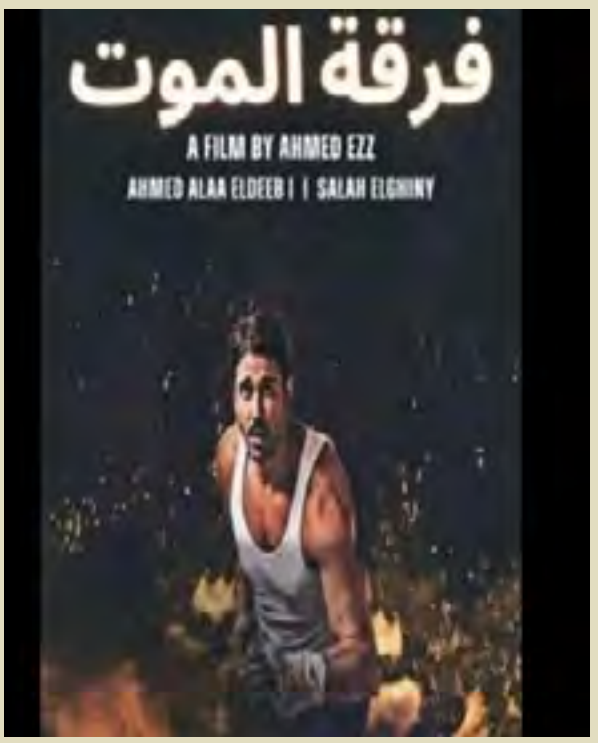

أوشك النجم أحمد عز على الانتهاء من تصوير فيلمه الجديد ، الذى يقدم فيه دوراً مهماً فى أحداثه، من إخراج أحمد علاء، حيث يتبقى للفيلم ما يقرب من 10 أيام وينتهى تصوير العمل بالكامل، وكان أحمد عز قد بدأ تصوير العمل في 10 أكتوبر الماضى، بمشاهد مختلفة في أحداث الفيلم، ثم انتقل بعد ذلك إلى ديكورات مختلفة مع مخرجه أحمد علاء.

فيلم "فرقة الموت" بطولة أحمد عز، آسر ياسين، منة شلبى، محمود حميدة، عصام عمر، خالد كمال، رشدى الشامى، جيهان الشماشرجى وعدد آخر من الفنانين، والعمل من تأليف صلاح الجهينى وإخراج أحمد علاء الديب، وتدور الأحداث في إطار اكشن مثير ويجسد أحمد عز شخصية ضابط.

ويسجل فيلم فرقة الموت التعاون الرابع بين أحمد عز ومنة شلبى في السينما، بحيث اجتمعا للمرة الأولى عام 2004 خلال فيلم "شباب تيك أواى" والذى شهد على بدايات انطلاق الثنائى في عالم السينما، وبعدها التقيا في فيلم "بدل فاقد" عام 2009 بتوقيع المخرج أحمد علاء الديب، وعادا ليكررا التعاون مجدداً خلال فيلم "الجريمة" مع المخرج شريف عرفة العام الماضى 2022 هذا بالإضافة إلى ظهور منة شلبى كضيفة شرف في فيلم "حلم عزيز" الذى قام عز ببطولته عام 2012.

وكان آخر أفلام أحمد عز "كيرة والجن" المستوحى من رواية "1919"، للمؤلف أحمد مراد الذى كتب السيناريو والحوار، وإخراج مروان حامد، وبطولة كريم عبد العزيز، أحمد عز، هند صبرى وسيد رجب، مع أحمد مالك، على قاسم، رزان جمال، هدى المفتى، محمد عبد العظيم، عارفة عبد الرسول، تامر نبيل، أحمد عبد الله محمود وعدد آخر من الفنانين.

عبد العزيز مخيون يعود بقوة للشاشات السينمائية

يعيش النجم عبد العزيز مخيون هذه الأيام حالة انتعاشة فنية تشهد عودته إلى عالم السينما بعد فترة من الغياب، حيث تعاقد مؤخرا على المشاركة فى فيلمين دفعة واحدة هما "ميناتل"، الذى يعتبر من أفلام البطولة الجماعية والحواديت المختلفة التى تدور فى عام 2005 حول كابينة ميناتل، ومن ضمن أبطال العمل كل من سلوى عثمان وطارق النهري وعمرو رمزي وإلهام عبد البديع وعلا رامي ونادية شكري ومحمد أبو داوود وعبد الرحيم حسن وجميل برسوم وأحمد سلامه وليلى عز العرب.

ويشارك النجم عبد العزيز مخيون أيضا في فيلم "الغربان" بطولة عمرو سعد وعائشة بن أحمد ومى عمر وفارس رحومة وعدد آخر من الفنانين الروس والأجانب، وتأليف وإخراج ياسين حسن، وتدور أحداث الفيلم في حقبة زمنية مختلفة تحديدا في 1941 عن الحرب العالمية الثانية ومعركة رومل في العلمين، في إطار من الأكشن والتشويق.

كما يشارك في مسلسل تليفزيونى وهو "بطن الحوت" بطولة محمد فراج وكل من أسماء أبو اليزيد، باسم سمرة، بسمة، سماح أنور، يوسف عثمان، حسام الحسينى، محمود السراج، هاجر السراج.

يذكر أن الفنان عبد العزيز مخيون شارك فى رمضان الماضى فى مسلسل "سوق الكانتو" بطولة الفنان أمير كرارة، من تأليف هانى سرحان وإخراج حسين المنباوى، ويشارك في بطولة المسلسل النجوم فتحى عبد الوهاب، ومى عز الدين، وأحمد جمال سعيد، وآخرون، وإنتاج سينرجى.

مهرجان البحر الأحمر السينمائي يعلن قائمة أفلامه

كشف مهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي؛ عن قائمة الأفلام السعودية، والأفلام الأخرى التي تم اختيارها لنسخة مهرجان هذا العام، إلى جانب الأفلام التي تندرج تحت فئتي "روائع عربية" و"مسابقة البحر الأحمر"، تحت شعار "قصتك، بمهرجانك". وستقام الدورة الثالثة من المهرجان في الفترة من 30 نوفمبر الى 9 ديسمبر.

وتقدم الأفلام المختارة، مجموعة متنوعة من الأعمال العالمية من إنتاج مواهب دولية جديدة، كالفيلم الرومانسي التاريخي "جانّ دو بارّي" – من إخراج مايوين وبطولة جوني ديب – بدعم من صندوق البحر الأحمر، الذي كان فيلم الافتتاح في مهرجان كان السينمائي.

ومن بين المخرجين المرشحين للأوسكار الذين تم اختيار عرض أفلامهم في مهرجان البحر الأحمر السينمائي، كوثر بن هنيّة وفيلمها "بنات ألفة"، وسيعرض ضمن فئة الروائع العربية، وأمجد الرشيد عن الفيلم الدرامي "إن شاء الله ولد"، الذي يعرض ضمن مسابقة البحر الأحمر، والمخرج ضرار خان مع أول أفلامه الذي يأتي تحت تصنيف أفلام الرعب "إن فليمز"، واماندا نيل إيو عن فيلم "خطوط النمر" وبالوجي عن فيلم "نذير شؤم".

وستقدم فئة الروائع العربية 11 فيلمًا تتميز بتنوع مواضيعها الملهمة وتعدد أنواعها، من بينها فيلم "وحشتيني" وهو أول أفلام المخرج تامر رغلي، من بطولة الفنانتين نادين لبكي وفاني اردان، ويحكي قصة امرأة تحاول التصالح مع والدتها، كما يأتي المخرج ياسر الياسري مع فيلم "حوجن" من بطولة براء عالم ونور الخضراء.

ويقدم المخرج مشعل الجاسر فيلم التشويق الكوميدي "ناقة" الذي يحكي قصة فتاة مراهقة تتوه في الصحراء لتصبح طريدة لناقة حقودة، أما المخرج فارس قدس فيقدم فيلم "أحلام العصر" الذي تدور أحداثه حول لاعب كرة قدم مشهور ومتقاعد خسر سمعته، فيجد نفسه مجبرًا على التّعاون مع ابنته لاستعادة مجده عن طريق استخدام وسائل التّواصل الاجتماعي.

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

الدورة التاسعة لـ "بيروت للأفلام الوثائقية" تحت شعار "الحرية والسلام"

تحت شعار "الحرية والسلام" انطلقت الدورة التاسعة من مهرجان بيروت للأفلام الوثائقية والتي تستمر فعالياتها حتى السابع عشر من نوفمبر الجاري، بعرض ستة عشر فيلماً وثائقياً، إلى جانب تنظيم محاضرات ومعارض ونشاطات خشبة مسرح "بيريت" التابع للجامعة اليسوعية في بيروت.

وتتخذ الأفلام المعروضة ضمن الدورة التاسعة طابعا تثقيفيا حيث تتناول مواضيع مختلفة منها الموسيقى والشعر والبيئة والحرب، وأغلبها يوثق مسيرة شخصيات أثرت في التاريخ الإنساني الخاص والمشترك.

ويقيم المهرجان عروضا سينمائية في المكتبة الشرقية، ويمنح جائزة "اليراعات الذهبية" للمخرجة إليان الراهب، عن مشوارها الفني ولإخراجها أفلاما من بينها ما تناول ذاكرة الحرب في لبنان.

بموازاة ذلك تقدّم المُخرجة اللبنانية حصصا تعليمية عن كيفية صناعة الأفلام الوثائقية. كما يكرم المهرجان أيضا الموسيقار اللبناني الراحل إلياس الرحباني (1938-2021)، في أمسية خاصة بالفنان تعرض فيلما بعنوان "ثالث الرحابنة"، وهو فيلم من إنتاج قطري للمخرجة فيروز سرحال، يتبعه تسليم الراهب جائزتها.

ويهتم المهرجان أيضا بإحياء مئوية كتاب "النبي" للمفكر اللبناني العالمي جبران خليل جبران، حيث يخصص ثلاثة معارض عنه في ثلاثة مراكز مختلفة؛ هي متحف الجامعة الأميركية ببيروت، والمكتبة الشرقية، ومتحف جبران ببلدته بشرّي.

وسيعرض المهرجان فيلم "الشاعرة"؛ وهو وثائقي من إنتاج سعودي - ألماني وإخراج شتيفاني بروكهاوس وأندرياس فولف، ويُعرّف الجمهور على الشاعرة السعودية حصة هلال وقصائدها عبر برنامج "شاعر المليون".

ومن الأفلام الوثائقية المُشاركة في النسخة التاسعة من المهرجان الفيلم الكندي "مرآة الآخرين" والإيطالي "بيريغينو". كما سيُعرض الفيلم البلجيكي "قبعة الفنان" والإسباني "غويا" والألماني "الوعد". ومن المقرر عرض فيلم "معركة الأرز" الذي يحكي قصة المناضل البيئي يوسف طوق، الذي كرس حياته لحماية أشجار الأرز وزراعتها.

وسيختتم المهرجان فعالياته في السابع عشر من نوفمبر الجاري بعرض فيلم وثائقي عن الموسيقي شوبان، بعنوان "شوبان أنا لا أخاف العتمة"، من إنتاج بولندي، وسيُعرض بالتعاون مع السفارة البولندية في لبنان. ثَم يُعاد عرض "ثالث الرحابنة"، ليتبعه حفل الختام في حديقة الفرنكوفونية بالجامعة اليسوعية.

"وداعًا جوليا" يفوز بجائزتين في النسخة الـ 18 لـ "قبرص السينمائي"

حصل الفيلم السوداني وداعًا جوليا للمخرج محمد كردفاني على جائزتين ضمن فعاليات النسخة الـ18 من مهرجان قبرص السينمائي الدولي، وهما أفضل مخرج في عمل روائي أول، وأفضل ممثلة في عمل روائي أول، وبذلك يرتفع رصيد الفيلم من الجوائز الدولية إلى 10، وذلك بالتزامن مع النجاح الذي يحققه الفيلم في دور العرض المصرية إذ تجاوزت إيراداته 1.5 مليون جنيه في أول أسبوع له في صالات السينما.

يذكر أن مسيرة الفيلم مع الجوائز قد انطلقت من مهرجان كان السينمائي الدولي حيث فاز بجائزة الحرية وشهد عرضه العالمي الأول. كما وقع اختيار السودان عليه لتمثيلها في الحفل الـ96 من جوائز الأوسكار للمنافسة على أفضل فيلم دولي لعام 2024. وكان الفيلم قد شارك في مهرجان كارلوفي فاري السينمائي الدولي، ومهرجان ملبورن السينمائي الدولي.

وتدور أحداث وداعًا جوليا في الخرطوم قبيل انفصال الجنوب، حيث تتسبب منى، المرأة الشمالية التي تعيش مع زوجها أكرم، بمقتل رجل جنوبي، ثم تقوم بتعيين زوجته جوليا التي تبحث عنه كخادمة في منزلها ومساعدتها سعياً للتطهر من الإحساس بالذنب.

والفيلم من إخراج وتأليف محمد كردفاني الحائز على العديد من الجوائز، وبطولة الممثلة المسرحية والمغنية إيمان يوسف وعارضة الأزياء الشهيرة وملكة جمال جنوب السودان السابقة سيران رياك ويشارك في العمل الممثل المخضرم نزار جمعة وقير دويني الذي اختارته المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين سفيرًا للنوايا الحسنة عن منطقة شرق إفريقيا والقرن الإفريقي، وتصوير بيير دي فيليرز ومونتاج هبة عثمان، ومهندسة الصوت رنا عيد وتصميم أزياء محمد المر.

سيلفستر ستالون يكشف سراً جديداً عن فيلم "روكي"

عاد نجم أفلام الأكشن الأمريكي سيلفستر ستالون بالذاكرة إلى فيلمه "روكي"، الذي كان مصدر شهرته، وكشف عن سر جديد وراء نجاح الفيلم لم يكشفه سابقاً أمام الإعلام.

وذكر أن السيناريو الأصلي للفيلم كان مختلفاً تماماً عمّا ظهر على الشاشة، ولجأ إلى إعادة كتابة السيناريو بناء على أخذه بنصيحة صديقه، وفقاً لما ذكره خلال الفيلم الوثائقي Sly (ماكر)، الذي أعدّته شبكة نتفليكس عن حياة سيلفستر ستالون.

وأشار ستالون إلى كيفية تصوّره لمشروع الفيلم عند قراءة السيناريو الأول، حيث تم تصوير روكي على أنه شخصية "بلطجية"، مستوحاة من فيلم الجريمة للمخرج مارتن سكورسيزي، "شوارع الأشرار" الصادر عام 1973.

لكن وجهة نظر ستالون تغيرت بعدما قرأ أحد الأصدقاء المقربين منه للسيناريو، واعتقد أن الملاكم كان قاسياً للغاية، بحيث سينفر منه الجمهور، وسيؤدي إلى فشل كبير للفيلم.

وبناء على ذلك، أخذ ستالون الأمر على محمل الجد، وراح يبحث عما يمكن فعله لتخفيف حدة طباع الشخصية، فتم ابتكار حبيبة له، وتغيير أسلوب حياة الشخصية الرئيسية على الورق، وهو ما لاقى إعجاب كل من اطلع على النص قبل بدء التصوير.

ألقى موقع "ديدلاين" الضوء على النجاح الكبير لفيلم "روكي" الذي عرض عام 1976، مشيراً إلى أنه حقق أكثر من 117 مليون دولار في شباك التذاكر، وهو ما اعتبرته رقماً ضخماً جداً في ذلك الوقت.

وبعد نجاح "روكي"، انطلقت سلسلة أفلام تتناول سيرة حياة ملاكم "خيالي" يُدعى روكي بالبوا، حيث تم إنتاج 6 أفلام تلت نجاح الأول، وهي "روكي 2" (1979)، "روكي 3" (1982)، "روكي 4" (1985)، "روكي 5" (1990)، وبعد توقف طويل صدر "روكي بالبوا" (2006)، تلاه "كريد" في (2015)، و"كريد 2" في (2018).

ولكن في 3 مارس 2023 صدر جزء ثالث من سلسلة أفلام "كريد"، خلت هذه المرة من أي تواجد لستالون، لذلك لا يمكن اعتبارها جزءاً متابعاً لسلسلة الأفلام، مع العلم أن الباحث عبر يوتيوب يجد فيديوهات لجزأين جديدين "روكي 7" و"روكي 8"، لكنهما ليسا إلا آمال الجمهور المرتبط بالشخصية، ولا يتضمنان إلا مقاطع من الأجزاء السابقة.

وخلال الفيلم الوثائقي، كشف ستالون أنه تعرّض خلال تصوير الجزء الرابع عام 1985، إلى ضربة مؤذية جداً، من زميله النجم السويدي العملاق دولف لوندغرين، اضطرته إلى دخول المستشفى لتلقي العلاج، لأنها كانت "شبه قاضية".

وأشار إلى أنه بعد الانتهاء من تصوير المشهد، شعر بأن أمراً ما غير طبيعي يجري في صدره، مع ألم رهيب جداً، فجرى نقله إلى المستشفى ليتبين أن عضلات القلب بدأت بالتورم نتيجة تعرض الصدر إلى ضربات متوالية.

وفي المستشفى ساءت الأمور أكثر، وارتفع ضغط دم ستالون إلى 260، ما يعني أن الوضع كان خطيراً للغاية.

في قاعاتنا السينمائية

إعداد : منير الفلاح

الفيلم الهندي Léo على الشاشات التونسية

يدور فيلم Leo حول السنة الأخيرة في المدرسة الابتدائية من منظور حيوان الفصل الأليف "ليو" (يؤدي صوته "ساندلر") البالغ من العمر 74 عامًا، والذي أمضى عقودًا من الزمن عالقًا في نفس الفصل الدراسي في فلوريدا، بصحبة صديقه السلحفاة البرية (يؤدي صوته "بيل بير").

وعندما يعلم " Leo" بأن كل ما تبقى له على قيد الحياة هو عام واحد فقط، يلجأ إلى وضع الخطط للهروب وتجربة الحياة في العالم الخارجي، ولكنه بدلًا من ذلك ينشغل بمشاكل طلبته القلقين ومخاوفهم، بما فيها معلم بديل، وبالتالي يدرك في نهاية المطاف أنه قد خاض بذلك تجربة مدهشة ومثرية بشكل غير مسبوق.

فيلم "الأنيميشن " Leo من إخراج كل من روبرت ماريانيتي، ديفيد واتشيتنهايم، وروبرت سمايجل، الذى شارك في التأليف مع النجم آدم ساندلر، وبول سادو.

ويقوم ببطولة فيلم الأنيميشن Leo كل من "آدم ساندلر"، "بيل بير"، "سيسلي سترونغ"، "جيسون ألكسندر"، "سايدي ساندلر"، "ساني ساندلر"، "روب شنايدر"، "جو كوي"، "جاكي ساندلر"، "هايدي جاردنر"، "روبرت سمايجل"، "نيك سواردسون"، "ستيفاني شو"، "نيكولاس تورتورو".

« تشربح سقطة» الفائز بالسعفة الذهبية لكان 2023 في قاعاتنا السينمائية

يتحدث الفيلم عن قصة كاتبة تدعى ساندار، تعيش في منطقة جبلية معزولة عن العالم إلى جانب زوجها الأستاذ الجامعي وابنهما البالغ من العمر 11 عاما. حياتها ستأخذ مجرى معقدا مع مقتل زوجها في حادث حامت حولها على إثره شكوك.

وتبرز من خلال أحداث الفيلم قاعة لمحكمة فرنسية تمثل أمامها للمحاكمة كاتبة تدعى " ساندرا هولر " بعد وفاة زوجها ، حيث تواجه اتهامات بقتله ولكن القضية غير واضحة ولا يوجد شهود على الجريمة.

وتتردد مزاعم بأن الابن الكفيف للزوجين لم يكن في المنزل وقت وقوع الحادث، ولايتمحور فيلم الإثارة النفسية بالضرورة حول حل الجريمة، ولكنه عوضا عن ذلك يلقي الضوء على الخطوط غير الواضحة بين الخيال والواقع وفشل الزواج.

ويذكر أن المخرجة الفرنسية جوستين ترييه حازت بفيلمها هذا على السعفة الذهبية في مهرجان كان الاخير. وتعد المخرجة الفرنسية ثالث امرأة تحصد السعفة الذهبية في تاريخ مهرجان كان.

وعبرت يومها عن سعادتها الكبيرة بهذا التتويج إثر تسلمها للجائزة، وفي الوقت نفسه انتقدت السياسة الحكومية لبلادها، التي تكسر حسب تعبيرها، "الاستثناء الثقافي" الفرنسي، كما نددت بمقاربة باريس لملف التقاعد و"القمع" الذي استخدم ضد المتظاهرين.

ويشار إلى أن ترييه هي ثالث امرأة تفوز بالجائزة الأولى في مهرجان كان السينمائي. وقالت الممثلة الأمريكية جين فوندا، عند تقديم الجائزة إلى ترييه، للمرة الأولى يكون هناك سبع مخرجات في المسابقة. إنه أمر تاريخى لكن يوما ما سيكون طبيعيا". وتحصد ترييه هذه المكافأة السينمائية الرفيعة بعد أربعة أفلام في مسيرتها، بينها "سيبيل" الذي اختير للمنافسة سابقاً في مهرجان كان.

الشاشات التونسية تستقبل هذه الأيام فيلم الحركة The Marvels

إنطلق قاعات السينما التونسية بداية من يوم 8 نوفمبر الحالي في عرض الفيلم العالمي الجديد The Marvels .

وتدور أحداث فيلم The Marvels حول ظهور شرير جديد، يستهدف تدمير كوكب الأرض، لتتعاون كابتن مارفل مع كامالا خان، ومونيكا رامبو، للعمل على منعه، وإنقاذ الكوكب.

فيلم The Marvels، من بطولة، الممثلة الشهيرة، برى لارسون، وبارك سو جون، وإيمان فيلاني، وتيونا باريس، وماكينا جريس، ولاشانا لينش، وزوى اشتون، وجيما تشان، وصامويل جاكسون.

ويعد فيلم The Marvels تكملة لـ فيلم Captain Marvel الذى طرح خلال عام 2019...مدة العرض ساعة و45 دقيقة فقط، أي أنه الأقل في مدة العرض مقارنةً بكل أفلام مجموعة Marvel السينمائية التي بلغ عددها 33 فيلما، وتم تصويره بالكامل ما بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة إلى جانب مدينة تروبيا في إيطاليا.

الفيلم يعرض بتقنية IMAX، ويعد هذا العمل المشاركة رقم 15 للممثل الأمريكي صامويل إل جاكسون بعالم مارفل السينمائي.

ويذكر أنه قبل عرض الفيلم سلطت صحيفة هوليوود ريبوترز الضوء على ردود الفعل على مواقع التواصل الاجتماعي من بعض الصحفيين المتخصصين في السينما الذي تسنى لهم رؤية الفيلم في العرض الخاص قبل إصداره، إذ كتب رئيس تحرير موقع Collider ستيفن وينتروب عبر حسابه بتطبيق إكس: الفيلم رائع، وممتع ومضحك والممثلون جيدون، لكنه ليس من أفضل أفلام مارفل.

فيما وصف الناقد السينمائي ديمبسي بيلوت فيلم The Marvels بأنه يقدم متعة حقيقية من المشاهدة لبطلاته بري لارسون وتيونا باريس وإيمان فيلاني، لكن حجم مشاهد المخاطر في الفيلم قليلة، ويعد مزيجًا من أفلام الحركة والكوميديا.

يشار إلى أن فيلم The Marvels يعد تكملة لفيلم Captain Marvel الصادر عام 2019، والذي حقق مليار و128 مليون دولار إيرادات من شباك التذاكر العالمي، لذا اعتمدت الشركة المنتجة في الترويج له على إصدار مقطع دعائي قبل طرحه بأيام قليلة يذكّر المشاهدين بالفيلم السابق.

عتبات الفنّان خالد ميلاد / ج 5

كمال العيّادي (الكينغ)

فكّ شفرة اللّوحة رقم 17 / من ثلاثة وثلاثين

يستغربُون، كيف لا أكتب بهذا القلم الأزرق، عن البحر وعن السّماءِ. وعن النّدى والحُسن. وعن الورد والقرنفلِ والنّرجسِ....!!!..وكيفَ يرى غيرها، من ابتلاه الله، منذ الطّفولة بعشق الحرفِ بهذهِ القيْرَوَانْ ؟؟...(الكينغ)

في هذه اللّوحة السابعة عشر، وهي لوْحة (التّميمة)، تخلو المدينة من الغرباء، ومن أهلها، وتسكن كلّ حركات البشر... لا قيظ. لا صهد. لا ريح. لا برد. لا مطر... العناصر الأربعة تتعطّل جميعها، وتعود القيروان، كما كانت منذ الأزل، وقبل أن تنبت فوقها غابتها، وقبل أن يقتلعها عقبة بن نافع وجنده من جديد من جذوع وعروق الشّجر... تعود على هيئة لوحٍ في اللّوح المحفوظ. وتعود (تميمة) فيها سرّ قدَرها، منذ البدء، ومنذ قال الله، لأوّل المخلوقات (كُنْ) وحتّى يقبض الله منها أنفاس جميع الخلق، وأوّلها أنفاس البشر...الحرف ومنه (الكلمة). فقط... هذا سرّ هذه اللّوحة السّابعة عشر... ولا شيء فيها أو يشغلها أو يعنيها، غير الحرف والكلمة... أعظم أسرار الكوْن. وآخر ما سيُرفعُ بعد الكائنات وقبلها البشرْ.

فكّ شفرة اللّوحة رقم 18 / من ثلاثة وثلاثين

أجدني، وكأنني المبعثر الذي في هذه اللّوحة، بين اثنتي عشر مشهد، و كأنني في الاثنتي عشر جذاذة... فكُلّ فَجْرٍ جَدِيدٍ, تتحرّكُ النّحلةُ الطنّانةُ المنذورةُ في صدري عندَ السّاعةِ الخامسةِ فجرًا بالضّبطِ وكأنّني آلة مبرمجة. فأهبُّ واقفًا, وأنا أفرُكُ عينيّ بحيرةٍ, ويَستغرقُ مِني الأمر دقائقٍ, حتىّ أعرفَ أينَ أنا. شيء غريب يحدث معي...مرّةً أجِدُني في موسكُو. ومرّة في برلين ومرّة في باريس ومرّة في لندن ومرّة في مِينْسك, ومرّةً في مُيونِيخ, ومرّةً في القاهِرة أو الأسكندريّة, ومرّات أجِدني في مُدنٍ, أتذكرّ بالكادِ موقعها وحُدودَها على الخارطةِ،

مدن غارت في رحم التاريخ منذ ميئات السنين، أو لمْ يحن وقتها بعد، لتكون. مدن مسكونة بالأشباح والعفاريت وتتطاير فيها رؤوس مقطوعة بجناحين، على شاكلة الطير. مدن تسمع فيها (خوار) مرعب ونشيج. مدن لم تعد وطنا للبشر. مدن تسكنني كاللّعنة. مدن تتراءى لي كالنداء، فإذا هيّ ليست القيروان التي أنشد, مدن أكاذيب وزور، مدن ما كان لها أن تكون، ليس في هذا الزّمن... عندها أنتبه لحالتي وانني بلا نعال، فأهرشُ رأسي مندهشًا. وأمضِي للمطبخِ لأعدّ الشايَ, وأنا أتساءلُ عن سِرِّ هذهِ القيروان الملعونة التي تُزَوِّرُ مَداخلها وأسوارها وبُنيانها وألوانها, وتتنكرُّ لِي في أشكالِ مُدنٍ غريبةٍ وتنتحلُ أسماءَهَا فوق ذلك للمزيدِ منَ التضليلِ. ثمّ أنسَى الأمرَ كلّهُ وأبدأ في كتابة رقعة جديدةٍ عن سحرِ مدينتِي القَرين التي لا تسمح لروحي بالخروج منها والسفر ككلّ خلقِ رَبِيّ لأكتبَ عنهَا بأكثرِ حميميّةٍ, وأراسلهَا مُتغزّلاً, شَاكيًا لهَا وِحشة الغُربة بعباراتٍ تتفصّدُ شوقًا ووجدًا وأشِي بها للعالمين...يا لقسوةِ ويا لجبروتِ هذهِ المدينةِ العجوزِ المتربةِ الصّارمةِ الصّفراءِ...ويا لرائحةِ البخورِ الذِي يضوعُ مِنها ويا لسحرِ المناديلِ المعقودةِ في شبابيكهَا الحديدِ..كأنّنِي أموتُ كلّ فجرٍ, فقط, لأبعثَ عاشقًا لهَا ومُتيّم بهَا وبطلاسمِها وأحَاجِيهَا مِنْ جَدِيدٍ..ليتني أتجمّع من جديد....

فكّ شفرة اللّوحة رقم 19 / من ثلاثة وثلاثين)

((ستذكرُ القيْرَوَانُ بَعدَ ألفٍ ممّا تعدّونْ, أنّنِي كُنْتُ أغازلها مَعَ كلّ آذانِ فجرٍ, بشَغَفِ نِدَاءاتِ العِشَاءِ الأخيرْ, حتّى وأنَا في حُضْنِ مُدُنٍ شَقرَاءْ بعيُونٍ زُرقْ....(الكينغ)....))

اللوحة ثلاث عتبات: في الاعلى فجر وسكون وبشائر عام جديد... والقوس يحفظ لون المدينة من كلّ لون عربيد...وفي قاع اللّوْحة، نجد المدينة تعجّ بالحركة وكأنّها مقبرة عامرة بالأحياء والزّوار... والقوس عاد جسرًا بين أصحاب البيت (المقبرة) المقيمين للأبد...

والزّوار، الذين يملؤون المدينة صخبا وضجيجا ويجاهدون للخروج من شبكة مشاكلهم الأرضيّة المستعجلة والمضحكة... هذا ينتحر لأنّهُ لا يملك ثمن بيتٍ ... والآخر يموت بذبحة صدريّة بسبب كثرة البيوت... وليس لكلّ في النّهاية غير بيت واحد... يبدأ كما اللّوحة ببشارة ولون محفوظ... وينتهي لمقبرة وسكون ولو علاه الصّخب والضّجيج... وبين هذا وذاك... لا يبقى من القيروان، غير ما دوّنه عشّاقها من المبدعين: لوحة تحفظ قصيدة بصيغة تنهيدة... ولحن مبهج، يسمع من بعيد، كالنّشيج، أو كرجع الأنينْ...

فكّ شفرة اللّوحة رقم 20 / من ثلاثة وثلاثين

((...ثمّة مدن نسكنها وثمّة مُدن تسكننا... والقيروان روح تسكن عشّاقها / - الكينغ- ...))

اللّوحة رقم 20، هي إكتمال تكامل الأضداد، وقد عبّر عنه القنّان بتوزيع اللون إلى ثنائيّة تقابل. وإلى نصفين: النّصف (الأصفر البنيّ) و النّصف (الأخضر الفيروزيّ).... وهذه الثنائيّة لسان حال كلّ مبدع يستلهم فنّه من القيروان، ويصفها...هيّ لسان حال كلّ مبدع فيها، تقريبا... وربّما كنت أكثرهم قربا ومزاجا إليها... فدعك من أنّني غير أمينٍ في القَيسِ والعَدِّ ولا في المِيزانِ, كلّما تعلّق الأمر بالقيروانِ. وأنّني أزيدُ كثيراً, وبشكلٍ مفضوحٍ في مِساحتها وأمدّد ببذخ في طولِ أسوارِها وقِبَابِها وأبوابها وأقواسها ولا ألتزم إطلاقاً بمُقرّرات كُتب التاريخِ والجُغرافيا حين يتعلّق الأمرُ بحدودِها التاريخيّة أو الجُغرافيّة. ودَعكَ من أنّني أضلّل العابرين كثيراً وأقّدم لهم بياناتٍ مغلوطةٍ تماماً كلّما كتبتُ عمّا حباها اللّه بهِ من خيراتٍ وضيعاتٍ عامرةٍ ورزقٍ وفيرٍ وكُنوزٍ مدفونةٍ في زوايا لم تُوجد في يومٍ من الأيّامِ, وأنّني أقدّمها دائِماً وكأنّها عروسٌ من الجّمانِ ترفلُ في أثوابٍ من الزّبرجد والعنبرِ والماسِ واللؤلؤِ, وهي التي لا يكادُ حالها يخفى على قريبٍ أو بعيدٍ, وهي التي عانت وتُعاني منذ قرنٍ من الزّمان من الإهمالِ والنّسيانِ والجُحودِ واللامُبالاةِ, وأنّ نِصفَ شبابها عاطلٌ عن العملِ وبلا موارد رزقٍ, وأنّ معاملها ومصانعها تُعدّ على أصابعِ اليدِ الواحدةِ أو أقلّ. وأنّ الحُفرَ فيها أكثر من المُشاةِ في شوارعها, وأنّها مُغبرّة, مُتورّمة, منهوكة, موجوعة, مُهانة, ذليلة من كثرة الوحل والزّبالة والخصاصة وكثرة الغُبارِ والناموسِ والفقرِ والحاجةِ والإذلالِ والضيقِ والاختناق صيفا, وهي الغارقة في الوحلِ الآسِنِ ومياه المجاري الحائِضة حين تفيض بنزقٍ وتتطاولُ على مدينة المقابر والزّوايا العجوز شتاء..وأنهّا..يا لو أنّني أكملتُ في وصفِ حالِها, لأجهشتَ قبلي بالبُكاءِ على أحوالِها, ولأشفقتَ عليها من تلاقي كلّ هذه المصائِب والمِحن وفساد الحُكّام والظّلم والرزايا عليها, وهي التي لم تتعوّد بدلال, وهي التي لم ترفل في عُرسٍ ولم تُشنشِنْ يومًا برنّةِ الخُلخالِ. وهي التي لا يخطر حجم وجيعتها وصبرها وعزّة نفس طينها وأهلها على بالٍ.... ولكن, حين يتعلّق الأمر بالكتابة عن القيروان لا يُمكن لي أن أرها إلا في صورة بديعة فاتنة ولا تحضرني إلا وهي عروس تعبق برائحة البخور والحكايا والأسرار....ثمّة مدن نسكنها وثمّة مُدن تسكننا...والقيروان روح تسكن عشّاقها وتتفنّن ككلّ أمّ صارمة في مُعاقبتهم بسوط الحنين الموجع كلّما ابتعدوا عن حضنها واسوارها...

اللمسة العجائبية في أبهى تجلياتها :

تجربة الفنان التشكيلي حكيم صفر

جلال باباي (شاعر وناقد)

انتظرنا حلوله بصالون الرواق سوسة جوهرة ضمن مشاركته المتميزة في المعرض الجماعي»قلق» Anxiety , وبادرناه مثل كل استجواب صحفي عن السيرة الذاتية وما جاورها من خصوصيات فتاكّد لنا أن الفنان حكيم صفر رغم ان رحلته على تخوم الرسم تنحت عتبتها الاولى ، ممتلأ بثقافة تشكيلية كافية بان تجعل منه مشروع فنان قادم السنوات ومهيُأ بان يفتك مكانه في المشهد التشكيلي ان توفرت في شخصه المثابرة وطول النفس والايمان بإمكاناته الابداعية التي تنتظر ان تتجلى وتنهمر على سطح القماشة ، قبالة هوس متقادم انتاب الرسام حكيم صفر .... حيث اقتادنا اللقاء في التعرف على مرجعياته الاولى وتقنيات اشتغاله على اللوحات ، فافادنا بانّ التقنيات التي يستعملها في أغلب اعماله هي التشكيل والنحت علي الطين المدعوم بالاسلاك الحديدية، بعد انهاء عملية النحت يقوم بتلوينها ببهارات الاكريليك،

هذا بفضل اكتسابه الكثير من الخبرات والمعارف ذات العلاقة بالنحت على مدى خوضه لتجربة ذاتية تواصلت 5 سنوات ، لتتكون لديه الروح الفنية بواسطة فضوله الجامح لاقتناص نصيب من المعرفة المتعلقة بمجالات فنية مختلفة تضيف له قيمة وخصوصية للمسته الاستثنائية، مما خلق لديه الرغبة في اقتحام مناخات

لأجناس فنية جديدة مغايرة للمعهود هي فنون تبدو من أول وهلة غريبة عنه مثل الرسم

نظرا لتاثره الكبير بالمدرسة السريالية نذكر من ابرز روٌادها الفنانين الذين أثٌروا في مجال عمله الفني القريب من الدهشة ووجهوا ريشته نحو مسار متفرد ونحتوا وجهته التشكيلية من ذلك : سالفدور دالي ،اندري بروتن ورينيه مقريت.

شارك الرسام: حكيم صفر في الكثير من الورشات الفنية بعدد من التظاهرات آخرها السمبوزيوم بمدينة المهدية أين تمكٌن من عديد الفرص والمواعيد ليضاعف من ثقته في إمكاناته .

رسوم تخاتل عالمها العجائبي

عندما تجتمع لوحات الرسام حكيم صفر لا يمكن تصنيفها برسم عادي بل هي أقرب إلى منحوتة تروي حالة وجودية و شعور انساني يعبر إما عن الخوف او الحيرة ، تجبر المتلقي بالوقوف عندها باعتبار اقترابها للحالة الانسانية في مختلف ايقاعاتها وتعبيرها الصادق عن القلق المستمرٌ الذي بنتاب الإنسان في هذا العصر العاصف بالتقلبات ، لذا من الصعب تصنيف رسوم حكيم صفر بالعادية المتداولة عند معظم الرسامين ، بل بمكن نعتها وتوصيفها برواية الحالة وتجسيمها أشبه بلقطة تعبيرية او مشهدية ناطقة تعكس هاجس الخوف من القادم والشعور بتنلمل الذات وقلقها المستمر فكاني بالرسام واع بنواميس فلسفته التشكيلية او بشكل آخر الصورة « الهوليودية « التي نسجها باتقان حكيم صفر فتترائى إلينا اقرب إلى مشاهد سينمائية تغلب عليها التيمة العجائبية الباهرة لتشدٌ إليها الناظر شدًا قويًا.

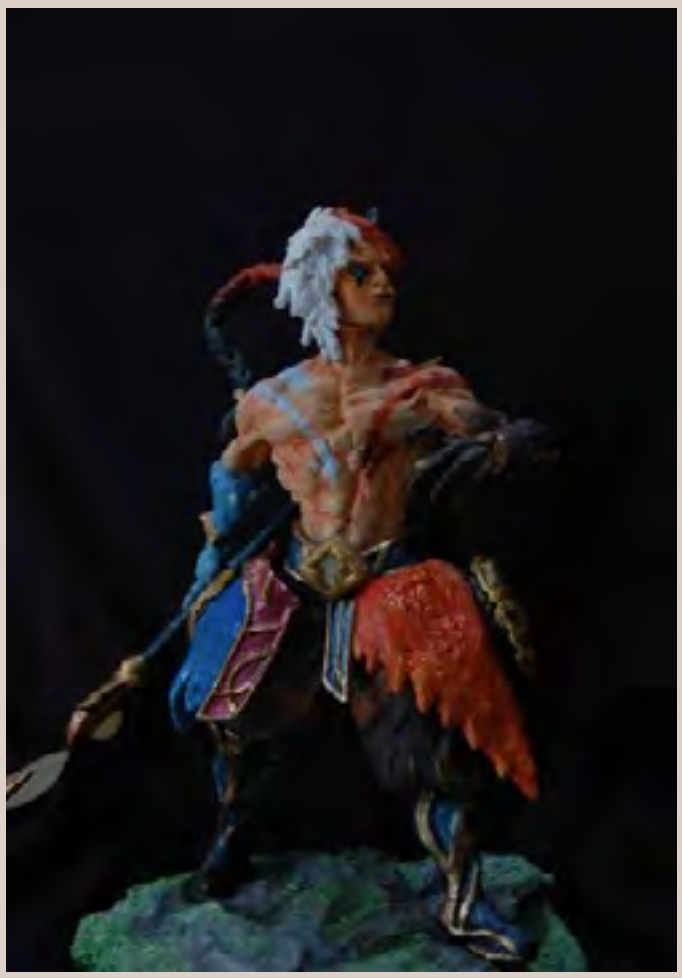

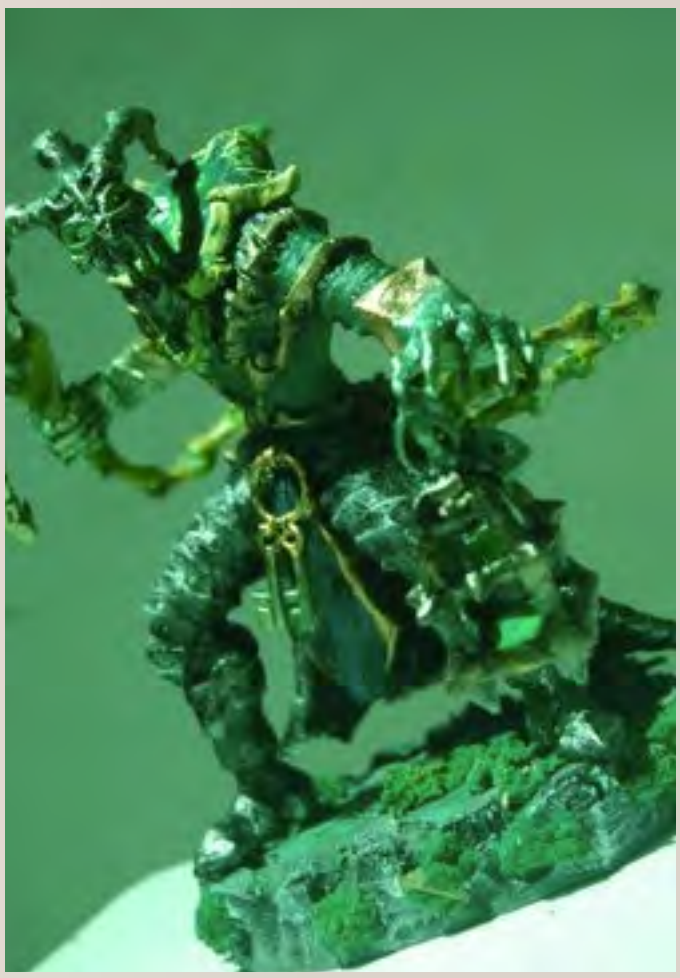

في تجربة الفنانة التشكيلية لبنى الحمروني قبيل معرضها الشخصي بالعاصمة

شمس الدين العوني

الفن فكرة الشغف و الحلم حيث يمضي الكائن الى ذاته بحثا عن الآخر الكامن فيه وفق تقصد للجمال و الجوهر و المهم بكثير من رغبات الدواخل و ما به تسعد الكينونة و هي ترى في العناصر و الأشياء و الوجوه حالات شتى يجمع بينها هذا النشيد...نشيد الفن و الألوان مثل أطفال بذاكرة ملونة..

هي فنانة تبحث عن ذاتها في كثير من القول بالنظر و البحث و القلق الذي يفضي الى بعض ما بها من حلم هو صديق منذ طفولتها حيث ترى العالم محتاج الى علبة تلوين لذلك هي تسعى في حبها للفن و دروبه الى تحويل الكائنات و الأمكنة الى علبة تلوين يلهو بها الانسان بعيدا عن خراب الأحوال وهول الحروب حيث السلام و الفرح و الأمل و هي رسالة الفن من أزمنة الانسان القديمة.

لبنى الحمروني فنانة تشبعت منذ صغرها بحب شديد للرسم و التلوين و كان لها أن مضت في هذا المجال لا تلوي على غير القول برسم ما تتخيره من مشاهد و وجوه و مواضيع متعددة حيث الأنثى في تجليات لونية على القماشة و في لوحات أخرى تبرز في تماهيها مع الخط العربي وحروفه الساحرة وكأن اللوحة مجال رقص و حوار ملون محفوف بالخطوط و الكلمات..تنوعت أنشطتها ومشاركاتها المتعددة في تونس و خارجها و كان أن ميزت بحضورها مؤخرا اللقاء الثقافي و الفني بفضاء « الرواق » بسوسة الجوهرة حيث كانت مشاركتها الفنية التشكيلية ببعض اللوحات ضمن حضور واسع لعدد من الفنانين و الفنانات في معرض متنوع بعنوان « قلق « حيث كانت لوحاتها معبرة عن نهجها الجمالي الذي أرادته لبنى الحمروني من سنوات و مضت وفقه لا تلوي على غير القول بالفن و الرسم و التلوين مجالات فرح و حب و لقاء و ابداع...

انطلقت تجرة الفنانة التشكيلية لبنى الحمروني مع الفن التشكيلي باحساس وشعور داخلي هو عشق الفن فكانت البداية نتاج الموهبة الفطرية التي تراكمت بتلقي ابجديات الفن من اساتذة اكاديميين و المشاركة في ورشات تدريبية على الرسم والخط العربي و الاحتكاك بفنانين و المشاركة في الملتقيات والعارض الفنية حيث ترى أن « الفنان يجب عليه صقل موهبته ليكون مبدعا و يصنع نفسه بنفسه و هكذا دخلت عالم الاحتراف ليصبح الفن عندها الجزء المهم في حياتها فهي لا تميل الى موضوع معين او اسلوب واحد ففي كل مرة تجرب نمطا جديدا و قد استلهمت اعمالها من الملامح البشرية خاصة المرأة والطبيعة و في بعض الاحيان تحملها ابعادا ثقافية عربية من خلال الخط العربي واعتمدت على الملمس والشكل و اللون حتى تستطيع التعبير عن مشاعرها تجاه كل ما تعيشه من احداث في حياتها... وعن توظيفها للخط العربي فهي تعتبره مصدر الهام و اشارة للاصالة والاعتزاز بالتراث والهوية العربية كما ان مرونة الخط العربي تضفي احساسا بصريا ونفسيا رائقا و عميقا و ايقاعا جميلا و هي تقول « ..في اللوحة حلمي بان ارفع شعار البهجة و الحب و الجمال والسلام لاني ارى ان الناس تحتاج الى ذلك طوال الوقت.. أنا أعد لمعرضي الشخصي برواق بالعاصمة قريبا لي حلم ببعث ورشة فنية للابتكار والابداع...».

هكذا هي لعبة الفن الجميلة التي غامرت ضمنها و فيها و بها الفنانة لبنى حيث التلوين و الاحالة على ما في دواخلها من أحاسيس و أحلام وفق تنوع أعمالها الفنية و ثيماتها لتبرز كما ترى ذات الفنانة في مختلف المشاركات ضمن المعارض الفنية والتظاهرات الثقافية التشكيلية في تونس و خارجها.

و عن هذه التجربة التي تخوضها فنا و ابداعا تقول الفنانة التشكيلية لبنى الحمروني «...أنا اصيلة مدينة صفاقس ومقيمة بسوسة مستوى التعليمي السابعة اداب و متحصلة على تكوين في الاعلامية و التصرف متحصلة على بطاقة حرفية للرسم والتزويق على جميع المحامل من الديوان الوطني للصناعات التقليدية بسوسة لدي بطاقة عضوية في اتحاد الفنانين التشكيلين بتونس فنانة عصامية موهوبة بخبرة تتجاوز عشر سنوات اتقن مختلف انواع الرسم مختصة في الرسم بالالوان المائية والزيتية قمت بصقل موهبتي عبر المشاركة في العديد من الورشات والمعارض متحصلة على العديد من الجوائز والتكريمات اهمها مشاركة في دار الابرا المصرية لملتقى المبدعين الدولي التاسع عشر 2018 متحصلة فيها جائزة احسن خمسة فنانين متميزين و مشاركة في ملتقى بصمات الفنانين التشكلين العرب 16 بقاعة الاهرام مع وحيد البلقاسمي رحمه الله و مشاركات عديدة بمتاحف وطنية و بفضاءات بالمهدية و سوسة و تونس و المنستير مع العصاميات ضمن ملتقاهن و بدأ ولع الرسم معي منذ الطفولة فهو بالنسبة لي مهم جدا في حياتي و رسالة هادفة وهو المتنفس الوحيد الذي استطيع من خلاله ان اعبر عن كل ما يخالجني من مشاعر واحاسيس وافكار لتصل للمتلقي بطريقة و رؤية فنية جميلة ...»

تجربة و فسحة مع الفن التشكيلي في تنوع من التعاطي معه حلما و انجازا و تشوفا نحو الأفضل حيث الفن بأسواره العالية و الابداع بشديد الدأب و العزم و الرغبات تجاهه و لا يملك عندا الكائن الشغوف بالفن الا أن يمضي في المغامرة بكثير من النظر و البحث و ...الأمل.

جهات

القيروان

انتظمت بفضاء دار العلاني بالقيروان اشغال الندوة الدولية "الروحانية الاسلامية بين الواقع والافاق"والتي إمتدت من 10 الى 12 نوفمبر بحضور عدد من الضيوف من تركيا والسينغال ولبنان والجزائر والمغرب وايران والسودان ومصر.

وتضمن برنامج الندوة 7 جلسات حوارية حول المشهد الصوفي التونسي من خلال الاتحاف لابن ابي الضياف والروحانية بين العبارة والاشارة والروحانية والتعبيرات الجمالية والطرق الصوفية بين الشريعة والحقيقة.

كما تضمن برنامج اليوم الأول لقاء مع عدد من مشائخ ومريدي الطرق الصوفية إضافة الى حفل موسيقي.

نابل

استعرض أعضاء جمعية مهرجان نيابوليس الدولي الخطوط العريضة لدورة هذا العام التي ستحتفي بالطفل الفلسطيني تزامنا مع ما نشهده من أحداث أليمة، وستنتظم الدورة 36 لهذا المهرجان في الفترة الممتدة بين 17 و24 ديسمبر القادم. وتتمثل أقسامه في المسرح في القاعات وفي الشارع والفضاءات العمومية، إلى جانب الندوات والورشات للأطفال والتربصات لفائدة الطلبة، فضلا عن تخصيص ورشات في فن الحكي وتنظيم "أيام الحكواتي الصغير" التي ستُقدم في فضاءات مفتوحة.

وستستقبل هذه التظاهرة الدولية فرقا مسرحية من دول عربية وأجنبية على غرار فلسطين والجزائر والمملكة العربية السعودية ومصر وليبيا والصين واسبانيا وايطاليا وغيرها.

مدينة الثقافة بالعاصمة

في إطار الاحتفاء بالذكرى 75 للاعلان العالمي لحقوق الإنسان، وتحت إشراف وزارة الشؤون الثقافية نظمت المؤسسة التونسية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة الايام التونسية للملكية الادبية والفنية في دورتها الثانية تحت شعار "تمكين المرأة والملكية الفكرية حق من حقوق الانسان" وذلك يومي 9 و 10 نوفمبر 2023 بمدينة الثقافة الشاذلي القليبي.

وتضمن البرنامج معرضا تشكيليا بعنوان "لأجلك، فلسطين" شارك فيه عدد هام من الفنانات التونسيات تعبيرا منهن على مساندتهن للقضية الفلسطينية، إلى جانب تنظيم ندوات ومحاضرات حول أهمية تمكين المرأة الاقتصادي والاجتماعي فضلا عن استعراض لتجارب نسائية ناجحة.

سيدي بوسعيد

في إطار صالونه الثقافي الأول "مَجَالِس النَّجْمَة الزَّهْرَاء"، احتضن مركز الموسيقى العربية والمتوسطية صباح يوم الثلاثاء 07 نوفمبر 2023 محاضرة من تقديم الأستاذة سلوى بن حفيظ بعنوان "النَّجْمَة الزَّهْرَاء فَضَاءٌ للذّاكِرَة وَالإبْدَاع : أَهَمِيّة التُّرَاث المُسَجَّل"، استعرضت ضِمن مَحاورها أهم مكونات الأرشيف المحفوظ بخزينة المركز، من خلال تصنيفه إلى ثلاث روافد تتكون من رافد أول مُصنَّف ضمن خانة الأرشيف الورقي، يتركب بالأساس من أرشيف البارون رودولف ديرلانجي الموسيقي والإداري والعائلي، وأرشيف كل من الأستاذ المنوبي السنوسي وعدد هام من المخطوطات المنضوية ضمن عدة مجالات علمية والعديد من القامات الموسيقية التونسية والمشرقية، إضافة إلى عدد من المستشرقين الذين فعّلوا مجال البحث الموسيقي من عدة زوايا، ورافد ثان متمثل في التسجيلات السمعية المحفوظة بالخزينة الوطنية للتسجيلات الصوتية والذي يحتوي على ملفات سمعية تُمثِّل ذاكرة الموسيقية التونسية والعربية، إلى جانب رافد ثالث متمثل في القسم المرئي الخاص بالصور الفوتوغرافية والرسومات التي وقع جمعها وحفظها.

وقد أشادت الأستاذة سلوى بن حفيظ في مداخلتها على أهمية هذا التراث، مبرزة في معرض حديثها مدى تنوعه، وما يمكن أن يتيحه من إشكاليات علمية يمكن تناولها بالدراسة ضمن ورقات بحثية تشمل عديد الاختصاصات، على غرار الموسيقى والفنون، وباقي العلوم الإنسانية والأدبية، مشيرة إلى معطى إتاحة هذا المخزون التراثي إلى عموم الباحثين عبر موقع المركز على الانترنات وذلك قصد الاطلاع على ما يخفيه من أسرار وخبايا.

المرسى

نظم مركز تونس الدولي للاقتصاد الثقافي الرقمي يومي 11 و12 نوفمبر 2023 بقطب الإبداع والفنون الرقمية الفاضل بن عاشور بالمرسى "مكان" تظاهرة "HACK ELMAKAN" التي تهدف الى حث المشاركين فيها من مفكرين ومبدعين وعشاق التكنولوجيا على خلق وتطوير مشاريع ثقافية رقمية مميزة ومبتكرة.

نابل

تنظم دار الثقافة نابل بالتعاون مع الجمعية الثقافية للعمل السينمائي Action 201و نادي سينما حقوق الانسان وشبكة أنهار عرض فيلم سينمائي طويل يحمل عنوان "The Tower" للمخرج "ماتس غرود (النرويج) وذلك عشية يوم السبت 18 نوفمبر 2023 على الساعة 17.00.

وهو اول فيلم يقدم قصة فلسطين من خلال الدمى المدمرة بالتقنيات الحديثة ويتناول قصة اللجوء في المخيمات بعد نكبة 1948.

انتاج: 2018 مدة العرض: 70دقيقة

ينتظم معرض الفنانة التشكيلية مروى قديمة "شظايا"بالمركب الثقافي نيابوليس نابل من 11 إلى غاية 25 نوفمبر 2023 بالرواق العلوي المركب الثقافي نيابوليس

مروى قديمة، دكتورة في علوم و تكنلوجيا الفن و خريجة المعهد العالي للفنون الجميلة بنابل و أستاذة تربية تشكيلية...

فضاء الإبداع

قصة

تُرى

محمد فطومي

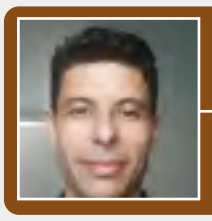

* «دعك من الأسئلة. هنا لا أحد يسأل لماذا حدث أي شيء.
أنت غريب وأنا أعرف الغرباء من عيونهم الضائعة. إنّها مهمّتي.»

(حيدر حيدر)

****

كنت أجمع أغطية علب الحليب في صغري. كنّا وقتها نظنّ أنّنا إذا جمعنا الكثير منها استبدلونا إيّاها بسيّارات حقيقيّة. عزمت أن أهدي السيّارة الأولى إلى والدي فقط لأبرهن له أنّ الحياة سهلة، وألّا قيمة للأشياء. وألّا معنى لغيابه طوال النّهار من أجل قفّة هزيلة في الأسبوع.

حدث أيضا أن انفرط عقد لؤلؤ مزيّف كانت «وحيدة» ابنة خالي تزيّن به جيدها. لم تحاول جمعه. اعتَقَدَتْ أنّه لن يعود كما كان، حصلتُ منه على حبّة. أردت أن أثبت لها أنّي فتى خارق وأنّ في استطاعتي فعل الكثير من أجلها. سمعت أناسا لا أعرفهم يتحدّثون عن تكاثر حبّات اللّؤلؤ بمجرّد حفظها في القطن مدّة طويلة. كتمت عنها السرّ. قلت في نفسي: سأدهشها بالعقد، ثمّ سأنصرف دون أن أصغي لعبارات المديح تماما كما يفعل زورو. لم يذكُروا شيئا عن المدّة التي على اللّؤلؤ أن يقضّيها في القطن، لذا كان عليّ أن أنتظر ستّة أشهر قبل أن أيأس. لم يتكاثر اللّؤلؤ، لم يمنحني الحظّ فرصة الظّهور بمظهر الخارق أمام «وحيدة». وقلتُ: ليس من العدل ألاّ تستجيب الكيمياء للرّغبات الملحّة جدّا. الصّادقة جدّا.

ثمّ بعد ذلك خطبها مُشعوِذ قذر. قبلت به ورفضتني.

يكفي أنّ الذي قبلت به وحيدة لا يفهم أنّ عليك احتضان حبيبتك شهرا كلّما روت لك حادثة عبث في طفولتها.

ولا يدرك أنّ للفتيات الجميلات مثلها ألغازا دقيقة، هنّ على يقين، بأنّ الرّجال جواميس لا يقدّرونها.

لبثتُ أعوامي الأربعة الأولى في المدرسة مُمَزّقا بين حَضْنِ اللؤلؤ وبين أغطية علب الحليب وبين جمع الأسئلة:

« ترى هل سيفرجون عن أخيك بينهم؟»
« من بالباب يا تُرى؟ »
« تُرى متى ينطلق قطار العاشرة؟ »
«تُرى متى سيتوب والِدُك؟»
« ترى هل سنسترجع القدس؟»
« هل سيمرّ أنبوب الماء بالقرب من بيتنا يا تُرى؟ »
« تُرى أين نحن؟ »
« ترى كم عدد كجّات سلمى؟ »

كنت أجمع الأسئلة، وبي حيرة قاسية: من «تُرى» هذه التي تملك إجابة عن كلّ الأسئلة؟

كانت سعادتي ستفوق قدرتي على تحمُّلِ السعادة لو لبثتُ أبدا في حماقتي تلك. لكن يبدو أنّ هناك مقدارا من السرور لا يحقّ لنا أن نبلغه والوجود يعلم هذا، لذلك كشف لي عن حقيقة تُرى في الصفّ الرّابع. اليوم أحتاج إلى تلك الحماقة أكثر من أيّ وقت مضى. كنت سأعدّ لـــتــرُى حجرتي كما يليق بنابغة لا يتعذّر عليها الإجابة عن كلّ الأسئلة. كنت سأزيّن لها الطّاولة بأفخر أنواع النّبيذ والشكولاتة. كنت سأُجلسها على كرسيّ قبالتي كي تستريح ثمّ أروي لها مزحتي الخطيرة وأنا في سنّ العشرين، عندما أردتُ، من باب الفضول، أن أُطِلَّ برأسي على ما بعد الأربعين لأرى ما يحدث. وكيف لم أتوقّع أن تكون اللعبة غاضبة إلى ذلك الحدّ لتسحبني. وأروي لها حكايتي مع اللؤلؤ وأروي لها كيف سرقتُ من جيبِ والدي ثلاثمائة ملّيم الاثنين الماضي لكي أشتري جريدة «البيان» حيثُ يُفترضُ أن تفوز نكتتي بخمسين دينارا. كنتُ في ذلك الوقت قد قرّرتُ أن أفوز كلّ أسبوع. مرّت الآن ثلاثون سنة على يوم الاثنين الماضي. كنتُ سأشبّه لها ما حصل لي، مُرجّحا أنّها مُغرمة بالتّشابيه الجميلة: كنتُ سأقول لها: لقد أُلقِيَ بي في «الآن» دون أن أرتكب إثما يستحق ذلك. كنتُ كأنّي أحملُ العمر في حقيبة مثقوبة وأنا عائد إلى البيت مُحبَطًا وفي يدي الجريدة فانسكبت منها ثلاثون سنة دون أن أشعر. كأنّ الجريدة التي اشتريتُها منذ ثلاثين سنة كان عليها تاريخ اليوم. كأنّ حمولة نفيسة كنتُ أجرُّها خلفي قد نُهِبت منّي في طريق العودة إلى البيت.

كنتُ سأسألها:

«متى يصدّق السكارى أنّ الكرمة مريضة؟»

كنت أيضا سأسألها وأمهلها دقائق للتّفكير:

ترى.. هل «وحيدة» بخير؟

«متى نلتقي»

ربيعة الفرشيشي

صوتك الغيب بعثرني ...شتتني ...جزاني ...اين سمعته ...اين سمعتك ...غيابك الحضور ...جمعني ...ركبني ...أنثى اخرى نحتني ...كما حكايتك اللانهاية ..."متى نلتقي "...فراشة الربيع فجرا تجملت ...تعطرت ...تضمخت شوقا ...تعتقت نشوة ...حنين السفر لبست ...الى مدن ثلجية نائية ...قررت الرحيل ..."متى نلتقي "...يا الوجه الطفولي ...تذوي الثلوج في تلك الأقاصي ...تتبرعم الزهور ...تتورد الارض ...الوانا أزاهير يلبس وجهها الألق ..."متى نلتقي"...الهاتف بين يدي يرتجف ...يتكهرب ...معه اتكهرب ...لا أقوى على مسكه ...حرارته ترتفع ...معه تتأجج حرارتي ...تلهبني ...أعماقه تتمطط ...تتمغنط ...هاتفي يرمقني في صمت ...بيني وبينه ...بوح دفين ...فيه ارى عينيك اللالون ...متى افتككت مني الواني ...كيف مزجتها...صهرتها لونا واحدا ...لا لون له ..."...متى نلتقي "...هل التقينا يوما ما ...في اي محطة من محطات أسفاري التقيتك ...في اي دفتر من دفاتري أسكنتك ...خلقتك كما أردتك ...كما أحببتك ان تكون ...حكايتي انت يا الوجه الطفولي ...الهاتف يهتف بي ...لي ...معي ...صوتك الغيب يغيهبني ..."متى نلتقي "...في اي المرافئ توادعنا ...على الرمال تسابقنا ...كم قلاعا شكلنا ...بالأصداف كتبنا كل الحرو ف لاسمينا ...جرف الزبد أصدافه...فقط حروفناارتسمت أشكالا لسفن أسطورية ...على الصخور انبصمت ...انت تحب البحر ...انا لا أحب البحر مثلك ...البحر يخيفني ...يلتهم اجمل الحكايا ...وانا طفلة صغيرة ...اغواني البحر ...أوشك ان يحملني معه الى أعماقه ...رفيقة له في سفراته التي لا تنتهي ...كنت وحيدة وجهي الطفولي ...بكيت طويلا ...بمياهه اختلطت دموعي ... تغير لونها...طعمها ..."متى نلتقي "...يا الوجه الطفولي ...عيناك اللالون ...سرقتا الواني ...الوان الربيع ...افتكتا امطار الخريف ...انصهرتا وحكايا الرجل الغريب ...مني أخذت ثلاثية أقلامي ...هاتفي يناديني ...يصرخ بي ...يتلعثم ...يتهجى اسمي ...الي يتطلع بعينين لا لون لهما ...غريب انت هاتفي ...ماذا فعلت بوجهي الطفولي ...ماذا فعل بك الوجه الطفولي ...الوجه الاخر للبحر ...أتذكر أعماقه ...أعشابه...درره ...معا مزجناها ...منها شكلنا وجها طفوليا ...على باطن كفي أنحفر ...انغرس واحة نخيل مساء خريف ممطر ...يطالعني بابتسامة غامضة ...مبهمة ...كلما فتحت يدي ..."متى نلتقي"...أسطورتي انت ...كيف التقيك وانت معي ...أحملك حيثما سكنت أقلامي الورق ...وطني الاخر هي أوراقي ...لا تمل خربشاتي ...لا ترفض إيقاعاتي ...أرقي انت ...انا وانت وجهي الطفولي ...خطان متوازيان ...لا يلتقيان ...عيناك اللالون ..افتكتا تفاصيلي ...أغتصبتا حلمي ...حلمي المشتهى لي وحدي ...مخلوقي الأدبي انت ...كيف تتمرد ...تصمت ...ترفض ما ارسمه لك ..."متى نلتقي "...هاتفي ...هذه اناملي تلاطفك ...تداعبك ...تبثك شوقا...تهدهدك رغبة ...صوتك الموج بأعماقي التطم ...دفئا للخريف اجج ...الوانا للربيع مزج ...الوانا لا لون لها ...تماماً كعينيك ...هطلا خصبا هما ..."متى نلتقي"...انا وانت والبحر ...أسطورة البدء...انبجاس الألوان ...بكل المذاقات تعتقت ...بكل الأزاهير تضمخت ..."متى نلتقي "...باي اللغات اكتبك ...باي الألوان ارسمك ...باي الفصول أسكنك ...بلوني المفضل ...لوني الأصفر أدثرك ...احضنك ...وطني الصغير انت ...وجهي الطفولي انت ....حلمي الأسطورة انت "...متى نلتقي".

. من المجموعة القصصية أنثى التراتيل

أمومة

ابراهيم درغوثي

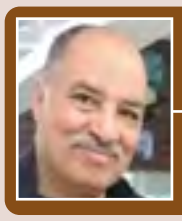

في المساء ،
رأيتها ممددة على جنبها الأيسر ، ترضع جراءها .
عيناها – لون العسل – مفتوحتان .
والجراء الخمسة ترضع الحليب من الضرع وتتناوش بالمخالب الصغيرة .
والكلبة نائمة على جنبها الأيسر .
كلبتنا التي لم تعرف اسما ، والتي تسبق كل يوم والدي إلى الحقل ، ولا تعود إلا في المساء .
تنبح على الغريب.
وتفرح بالصديق .
وتسهر قدام زريبة الحيوانات.
شتاء السنة وصيفها .

في الصباح
رأيتها ممدة على جنبها الأيسر ترضع جراءها .
ورأيت كدسا من الذباب الأخضر يحوم حولها .
اقتربت منها .
ورفعت جروا .
سال الحليب من بين شدقيه ، وهر.
تركته يسقط ، فعاد إلى الثدي يمتص منه الحليب .
وعدت أرفعه ، فعاد الحليب يسيل من بين شدقيه ...
وطن الذباب الخضر ،
وحط على الكلبة الميتة .

الباقي ...

منى الماجري

كنت وأنا حديثة العهد بالإقامة في الحيّ الجديد البعيد عن البلدة مسافة ألف متر، والذي يقع على ضفاف القنال من الجهة المقابلة لميناء بنزرت ،أي حي ّ الشّعرة والذي تؤدي الطريق المعبدة التي تشقه إلى مدرسة تكوين ضباط الصف ومنها إلى غابة الزيتون والريحان الممتدّة على هكتارات عديدة بعضها على ملك الدولة والبعض الآخر على ملك بعض الخواص ،كنت ربحا للوقت أتبضّع من أوّل عطّار يعترض طريقي، على أن يتوفّر لديه كل ما تحتاجه رفوف مطبخي وثلاجتي وهكذا كنت أتوقف عنده يوما بعد يوم لأقتني بعض المواد التي تنفذ بسرعة مثل الياغورت والشكلاطة والبسكويت ومن له أطفال يدري عما أتحدّث ،وخلال موسم جني الزيتون كانت تقف امرأة نعرفها جميعا في القرية بحسن صوتها ووجهها فقد كانت تغني في الأعراس وتعتني جيدا بزينتها. وبتقدم السّن أصابتها بعض العلل التي كادت تقعدها عن السير غير أنّها لم تستسلم فاتكأت على عكازة واعتمدت على نفسها في قضاء شؤونها،تقف خالتي ناجية على ناصية الطريق ،أسلّم عليها وتسألني عن أمي واخوتي ولا تطلب مني شيئا ،وكان العطّار زميل الدراسة يشير إليّ بأن أقلّ خالتي ناجية فهي تنتظر سيارة أجرة تقلّها إلى غرس الزيتون الذي يقع على يمين الطريق الرئيسية على ربوة في الطريق إلى مدينة بنزرت عبر جرزونة، وكنت أفعل مرحّبة، آخذ العكازة وأساعدها على دخول السيارة والجلوس جلسة مريحة وكانت تعبّر عن سعادتها بكثرة الدّعاء لي إلى درجة إحراجي. وكنت أقول لها إنني لم أفعل شيئا نادرا وإنني لم أقم بغير الواجب وأنني أعتبرها بمثابة أمي، وتستطرد خالتي ناجية في أدعية أنسى جلّها ولكنني لم أنس ولن أنس أبدا قولها لي في كل مرة أقلّها إلى غرس الزيتون،،يعطيك رفيق وقت الضيق،، بعدها بسنوات ومع ماسأختبر من الناس ومن الدنيا سأعلم قيمة هذا الدعاء وقبله دعاء والديّ لي بما لا تضاهيه أيّة ثروة مادية...

أنتريتي نبّار

عبد الوهاب الجملي حلم بالثورة ولم يعشها

يوم 19 أكتوبر من سنة 2011 توفي المسرحي القيرواني الشّاب عبد الوهاب الجملي عن سن تناهز 43 عاما وذلك بعد معاناة طويلة من مرض مزمن.

توفي بعد إثراءالسّاحة المسرحيّة بآخر عمل له: مسرحية «تحت برج الديناصور « التى أفتتحت بها فعاليات دورة مهرجان الحمامات الدولى لتلك السنة فضلا عن اخراجه لمسرحية أهل الهوى بطولة وجيهة الجندوبى وجمال المدانى وخالد بوزيد .

رحل عبد الوهاب الجملي منذ 12 سنة، رحل تاركا نصوصا تشبهه وشخصيات مسكونة بالوجع والحب، رحل عبد الوهاب شامخا تاركا خلفه مسرحيين يؤمنون برسالته وأصدقاء نهلوا من نبعه الصادق وارتووا بحب المسرح وقدسيته.

وأفادت يوم وفاته إدارة إحدى المصحات الخاصة بضاحية المرسى والتي نقل إليها الجملي أن المرحوم وصل متوفيا وعن أسباب وفاته اعلن المسرحي ورئيس اتحاد الممثلين آنذاك سليم الصنهاجي أن أزمة سكر أصابت عبد الوهاب الجملي الذي يعاني من هذا المرض منذ فترة.

ولكن يرى البعض من أصدقائه ان وفاته المفاجأة لها علاقة بالأساس بحالته النفسية المتدهورة في تلك الفترة جراء ما لحقه من ثلب وتنكر من طرف اترابه من المسرحيين جراء موقفه الصارم من مخرجات لجنة الدعم في تلك الفترة.

عامها تمّ اختيار عبد الوهاب الجملي عن اتّحاد المسرحيين في اللجنة الاستشارية للدعم المسرحي بوزارة الثقافة، وتكوّنت أيضا من أعضاء نقابة المسرحيين والجامعة التونسية للمسرح.

وصرح ابن القيروان للمقربين منه : إن لجنة الدّعم» تقسّم في التّركة»، إذ تحصّل الصادق حلواس، عضو اللجنة، على أربعين ألف دينار كمنتج. وكمال علاّوي على دعم أول كصاحب شركة وثانيا ككاتب نص. أمّا صالح حمّودة (عضو نقابة) فقد نال منحة تسيير فضاء تقارب العشرين ألف دينار.

وكنت موعودا بأن أحصل على إدارة دار الثقافة «ابن رشيق» كضريبة صمت».

ويقول احد المقربين منه :»تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد رفض المرحوم عبد الوهاب الجملي المشاركة في هذه المسرحية، أو بالأحرى رفض إخراجها بسبب رداءتها وتعارضها مع الوفاء لكل قطرة دم لكل شهيد مات في سبيل هذا الوطن، وقدّم استقالته من اللجنة الاستشارية.. فما راعه إلاّ وبقية أعضاء اللجنة يعقدون ندوة صحفية في دار «الصباح» للتنديد بالمرحوم، إذ قال أحدهم حرفيا: «عبد الوهاب ليس بريئا». وهذا ما سبب انتكاسة نفسية للمخرج عبد الوهاب الجملي ادت الى وفاته كمدا».

وكان وقع الفقد كبيرا على مثقفي ومن بينهم المسرحي حمادي الوهايبي باعتبار أن الفقيد أصيل عاصمة الأغالبة وكتب الممثل ناجي ناجح على صفحته يومها :»تحترق الكلمات فوق لساني من شدة وقع الخبر» وأكد السينمائي الشاب عبد الله شمّاخي أن الجملي كان وفيا لأفكاره وعاشقا للمسرح ورغم وفاته مازال حيا في مكان ما هناك على مسرحنا قائلا: «هزمتك كل الفنون يا موت».

توفي بعد إثراءالسّاحة المسرحيّة بآخر عمل له: مسرحية «تحت برج الديناصور « التى أفتتحت بها فعاليات دورة مهرجان الحمامات الدولى لتلك السنة فضلا عن اخراجه لمسرحية أهل الهوى بطولة وجيهة الجندوبى وجمال المدانى وخالد بوزيد .

ويصنّف المتابعون مسرحيّة «تحت برج الديناصور» من أهم الأعمال التي قدّمت في تلك الفترة،

ويعد نصّها من أقوى النصوص في السنوات الأخيرة ويصفه الناقد والكاتب لسعد بن حسين بنص يشبه صاحبه.. عميق في بساطته غامض في وضوحه.. صامت / صاخب في آن.. نص يؤكد أن لدينا كتابا متميزين للمسرح والدراما..

هذا النص اشتغل عليه عبد الوهاب الجملي كثيرا وقدمه على أكثر من ركح ونال الكثير من التنويهات سواء من النقاد أو أهل المهنة أو احباء المسرح...ولن ننسى أبدا الأداء الاستثنائي للفنانين منعم شويات وتوفيق العايب في هذه المسرحية / الدرس..

تدور احداث المسرحية في دار للمكفوفين حيث يضطر يوسف (موظف) الى تقاسم غرفته مع النزيل الجديد جعفر (موسيقي) لعدم توفر غرفة مستقلة بالدار.

وجاء في إحدى الدراسات النقدية بأن المسرحية عبارة عن حوار بين الشخصيتين، كلاهما يريد صناعة عوالمه الخاصة، يشتركان في الغرفة وتفرقهما الامال والانتظارات، وميزة الجملي انه يسكن شخصياته بالظلامية والحلم معا، له قدرة على كتابة شخصيات ترى نفسها طبيعية ويراها الاخر مشوهة كما جعفر الذي يريد الموت فيتحدث «مايدفني حد، وحدي نغطس في بدن الارض، نتلفت في قلبها ونتخبى في ظلامو، قرن قرنين، قرون لين تضياق عليكم وتتحصرو من الجهات الكل، تتخنقوا وتحضروا الدرابو الابيض وقتها تتوحشوني وتتطلبو الرونفور».

شخصياته تشبهه، عبد الوهاب كان مسكونا بالصدق ويفكر كثيرا في المسرح والوطن وتسكنه القضايا الكونية فخلق شخصيات مفكرة رغم التشويه، شخصيات نعرفها جيدا ونعايشها، تبدو بسيطة لكنها مسكونة بالفلسفة والسؤال، كان صادقا لكنه شحيح في الكتابة، يحب المسرح كثيرا ويؤمن بدوره في التغيير لكنه يقضي الأعوام لكتابة نص كان يرفض الاستسهال في الفعل الابداعي ودفع ضريبة ذلك الكثير من صحته... بهذه الكلمات استحضرت الناقدة فايزة المسعودي ذكرى المسرحي عبد الوهاب الجملي، مضيفة «عبد الوهاب كتب للمسرح بحب، واجتهد ليترك اثر فني نقي يشببه، رسالتي الى المسرحيين كانا صادقين لتبدعوا وتظل ذكراكم راسخة في قلوب محبي هذا الفن العظيم.

وعرف الجمهور الواسع هذا الفنان الراحل خاصة عبر تجسيده لدور البطولة فى المسلسل التلفزى التونسى اخوة وزمان من تأليف: ظافر ناجي ووجيهة الجندوبي وإخراج المبدع حمادي عرافة

ويتناول هذا المسلسل قصة عائلة تعيش في حي شعبي إذ يعيش عصام فترة مراهقة خطرة تؤدي به إلى الإنحراف لفقدانه لأمه فيجد السرقة و الهجرة الغير شرعية سبيله لنسيان مشاكله في ظل إعادة زواج أبيه من إمرأة أخرى. الأخت الكبرى والتي تقوم بدورها (وجيهة الجندوبي) هي التي تقوم برعاية أخواتها بعد موت أمهم. من جانب أخر تعيش «ريم» أخت عصام قصة حب مع أخ صديقتها «قيس» الغني فهي كانت غير قنوعة وغير راضية بحالة عائلتها المادية ولكن قيس كان يريد اللعب بمشاعرها والتسلية وعندما تكتشف حقيقته تهرب منه وتعود إلى رشدها وتوقن أن المال ليس كل شيء...

اللّه يرحمك صديقي القيرواني الفنان فلن ننساك ولن ننسى إبداعاتك ومواقفك النّضاليّة من أجل تحسين المشهد المسرحي في تونس ولن ننسى ضحكتك وروحك المرحة..

طرائف الزّعيم (362)

ماذا قال بورقيبة للفلسطينيين في مستهل خطاب أريحا سنة 1965 ؟

إني شديد التأثر من هذه المناظر، وشديد الاعتزاز كذلك. أما تأثري فلما شاهدت من آثار النكبة التي منينا بها في فلسطين منذ 17 سنة وأما اعتزازي وتفاؤلي فلما لمسته من حماس وإرادة حديدية وتصميم على استرجاع الحق كاملاً غير منقوص.

تعلمون أن الشعب التونسي كان إبان النكبة مغلوباً على أمره يعاني وطأة الحكم الاستعماري المباشر ومع ذلك فقد أسهم في القيام بالواجب المقدس وشارك في حرب فلسطين إذ وفد التونسيون شباباً وكهولاً من كل أنحاء القطر التونسي كي ينالوا شرف المشاركة في النضال من أجل الأرض إسلامية عربية شقيقة لا يفرقون بينها وبين الأرض التونسية، ثم خاضت تونس معارك عنيفة وكفاحاً مريراً حتى تخلصت من الاستعمار ووقفت على قدمها وأقامت دولة عربية إسلامية في أرض مطهرة من كل ازدواج أو احتلال ومن كل هيمنة أو نفوذ أجنبي.

لكننا نعتبر في تونس أننا لا نزال مقصرين وأن علينا واجبات يتحتم أن نقوم بها لتخليص كل شبر من الوطن العربي الكبير وقد أكدت في الكلمة التي ألقيتها في مؤتمر القمة العربي الأول أن تونس تسخر كل إمكانياتها لتدعيم الصف العربي وللخروج من هذه المعركة الفاصلة والنصر المبين يكلل جبيننا. لكن ما أريد أن ألفت إليه نظركم أصحاب الحق السليب كما كنا نحن أصحاب الحق الذي استبد به الاستعمار في تونس هو أنه يجب أن تكونوا في الصف الأول من هذه الواجهة التي تعمل على حماية فلسطين. إنني أصارحكم بما اعتقده في قرارة نفسي وما آمنت به من بعد تجربتي في الكفاح من أجل التحرر والانعتاق التي دامت 34 سنة فإن دوركم في المعركة هو الدور الأول، وهذا ما يجب أن تضعوه نصب أعينكم في قرارة نفوسكم وعقولكم، وإذ أخاطب في هذه اللحظة الأمة العربية وكل العرب الذين يعتبرون هذه القضية قضيتهم، أريد أن ألفت نظركم إلى أن تجربتي الشخصية في كفاحي الطويل أكدت لي أن العاطفة المشبوبة والأحاسيس الوطنية المتقدة، التي أرى نموذجاً حياً منها على وجوهكم لا تكفي لتحقيق الانتصار على الاستعمار. فهي وإن كانت شرطاً أساسياً وضرورياً غير كافية، بل لا بد مع الحماس والاستعداد للتضحية والموت والاستشهاد من قيادة موفقة تتحلى بخصال كثيرة ولا بد من رأس يفكر ويخطط وينظر إلى المستقبل البعيد.

والكفاح المركز يقتضي فهم العدو ومعرفة إمكانياتنا الحقيقية وتقدير إمكانيات الخصم وضبطها بأكثر ما يمكن من الموضوعية والتحري والتثبت حتى لا نرتمي في مغامرة أخرى تصيبنا بنكبة ثانية وتعود بنا أشواطاً بعيدة إلى الوراء. هذا ما يجب أن نفكر فيه ونقرأ له حسابه، ولذا لا بد لنا من الصبر ومن التخطيط ومن توفير الأسباب وتهيئة البشر والعتاد وحشد الأنصار والحلفاء ويجب أن نعطي لهذا العمل وقتاً كافياً وأن لا نتسرع ونرتمي في المعركة الحاسمة قبل أن نوفر أكثر ما يمكن من أسباب النجاح على أننا مهما وفرنا من هذه الأسباب فلا بد لنا من أن نتكل على الله فنحن على حق والحق يعلو ولا يُعلى عليه.

فنّ وفنّانون

تكريم دليلة المفتاحي في مهرجان شرم الشيخ لمسرح الشباب

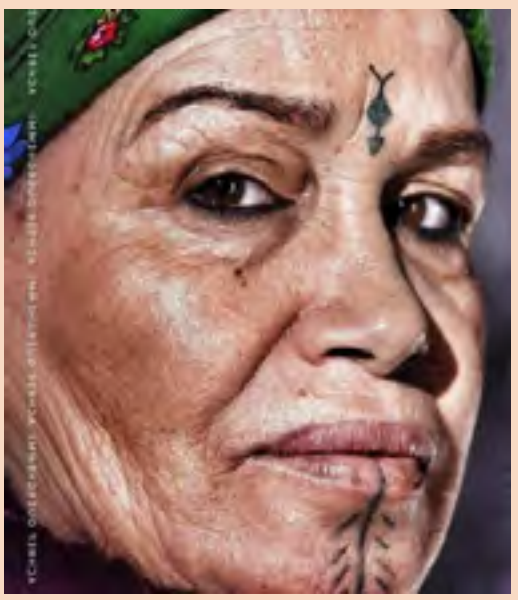

أعلنت إدارة مهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي برئاسة الفنان والمخرج مازن الغرباوي خلال المؤتمر الصحفي الخاص بالدورة الثامنة الذي أقيم بالمجلس الاعلى للثقافة بدار الأوبرا المصرية، عن تكريم الفنانة والمخرجة التونسية دليلة مفتاحي، بمنحها درع سميحة أيوب التقديري وذلك تقديرا لمشوارها الفني الكبير.

كانت تجربة الاحتراف الأولى لدليلة مفتاحي مع الفرقة القارة بجندوبة، كان ذلك عام 1978، ثم انتقلت إلى المسرح الوطني التونسي مع المنصف السويسي، ثم تتالت التجارب مع المسرح العضوي ومع رجاء فرحات في الحمامات والفرقة البلدية، وبعض الشركات الخاصة.

هي ممثلة تونسية. ولدت في 23 أبريل عام 1960 في تونس. من أشهر أعمالها فيلم (آخر ديسمبر) 2010 وفيلم (Black Gold (2011 ومسلسل (أبن خلدون) 2021 ومسلسل (للا السندريلا)